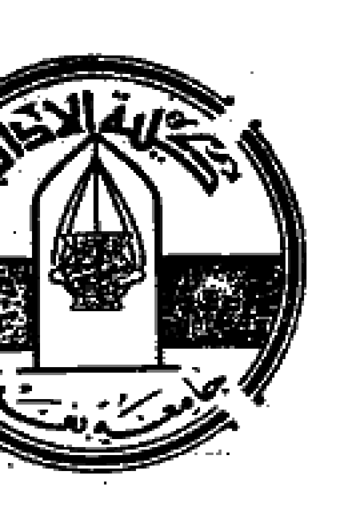
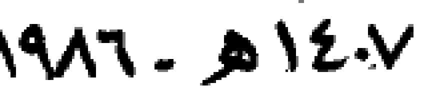


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

مجلة
كلية الآداب

العدد الرابع والثلاثون



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية الآداب



مجلة كلية الآداب

العدد الرابع والثلاثون ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

هيئة التحرير

عود على بدء

لكلية الاداب موقعها الفكري والعلمي في مسيرة الثقافة في العراق ولاساتذتها وطلابها دورهم الريادي في قيادة البحث ومنهجية التأليف وهم يقدمون في كل حقل من حقول الاقسام الانسانية صورة للجهد العلمي وصفحة من صفحات الحضارة العربية والاسلامية ويسهمون في ترسيخ قواعد المدرسة العراقية التي ثبتت اصولها وتأصلت جذورها واتسعت قاعدتها في كل مجال .. واذا كانت تأليف الاساتذة ودراساتهم وبحوثهم قد اخذت مكانتها في اقسام الجامعات العربية واصبحت مصادر للدراسة وافكاراً لتثقيف وادلة للرد على كل دعوى باطلة او حجة ضعيفة فإن مجلة كلية الآداب بقيت، تحمل هذا العطاء الثر على امتداد اكثر من ثلاثين سنة وهي تمد الدراسات بما يجود به اساتذتها فتغني المكتبات . العلمية وتأخذ مكانتها في اروقتهاوفهارسها مجلة رصينة ، ومصدراً معتمداً ومرجعاً من المراجع حقبة .

ويكتب للمجلة ان تبتعد عن قرائها حقبةً ليست طويلة لتعود الى رواد المعرفة ثانية بجهود مشكورة ودعم كبير من السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الاستاذ سمير محمد عبد الوهاب الذي وجد في غيابها فراغاً فأعاد اليها دورها وحقق رغبة اساتذتها وهم يعودون اليها بهمة علمية وثقة صادقة ليواكبوا مسيرتها وينضجواثمارها ويقدموا الى طلاب البحث زاداً علمياً ودراسات جادة في مرحلة النهوض العلمي الذي تشهده الجامعات وهي تواصل مسيرتها الظافرة جنباً الى جنب مع مسيرة العراق الناهض وهو يقاوم تيارات التخلف ويوقف زحف الفئة الباغية التي تحاول قتل نوازع الخير في ضمير الامة وانتزاع عوامل القيم الخيرة من ذاتها والتعاون مع كل الخارجين على ارادتها لطمس معالمها الحضارية وفسخ شخصيتها التي افاضت على العالم بفكر علمائها ومجد روادها وصنيع رجالها ..

ان دواعي الاعتزاز بالنصر الحاسم الذي تسجله قواتنا المسلحة لتظل شعلة العلم وهاجة ومراكز البحث منطلقات اشعاع تحملنا على الاعتزاز بقيادة الرئيس القائد بطل القادسية المناضل صدام حسين حفظة الله وهو يقود حركة التاريخ ويرفع راية النضال ويحقق اهداف الامة التي قدم من اجلها ابناؤها البررة اعز التضحيات واغلى مايملكون .

ندعو الله ـ جلت قدرته ـ ان يبارك نصرنا وينعم على امتنا بالظفر والتقدم انه نعم المولى ونعم النصير ..

الدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الاداب


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- ١ -

أوليات شعر الحرب عند العرب

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب / جامعة بغداد

اوليات شعر الحرب
عند العرب

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب / جامعة بغداد

وقف وانا اتابع البحوث والدراسات والمناقشات التي تناولت ادب الحرب موقف الاعتزاز والاكبار لما اثارته من موضوعات جديدة ، وعبرت عنه من احاسيس واعية ، التزمت به من تحليل موضوعي في بعض جوانب المناقشات ، وادركت ان ادب الحرب الذي تحدث عنه الباحثون والدارسون هو محاولة جديدة تختلف في جوهرها واصولها عن الدراسات التقليدية التي ظهرت او كتب في ضوئها ادب الحرب ، وادركت ايضاً ان التحليل الذي شمل مفردات الادب ، وفنونه ، ووقف عند بعض تراكيبه واستعمالاته قد اخذ بنظر الاعتبار النصوص واعتمد المعايشة الحية ، واستند الى التصنيف الواقعي لما قدمته النص دون ان يحاول اخضاعه لمقاييس مسبقة او نظريات ادبية جاهزة ، او مقولات نقدية يمكن استخدامها في كل موضوع ، واستعارتها لكل حالة ...

ان المقالات التي كتبت في هذا الفن الادبي تمثل انتقالا في الدراسة الادبية ، وتحولا نحو الاتجاه الصائب في ميدان البحث النقدي والجمالي لابد ان تكون مقوماتها وما عرضت له مجال مناقشات جادة في رحاب الجامعات العراقية حاضرا والجامعات العربية وغيرها مستقبلا لان المفروض في امثال هذه الدراسات ان تضيف الى البحث عطاء غنيا ، ومادة ينتفع منها في حقول المعرفة .

ومن خلال المتابعة لهذا الضرب الادبي وما قدمه ادبنا العربي القديم والمعاصر وجدت الامر يحتاج الى وقفة قصيرة لوضع بعض المسائل الاولية امام الباحثين ليكون التواصل بين الادب مدركا ، واستمرار التجربة منظورة ، وحقيقة التشابه في اطار الظروف المستجدة في كل عصر محسوبة ، لتأتي النتائج متقاربة .

وفي محاولة لدراسة النص الادبي القديم وهو يقف عند ضرب من ضروب الحروب تبرز مجموعة من الملامح يتعلق بعضها بالمفردة (اللفظة) ويتعلق بعضها الاخر بالصورة مفردة او مركبة ، وينصرف القسم الاخر الى الالتزام بالجانب التقليدي الذي يمهد للقارئ حالة الاستدراج والتوطئة وصولا الى الحالة الراهنة التي يريد الشاعران يصل اليها ، وان انصرافه الى هذا الالتزام وخضوعه الى هذا التمهيد واقدامه على هذا التناول يضعه في اطار الشعراء الذين سبقوه وهم يمهدون لقصيدة الحرب بصيغ تقليدية وفنية ، وصور ادبيةوبلاغية ، وقف عندها القدامى ، وافرغوا في محتواها قدراتهم وابداعاتهم ، وعبروا من خلالها عن مشاعرهم واحاسيسهم ، وتطلعاتهم ، وربما ينصرف بهم التقليد الىالاطالةفي الجانب التمهيدي اكثر من المعالجة المطلوبة لظروف الحالة

الحربية التي دفع الى ان يقول فيها قصيدته ، او يؤرخ في حدودها نزوعه المشروع تلبية لمهمة قبلية او قومية . والشاعر في هذه الحالة امين على مايقول ، صادق في التعبير ملتزم في دائرة التوافق بين مايبديه ابناء قبيلته ، ويظهرونه من شجاعة ، ويقدمونه من تضحية ، وبين ما يتعرضون له من هجوم ، وما يسلكونه من وسائل لرده . وكثيرا ماكان الشعراء ـ وهم يلجون هذه الابواب ـ يؤمنون بأن الاحساس القبلي او القومي يستثير في دواخلهم كل الاسباب التي تعطيهم هذه القوة ، ليتخذوا منها فرصة لتوثيب العزائم ، ودفعا لرد الخصم ، واستعدادا لتحمل الاعباء المفروضة . والرمز في هذه القصائد بالنسبة للدارسين في العصور المتأخرة والوضوح بالنسبة لمن عرف المسلك الطبيعي للقصيدة ، وادرك النتائج المترتبة على البدايات والمقدمات فأن الحالة المتطوره في البناء الكامل للقصيدة وهي تبني ابياتها ، وتعد مطلعها وتسلسل افكارها ، وتختار صورها ، وتمهد لكل حالة من حالاتها ، وتقف باعتزاز وأباء عند المواقف التي تراها جديرة بهذه الصيغة ، ولعل قصيدة عمرو بن كلثوم وبعض قصائد زهير بن ابي سلمى وبعض القصائد التي اختارها المفضل الضبي في المفضليات تمثل الحالة الموافقة لهذا الجانب التقليدي وتعطي التصور الواضح لطبيعة بنائها ، وتوافق معانيها ، وتشابه الفاظها ، وتسلسل صورها ، وربما كانت الدراسات التقليدية القديمة بعيدة عن ادراك هذا النهج الشعري وهي تقف عند هذه القصائد او تحاول دراستها او تستشهد بأبياتها ، ولكن الدراسة المقارنة والمحاولة الجادة في استقصاء المعاني وتحليل النوازع ، وترتيب الاوليات تؤكد هذا الموضوع ، وتكشف عن الخيوط الموصلة بين هذه القصائد ، وتوضح العلاقة المتينة بين كل مفردة وصورة واشارة واسلوب واستعمال .. وبقي هذا النهج في بعض القصائد الحربية واضحا في قصائد العصور التي تلت العصر الجاهلي . ولكن بدأت تتضاءل دلالة الرمز ، وربما لمسنا في بعض قصائد الشعراء في العصر الحديث والمعاصر هذا النفس الذي اتخذ من الحديث عن المرأة بداية لقصيدة الحرب واشارة للوقوف عند معركة ، ووجد في هذا التناول بداية لموضوعات كثيرة يستوحيها من هذا الموقف ، بعد ان اصبح الدخول المباشر لموضوع قصيدة الحرب مسألة لايلتفت اليها النقاد باعتبارها خارجة عن البناء الفني وبعيدة عن التقليد الموسوم . والشعراء في هذه الحالة لايباشرون الحرب ولايدخلون اوراها ، لان الشاعر المحارب لايملك الوقت لمثل هذه البدايات وليس بحاجة الى التمهيد بعد ان دخل المعركة دخولا مباشراً ، والتحم مع الخصم التحاما لم يترك له فرصة استخدام الرمز ، او اللجوء الى المقدمة ، او التأمل في اختيار النهج التقليدي ، والصورة المالوفة ، واللفظة المستخدمة في هذا الضرب من ضروب الشعر .

واذا كان الجانب التقليدي قد اخذ حجمه في دائرة القصيدة الحربية في شعرنا القديم ، فأن القصيدة المباشرة قد ملأت حيزاً اكبر ، واتسعت استخداماتها لتتوزع على مجاميع من الشعراء وجدوا فيها صورة متقدمة ، ولوحة حية ، ومفردة ، معبرة ، وبعد ان أصبحوا وجها لوجه امام الخصوم ، ابتداء من حركة (الردة) التي كانت البدية الاولى لايقاف زحف الثورة الجديدة ،ومجابهة التوجه .. الانساني الصائب لحمل الانسان من واقع التفرق الى واقع التوحيد ، ومن ضيق التعامل الى سعة الممارسة ، ومن وهدة الوثنية الى سمو

الوحدنية . واصبحت قصيدة الحرب تخضع لتقاليد فرضتها طبيعة القصيدة المقاتلة والتزمت بها ارادة المقاتل الذي حاول ان يباشر خصمه او من يبلغه بقدرته على المصاولة ، وعزمه خوض المعركة ، وهنا كان الشعراء يعلنون عن انفسهم ويذكرون جراتهم ، ويعيدون على سماع خصومهم مايبعث في نفوسهم الهلع ، وينزل في قلوبهم الخوف ، ثم يتدرج الشعراء الى استشهاد ببعض الوقائع استلهاماً للمجد المسجل ، وترسيخاً للقدرة المتمكنة ، وتوثيقاً للارادة الصلبة والعزيمة المشهودة .

وفي كل حالة من هذه الحالات يستعير الشاعر صورة المعركة ، او حالة من حالات الانتصار الماحق ، او المصاولة الحاسمة ، وقصيدة الحرب هذه تعبر عن الحالة الراهنة ، وتلامس الحدث ملامسة قريبة ، وتنتزع المعاني التي الف المحاربون استخدامها ، وتصوغ العبارة التي وجدوا في استخدامها رنينا نغميا ووقعاً لفظيا مقبولا ، وتشير الى الحالة التي عاشت في نفوس المقاتلين وثابة ومتأهبة ، واستقرت في تقاليد الشعر رائقة ومزهوه ، واوشك هذا الضرب من الشعر ان يجمع معجما من الالفاظ ، ويوحد ضربا من الاساليب ، وينسق وحدة التعابير التي دارت على السن المقاتلين وهم يجابهون المعركة ويذوقون حر اللقاء ، بعد ان اخذ طريقه الى النفوس ، وعرف دروبه بين قنوات الفنون الشعرية الاخرى . وقد توزع قطعات متناثرة يستشهد بها عند الحديث عن المعركة ، او الوقوف على موضع او الاشارة الى حدث تاريخي ، اما اللغة التي استخدمها الشعراء المقاتلون ـ فكانت اقرب الى لغة الحديث ، واكثر صلة بما يعرف في ساحة المعركة لان الاغراض فيه تتداخل فهو يأخذ من المديح مايعطي الشاعر قوة الدفاع ، وشدة المقاومة ويؤكد في ذاته ارادة الذود ، ووجاهة الحق ، وسلامة الحاجة ،ويأخذ من الهجاء ما يضعف فيه ارادة خصمه ، ويقتل في نفسه حدة التطلع ، وينزع عنه اسباب المقاومة ويدخل الى نفسه الروع ، ويضيق عليه دائرة الخنادق ، بعد ان يسلبه كل الخصال الحميدة ، ويميت في ذاته عناصر الاقتدار ، اما الفخر فهو غرض يتسرب الى القصيدة خلال تضاعيف المديح ، وفي ظل سطور الاعتزاز وتعداد المفاخر ، وذكر المحامد والايام ،وهنا تتوارد المعاني التي عاشت في الوجدان العربي قيما كريمة ، واهدافا موروثة ، وانماطا من السلوك المأثور في الكرم والشجاعة ، والصلابة في القتال والثبات في المعركة ، وغيرها من المعاني التي تمثل الحدود الفنية لهذا الفن الشعري المتداحل ولم يجد الشاعر ضيرا من استذكار بطولة الرجال الذين ابلوا في الحرب البلاء الحسن ، وكانوا نماذج متقدمة في تحقيق الذات ، ورواد مبدعين في التضحية واشداء مؤمنين في مجابهة الموت ، وتحدي الخصم ، وانتزاع النصر ، واستعادة العز ، ويتخذ الشاعر من هذه الاعمال الجليله اسبابا من اسباب التوثيب ، ومدعاة لتأجيج العزائم وعاملا من عوامل المثابرة لتحقيق المكانة اللائقة التي سعى اليها هؤلاء الرجال وقدموا منأجل الوصول اليها اعز ما يملكون .

فالشعر هنا لم يعد غرضا تقليديا يتناوله الشاعر بعفوية الاحساس او يقوله تفريجاً عن هم ، او تعبيرا عن حالة طارئة اوصوتاً لذات مبهمة ، فهو الصورة التي امتلأت بها قنوات الحياة ، وهو الحالة التي عاشت في الذهن والقلب وتألقت في العين وازدهرت في خوافق لواقع المنظور . وجد فية المقاتل صيحته المسموعة ،

وعرا في مفرداته حياة الجهاد والايمان ، وتلمس في صفحات سفره الخالدة وقائع الاعمال العظيمة ، وخوالد الزمن الحي ووجد في مضامينه نبضات الحياة الحافلة بكل عز ، المملؤة بكل فخر ، فانسابت حركة الشعر العربي في دروب المقاتلين شرايين دافقة ، وتحركت في اعماقهم نوازع المشاركة الوجدانية الصادقة لتلازم هذا الصوت الكبير الذي عرف مواطن الخلد فاندفع الى جنانها مؤمنا لا تصده ملذات الدنيا ،ولا تحول دون مطامحه شهوة البقاء بعد ان ايقن ان الخلود للمجاهدين ، والبقاء للصالحين المؤمنين ، والفناء للمشركين الذين باعوا اسباب الحياة بأبخس الاثمان فهانت الحياة في تصورهم وجاء الشعر ليعطي هذا المد الانساني ابعادا واسعة ، وتحمل مضامينه لواعج الشوق القتالي والتواجد الذاتي وهو يتحول الى قدرة غير محدودة . ويشق طريقه الى قوافي الشعر قافلة زاهية تضج بألحان البطولة وتصدح بأناشيد النصر ، تزخر بأهازيج النفوس المؤمنة .

واذا كانت للحرب ظروفها الخاصة ، واسبابها الموجبة واساليبها التي تتحرك في اطارها ، فأن الشعر الذي عبر عن هذه الظاهرة وخضع لظروف خاصة تتناسب مع كل وجه من هذه الوجوه ، وتتناسب مع الاحوال التي مرت بها ، فالسلاح كان له صداه في القصيدة ، ومضاؤه وشدته ضروبه وكل ضرب منه خصائصه فالخيل لها رعايتها واكرامها ونسبها والرجال لهم بلاؤهم وشجاعتهم وصبرهم والسيف له قوته وحدته ، والرمح له صولته وقدرته والقسي والسهام لها فعلها ودقتها ولها رجالها الذين يحسنون التصويب فيها والدروع لها فرسانها .

وقد احتفظ شعر الحرب بمفردات غنية عن اسماء السلاح وصناعته ، وانواعه وخصائصه وجوهره واقسامه بعد ان جربه المقاتل وعرف دوره في المعركة ، وادرك اهميته في ساعات الضيق واستوعب احجامه في حالات الاحتدام ، وقد اقترن هذا الحديث بالتعاطف والاستجابة ، وتوثقت بين المقاتلين واسلحتهم وشائج الاتصال .واستدامت رفقه المصاحبة ، واستحالت العلاقة بينهما الى احساس وجداني عميق ، وتجلى للباحثين نمط سلوكي فريد في هذا الباب بعد ان توارث الشعراء هذه المعاني ، وتواصلت في نفوسهم اسباب الاحساس بدورها الفاعل في حسم المعارك . ومثل ما ترك السلاح بصماته على وجه القصيدة الحربية ، وشغل الجانب الكبير منها فأن خصائص الرجال وادوارهم البارزة وصمودهم الراسخ قد مد الشعراء بوافر من المعاني وفيض من الصفات ، وجليل من الاعمال التي انعكست على الشعر ، فازدانت بها القصائد ، واستطالت عزا بما ابداه المقاتلون ، واظهروه من مواقف جريئة ، وتضحيات نادرة ، وبطولات مشهورة .

وقد الهب شعر الحرب قرائح الرجال ، واثار في دواخلهم رغبات التطلع الى الخلود وهم يتسمون بصدق العقيدة وسلامة المبدأ، ورسوخ الايمان ، وصفاء النية ، فازدحمت بشعرهم سوح المعارك ، وتوالت على السنة الرواة قصائدهم ومقطعاتهم وهي ترسم وقائعها ، وتحيط بأسباب النصر ، وتقف عند المواقف الانسانية الرائعة وتشيد بالبطولات الخارقة التي يظهرها المقاتلون داخل المعارك بعبارة تستمد حركتها من الحدث المنظور وصورة تعتمد الوانها من الساحة القريبة وحكاية تجمع تفاصيلها تركيبة المنظر المعاش . وقد اضفى هذا

اللون على قصيدة الحرب بريقا متميزا ، وحركة موحية ،واحساسا وجدانيا ظلت الاجيال تحمل اقباسه ، وتروى روائعة ، وتملأ جوانبها وحياتها بفرائد مجده وأبائه . .وعلى الرغم من ان اعدادا كبيرة من الشعراء قد دخلوا التاريخ وهم يروون احداثه ، ويسجلون وقائعه ، فأن اسماء كثيرة اخرى شاركت في احياء هذا الشعر وقدمت من روائعه ما ظل حيا في ذاكرة التاريخ لكنها لم تقترن بما قالت فجاءت مقطعات كثيرة خلوا من الاسماء اكتفى الرواة او المحدثون بعبارة (قال احدهم) . . او (قال الشاعر) . . او (قال) .

وهي ظاهرة ألمت بهذا الفن الشعري واوشكنا ان نفقد مادة شعرية كبيرة بسبب جهل قائليها ، وقد ترتب على هذا الضياع اغفال جانب واسع من جوانب هذا الباب لان الباحثين لا يستشهدون بالشعر غير المنسوب لاسباب تتعلق بصعوبة تحديد المرحلة الشعرية ، وبحراجة توثيقه الشعر غير المنسوب ، ولو احصينا مجاميع الشعر التي قيلت وهي خالية من الاسماء لتوفرت لدينا مادة جديدة تصلح لتحليلها ودراستها وتوثيق روايتها . وقد احسن القدامى من المؤرخين عندما وجدوا في هذا الشعر بابا واسعا من ابواب الاستشهاد وطريقا صالحا لتوثيق الاحداث والمعارك بما وضعوه بين يد الباحثين وهم يعرضون لمسيرة معركة او حركة فتح أو انهاء رده ، او ايقاف حركة مناوئة ، وعلى النقيض من المؤرخين كان مؤرخو الادب لا يقفون الا على المشهور (في الغالب) ولا يعرضون لامثال هؤلاء الشعراء ، ولا يترجمون لحياتهم ، او يختارون لهم ضمن مجاميع الاختيار حتى اوشكنا ان نغفل كتب الادب عند محاولتنا دراسة واحد من هؤلاء ولعل اوضح النماذج لامثال هؤلاء الشعراء هم (القعقاع بن عمرو التيمي) و (عاصم بن عمرو التيمي) و (ابو نجيد) و (ابو مفزر الاسود بن قطبة) و (هاشم بن عتبه) الذين ارخوا الحروب العراق وخاضوا ميادين القتال ، وكتبوا اعز الصفحات ، وسجلوا ادق اللحظات الحاسمة لمعارك فاصلة وشاركوا بسيوفهم وجرأتهم وتضحيتهم وشعرهم في تخليد مآثر ايام (اليس) و (امغيشيا) الحيرة) و(عين التمر) و (دومة الجندول) و (الثني) و (الزميل) و(البويب) والقادسية بايامها الثلاثة (ارمات و(اغواث) و(عماس) وما تبعها من ايام (جلولاء) و(نهاوند) و(الري) و(جرجان) و(طبرستان) و(اذربيجان) .

ان شعر الفتوح الذي احتفظت به كتب التاريخ وبعض كتب البلدانيات والمغازى والسير يمثل النواة الاولى للشعر الحربي الذي عبر فيه الشعراء عن الحس الوجداني الصادق وهو يتردد على لسان المقاتلين ويعبر عن وجدانهم الحي ويعيش معهم لحظات المجابهة الصادقة ، وقد ابدى فيه الشعراء الفرسان او المقاتلين الواناً من المعاني التي تطورت مفاهيمها بتطور صناعة الحرب وتغيرت خصائصها بتغير اساليب القتال ، بعد ان انتقل العرب من ارض الى ارض واستبدلوا سلاحا بسلاح ، وانتهجوا مناهج جديدة تتوافق مع طبيعة الظروف المستجدة ، وقد اكتسبوا خبرة الميدان ، وخبروا طرق المجابهة ، وتعاملوا مع طبيعة الحالة التي اوجبتها سياقات التطور ودواعي الصراع .

وقد اختلطت هذه الصور بجانب (وحي ملموس تجلى في حلاوة الاستشهاد واقترن بذكرى نعيم الجنة ، وانساب الى نفوس المؤمنين قيمة انسانية عظيمة ، وتضحية بطولية خالدة . فكان حب الموت اقوى من حب

الحياة ، وقدرة الاندفاع للقتال اشد من نزعة التردد ، وعذوبة طعم الانتصار اعذب من مرارة الهزيمه .

ومثل ماكانت اسباب الخلود تدفعهم الى الاقدام الواعي وتستحثهم على اسقاط جبروت التسلط والشرك الوثنية ، فأن نزعة الشوق الى الارض واستجابة الحنين الى الوطن والاهل كانت تعتلج في قلوبهم وهم يقفون فوق ارض محررة ، فينزعون عنها غشاء الكفر ويبعدون عن اهلها سيطرة الخنوع ، ويعيدون اليهم الوجه الانساني المشرق . فكان لذكريات الاهل صوت حي في ادب الحرب وكانت لمراجع الصبا ايام حلوة في قصائدهم وهم يذكرونها في ارض بعيدة فيستلهمون من وفائهم حق الدفاع ، ومن اخلاصهم وجه المقاومة ،ومن حرصهم قدرة التضحية .

ان هذه الاوليات التي اردت الاشارة اليها تضع قاعدة للدراسات الادبية التي يمكن ان تقدم مادة في هذا الفن الشعري الخالد ، وان هذه الصورة التي حاولت جمع شتاتها في هذه العجاله تعطي الدارسين وجوها للمقارنة وهي متشابهة وتحدد لهم الاتجاهات التي اعتمدها الشعراء المعاصرون وهم يقفون امام المعركة الحاسمة التي امتد اليها التاريخ ليشد بين مفاصلها وقد تكررت بكثير من الوجوه ، وتقاربت في العديد من النوازع .حتى اوشكنا ان نقرأ ايام القادسية الاولى في وجوه الرجال الاشداء الذين استلهموا العزيمة من اجدادهم الميامين ونتلمس نفحات الشعر في قصائد الشعراء المؤمنين الذين وقفوا على مقربة من الخطوط الامامية او شاركوا في اشد الملاحم ضراوة وخرجوا وهم يحملون الراية كما حملها القدامى ويكتبون الملحمة كما [illegible] الفرسان الغر

والحرب ظاهرة لها خصائصها وانفعالاتها ، ولها حوافزها وتطلعاتها تستثير في النفس عوامل التوثيب ، وتبعث في اوصال الانسان الاحساس بالخوف والرهبة من جهة وحب الانتصار من جهة اخرى . وقد ادرك الانسان هذه الظاهرة وتعامل معها وفق ماكانت تمليةلا ارداته ، وتحدده ذاته ، وهي في كل حالة تلازم لونا من المشاعر ، وتعبر عن جانب من جوانب التداخل النفسي والشعر في حالاته المختلفة واجهة من هذه الواجهات ، وصدى انفعالي حاد لما يعتور الانسان من هذه الحالات وقد ادرك الانسان منذ مراحله الاولى هذا الاحساس ، فاستجاب له ، وتأثر به ، وخضع لعوامله الدافعة ، واسبابه الحادة . وقد قدم الشعراء وعند مختلف الامم انتاجا ادبيا وفيرا عبروا فيه عن هذه المشاعر ، وحددوا الاساليب الفنية التي اختاروا لها الفاظهم وصورهم تراكيبهم وقوالبهم الدلالية ، مستمدين المضامين المعنوية من وجدانهم القومي ومعبرين عن التطلع المشروع الذي تجسدت فيه نوازع الانطلاق والتحرر والمقاومة والحرب في كل اشكالها ومنطلقاتها كانت عاملا من عوامل اذكاء الشعر وتأجيج اواره ، وخلق الابداع المتمثل في تسجيل بطولات الرجال ، وتقديم النماذج المتقدمة التي اظهرت في صولاتها مواقف مشهوده واعمالا جليلة ، وتضحيات نادره ، فهي في حقيقتها دافع مباشر من التحرك والانبعاث ، كما انها ظلت عاملا من عوامل الاستلهام المباشر للمواقف الجريئة التي سجلتها الامة عبر تاريخها الطويل ، وبهذه الخصيصة يحقق (شعر الحرب) مرحلة التواصل التاريخي الحي ويطوي مراحل التراخي التي عاشت في ضمير الامة ، وهي غير قادرة على تجاوزها وتبعث في نفوس الابناء اسباب التوجه لاختراق حجب المواقف المتخاذلة التي علقت ببعض المفاصل ، الامة تشعر ان هذه المواقف هي ليست حالتها الطبيعية لان المسار النضالي لها ، والاهتداء الواعي بمبادئها ورسالتها كانت تتحقق في حالة الاستمرار وعندما تكون اسباب القيادة قد وضعت في ايادي ابنائها الحقيقيين . نشعر الحرب هنافكان حلقة من حلقات التواصل لاختزال الفترات التاريخية وهو ينقل الحالات الانسانية الرائدة ويستمد اصوله من موحيات الاقتدار المتدفق في تراتيل الشعراء واحاسيس المقاتلين منهم وقد حفلت اشعارهم بالصور النادرة والاحداث الفريدة والحالات الانسانية الصادقة واقترنت كثرة فرائد هذا الضرب الشعري بكثرة التحديات التي كانت تتعرض اليها الامم ، او تجابهها وهي في حالات النهوض والتقدم ، لان فن الشعر الحربي وسيلة اخرى من وسائل الاشعاع ، ووعاء نابض من اوعية القيم السامية التي تحملها هذه الامم رهي تتدفع لترد عنها اعباء الهموم التي حاولت ان تستبد بها وتحول دون استمرارها في مسيرة الحياة ، .وقد التفت العرب الى هذا الجانب وخاصة من ارخ للشعر العربي دروس احوال الشعراء وقدم مجموعة من الضوابط والاحكام والمقاييس لتقويم الشعر وتوثيقه فقال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (القسم الاول ـ ٢٥٩) وبالطائف شعر وليس بالكثير وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء ، نحو حرب الاوس والخزرج ، او قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة (مايستثار من شرور بسبب العداوة) ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعر عمان واهل الطائف في طرف

فأبن سلام وضع قاعدة لكثرة الشعر ، واستخلص قاعدة لقوله ، وسببا لاستثارة دواعيه وهي مسأله ظلت

قائمه في العصور التي تلت ، لان شعر الحرب لايقف على وصفها ، ولاينتهي عند حدود مظاهرها الواضحه ، وانما يتجاوزها للتعبير عن كل ملمح من ملامحها ، ويتسع ليشمل كل طرف من اطرافها ، ويبتعد ليصوز كل حالة من حالاتها ، فشعر الحرب ساحة يتحرك عليها الشعراء بحرية واسعه ويأخذون من دائرتها مايغني عطاءهم الشعري مادتهم الادبية ويضفي على معانيهم من الالوان والاحاسيس ما يجعلها زاهيه وحادة في آن واحد . وتستلهم من الايام ، وصور الابطال ، وتضحيات الرجال وتوثيب العزائم مايمنحهم قدره الامتداد والتوسع في ميادين رحبة ، تتعزز في صورة البطل الفذ ، وتتجسد في ارادة المقاتل الشجاع ، وتتمثل في مصاولة المؤمن المتمكن وهي حالات قائمه في الفنون الشعريه التي يستوعبها المحيط الشعري لادب الحرب ، وقد زخر بالايام الخالده ، والمآثر المحموده والمواقف المشهودة . وكل ماتجاوز مرحلة ، او غادر عصرا استلهم منه مواقفه ، واستل من تراثه ايامة ، واستشهد على محامدة باعمال رجاله ، فكانت سلاسل الابطال تتداول في قصائد الشعراء ، وتضحياتهم تمر عبر القوافل الطويلة من الرجال وكان القوم يجدون في هذا الشعر هدية متميزة ، وتاريخا قوميا يستأثر به ويفاخر بامجاده كلما وجدوا في ذلك حاجة ، وكل ماتشابكت في سماء الزمن اصابع التردد والتخاذل والتناقض ولعل المجاميع الكبيره التي اختارها الرواة الاوائل من قصائد الشعراء ومقطعاتهم كانت ترسم هذا الاتجاه ، وتسجل الحقبة التاريخية التي عبروا فيها عن الفنوات الواعية التي تمر عبرها مشاعر الامة وتقرأ في اطار حركتها وقائع الاحداث ، وتوجه في مسارها تطلعات المستقبل الحضاري والفكري والتربوي .

وقد اقترن شعر الحرب بالخصائص الذاتية التي عاشت في وجدان الامة وهو يسجل ضروب الشجاعة ، واصناف التضحية وصفات البسالة والجرأة والاقدام ، ومثل ما اقترن شعر الحرب بعوامل الاستثارة ، ونزعات التوثيب ، واسباب التحدي فأن كتب الحماسة التي بقيت تشغل مساحات كبيرة في ديوان الادب العربي كانت تقترن بفترات التراخي ، والتفكك ويجد فيها مؤلفوها عاملا حاسما من عوامل تقوية العزائم ، واستنهاض الهمم ، وتربية الاجيال تربية سلية ليكونوا قادرين على مواجهة الاحداث الكبيرة التي تلم بالامة وتحاول الاخذ بخناقها وهي تتعرض لحملات التحدي ، وتضطر تحت ظروف التمزق ان تدافع عن وجودها وكيانها ووحدتها والذين انبروا لهذه المهمة من اصحاب الحماسات وكانوا من المفكرين الذين شعروا بأهمية هذا الضرب التاريخي من التأليف ، فأبو تمام الذي ظل يحمل في اعماقه جذوة الوحدة العربية الممتدة من الشام الى بغداد ، والفسطاط .

وفي كل موضع من هذه المواضع اهله واحباؤه ، وابو تمام الذي كانت مراثيه للقاده ومدائحه لهم تأتي من خلال احاسيسه الاصيلة ، وهي تتجسد في صور المديح وتتدفق في معاني الرثاء لان الشاعر كان يستذكر امجادهم ، ويستلهم عن ايام العرب ما يؤكد استثارة الهمم في نفوس المقاتلين ، وغالبا ما كانت قصائده حافلة بذكر البطل والفتى ، وكان ابو تمام يدرك اهمية شعر الحماسة وفي حقب بدأت حركات التمرد تشتد ، وصيحات

التنزق تعلو وجة الدولة العربية ، وعناصر الشعب تمد نفوذها الواسع لتقليص رقعة الامة وقهر انسانها وتحجيم حركتها التاريخية وقد شهد عصره تمرد (بابك الخرمي) . (والافشين) وبداية حركات اخرى كان حقدها الشعوبي يستر واعمالها التخريبية تتسع ، وامام الظواهر التي بدأ المجتمع العربي يواجهها مواجهة فعلية ، وفي مجتمع تحركت في داخله اسباب التشكيك وعوامل التأويل الباطني ، وانتشار الدعوات المضللة تحت اغطية الدين وفي حدود واجهات حب آل البيت (عليهم الاسلام) .

كان ابو تمام الطائي يعد لوضع نهج تربوي ، ويسعى من اجل احداث نظرية ادبية ، واقامة سياج من التحصين الذاتي للحفاظ على الشخصية العربية والتمسك بالخصال الحميدة ، والتوجه الى غرس القيم العربية التي عاشت في الوجدان العربي خلقا قويما ، وصفات كريمة ، واعدادا تربويا رفيعا . ويختار لكل حالة ما يوفق فيها بين الذوق العربي ، والاستعداد الادبي المناسب ، ولم يقتصر ابو تمام على وضع كتاب واحد في هذا المجال وانما جمع حماستين كانت الاولى حماسته الكبرى التي وصفت بهذاه الصفة تميزا لها عن الحماسة الاخرى التي سميت الوحشيات وهي الحماسة الصغرى ونشرها وعلق عليها وحققها عبد العزيز الميمني الراجكوتي (رحمه الله) .

ويبدو ان توجه ابي تمام لهذا الفن الشعري ، وايمانه بالمعاني الكريمة التي حملها شعر الحرب ، والفنون الشعرية التي صاحبته ، قد حملته على وضع الكتاب الثاني (الحماسة الصغرى) استكمالا للمهمة القومية ومتابعة للفكرة التي آمن بها في حياته . وهذا يسقط الفكرة التي ظلت عالقة في اذهان الاجيال التي ربطت بين تأليف كتاب الحماسة وعودته من بلاد خراسان بعد ان قصد عبد الله بن طاهر وهو يريد العراق ، وعند دخوله العراق اغتنمه ابو الوفاء بن سلمة فأنزله واكرمه ، وتستمر الرواية التي اقتصها التبريزي في شرح الحماسة وهو ينفرد بها ، حتى يقول : فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم ابا تمام ذلك واحرج صدره ، على حين سر ذلك مضيفه ابو الوفاء ، فأقبل على ابي تمام وقال له : وطن نفسك على هذا المقام فأن هذا الثلج لا ينحسر الا بعد زمان ، واحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها . وتظل هذه الرواية هي الحل المقبول عند النقاد القدامى والمحدثين ويبقى عنصر (الصدفة) هو الذي حرك (ابا تمام) وحمله على وضع هذين الكتابين اللذين ساهما في رسم منهج ادبي عريق في وضع كتب الاختيار . .

وتموت في خضم هذا الحديث قدرة الشاعر الفذ وتتبدد صورة التطلع الفكري وتنتهي افكاره الخيرة التي حاول التعبير عنها من خلال هذا التأليف الرائده ، لانها جاءت عن طريق (الصدفة) . والغريب ان مثل هذين الكتابين اللذين أرخا لا وسع مجموعة من الحرب شعر (الحماسة بما فيها من معان) بيرر تأليفهما بطريقة عفوية تبتعد عن المنهجية ، ولا تتصل بأية فكرة مسبقة ، بمثل هذا العمل الموجه .

وابو تمام لم يقف عند هذا الحد وانما كان حريصا على تجميع الشعر العربي الذي ما انتهى الينا مما قالت العرب الا اقله ، ولو جاء وافرا لجاء علم وشعر كثير كما يقول ابن سلام نقلا عن ابي عمرو بن العلاء ، فالشعر

عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون ، ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوط قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لشعراء كثيرين عرفوا بكثرة الشعر وشهدوا وقدموا . . وابو تمام الذي حرص على اختيار قصائد الحماسة كان حريصا على لم اشتات الشعر وتجميع اوصاله المتناثرة ، فعمد الى جمع مختار اشعار القبائل وقد وقف عليه صاحب الخزانة ، وانصرف الى وضع كتاب (فحول الشعراء) وهي محاولات لا تخرج عن الاتجاه الذي سار فيه او حرص على ادائه ،او فكر في تخطيط مسالكة ، وهذه مسألة لايمكن تفصيلها في مثل هذا المجال لان دراسة مضامين هذه التآليف وتحليل الواقع التي تقف وراءها والتأمل في اختيار الشعراء والاغراض والمعاني ووضع الضوابط والمعايير تحدد الطريق العلمي والمنهج الفكري الذي اخذ به المفكر .

وفي الربع الاخير من القرن الثالث الهجري يقتفي شاعر آخر من قبيلة (طي)هو البحتري خطوات الشاعر المبدع ، والمخطط الرائد في وضع كتاب في الحماسة يتفق من حيث الفكرة مع كتاب حماسة ابي تمام ولكنه يختلف من حيث المنهج ويفترق من حيث التناول ، فهو كتاب اختيارات اعتمدت المعاني الاخلاقية والجوانب السلوكية والخصال المحموده ، ومايناقضها ، وقد غلب عليه جانب الزهد والتقوى ، واندفع مستجيباً الى معطيات العصر التي بدأت تتعاظم في عصر اشتدت به المطامع ، وتعالت صيحات الغدر ، وحاولت القوى غير العربية ان تضغط باصبعها على الوجه العربي لتمسح اصالته ، وتميء اشراقته ، وقد استمر الصراع على اشده بين العرب وغيرهم ، وقد شهد قدرة الدوله تسحق جحافل الزنج واتباع البابكيه ، لتجربة الطويلة الى ان يعرفوا نوازع الانسان الحية ، ويدركوا مقدار الاستجابة لكل قيمة من قمه ، ويستنبطنوا دواخله التى

وتشهد بداية ارتال جديدة من ارتال القرامطة . . هنا كان لا للبحتري من اختيار الطريق الذي اختاره ابو تمام ليحفظ مسيرته من حيث الفكرة ، لا من حيث المنهج ، الدوام والاستمرار ، وليترك اللاجيال العربية مرشدا تظل ملتزمة به وحاملة لواءه، ومستمدة من نماذجه اسباب التقدم ، وقيم المباهاة ، ومثل الالتزام التي يجد فيها طريق الحفاظ على رسالة الامة ، وقد وجد في (شعر الحرب) بغيته وكانت شواهده في حماسته شواهد خلقية رائدة ، ومعاني سلوكية رائعة ، عاشت دلالتها في وجدان الاجيال آمادا طويلة ، وهي ما تزال - ينبوعا ثرا من ينابيع الثقافة الثقافة العربية . .

ويشق المؤلفون هذا الطريق الادبي الرائد وهم يستقرئون شعر الحرب ويرجعون الى دواوين الشعراء ليلتقطوا منها ما يتفق مع المعاني الكبيرة التي وضعها المبدع الاول (ابو تمام) ولكنها كانت تختلف من حيث الاختيار الذي ظلت شخصيته (المختار) وهي المقياس الحقيقي والمعيار الثقافي المناسب وينبرى الخالديان (ابو بكر محمد المتوفي سنة ٣٨٠) و (ابو عثمان سعيد المتوفي ٣٩٠ - ٣٩١) ابنا هاشم ليضعا كتابا في شعر المحدثين ومثلها صنع ابو هلال العسكري المتوفي سنة ٣٩٥ ، وأبن فارس وعبد الله بن محمد العبد لكاني المتوفي سنة ٤٣١ ، وابن الشجري المتوفي سنة٥٤٢ وهي حماسة اقترنت باحداث كبيرة تعرضت لها الامة ،

فجاءت ابوابها مقترنة بباب الشدة والشجاعة واللوم والعتاب والمراثي والمديح والهجاء والادب ، وينهد صدر الدين بن ابي الفرج بن الحسين البصري المتوفي سنة ٦٥٩ اي بعد تعرض بغداد لاشرس هجمة ، واغتيال عروبتها واستباحة محارمها ومحاولة اسقاط دورها التاريخي ، ينهد هذا الرجل لوضع حماسة عدت في حساب الحماسات المشهورة وتذهب بعض الاخبار الى ان مؤلفها قتل على يد اتباع هولاكو مع من قتل مع الخليفه الناصر ، وهي اشارة تحدد لنا الدور الذي قدمه هذا المؤلف وهو يرى جحافل هولاكو تقترب ، وارتاله الصفراء تحرق الارض والانسان ، واوشك ان يطبق

بوبائه على المعالم الانسانية التي قدمت للعالم احل ما وصلت اليه . . وتبقى هذه المختارات الشعرية وهي تستمد اصولها من شعر الحرب تغني حركة الاحياء العربي باسباب البقاء ، وترفد مسيرة النضال والتقدم بعوامل الوفاء للقيم الانسانية الكريمة التي عبر من خلالها الشعراء عن احساسهم بالدور البطولي الذي اؤتمنو عليه .

فالحرب منذ ان عرفها الانسان ، واتخذها وسيلة من وسائله في الدفاع عن نفسه او الاعتداء على الاخرين ـ كانت مثار حديث المشاركين فيها ، وموضع استثارة لمن تهمهم نتائجها ، لان الحديث عنها لا يقتصر على جانب واحد ، ولا يقف عند مسألة منفصلة عن ظروفها او اسبابها او نتائجها ، او ما تؤديه من عوامل غير مباشرة تظل عناصرها ملازمة ، وتبقى اواصرها مشدودة ، واذا كان العرب من الامم التي وجدت في الحرب سببا من اسباب بقائها والدفاع عن وجودها فأن حالتها بقيت قائمة ، وتقاليدها ظلت معروفة في كثير من ضروب الحياة ، وانعكست اثارها سلبا او ايجابا في وجوه النشاط الاجتماعي والثقافي والفكري ، ووجهت كثيرا من انماط سلوك ابنائها الوجهة التي تتناسب مع المرحلة التاريخية التي تخوضها وتتفق مع المطامح المشروعة التي تتوق اليها وتسعى الى تحقيقها في مقطعات شعرية موثقة ، كشفت عن الدقائق التي اغفلتها الرواية ، وعبرت عن الحس الانساني الذي يعتمل في نفوس المقاتلين وصاغت نوازع الايمان المطلق بالجهاد والتضحية ، واستذكرت الاحاديث التي كان يتناولها المقاتلون ، وطبيعة الروح القتالية التي يتمتعون بها ، واساليب المصاولة ، واعداد الجيوش ، وتفاصيل الخطط الحربية ، وتوزيع القيادات واشكال التوجيه والتوعية التي تبعث في النفوس الحماس ، وترسخ اسباب الاندفاع وتشد عوامل المقارنة الى جانب ما كانوا يفخرون به من ايام ، ويمدحون به من اوصاف ، ويستخدمونه من وسائل لاضعاف قدرة الخصوم ، ونزع مقومات الثقة ومن الطبيعي ان يكون هذا الضرب الشعري لونا غير مألوف ، او رافدا لم تتهيأله الاساليب الفنية المألوفه في الهيكل الشعري ، وربما كان هذا السبب من الاسباب التي دفعت رواة الادب والمؤرخين لحركته الى ابعادهم عن دائرة الاستشهاد ، وقد ادى ذلك الى اسقاط هذه المجاميع من الشعراء الذين مارسوا الحرب وعبروا عن دقائق احداثها وتفاصيل مجرياتها ، وفصل الاطار الفني او التقليدي عن حلقة الشعر العربي التي لازمت التعبير الذاتي لمسيرة الامة ، وما احتواه هذا الشعر من صور واقعية ولمسات انسانية حية عاشت في وجدان المقاتلين وهم يقفون وجها لوجه مع الحدث ، وينقلون الموقف

البطولي من ميدان المعركة . .

هذا الشعر كانت له لغته المستوحاة وكانت له إساليبه المستنبطة من الواقع الشعري الذي فرضته الاحداث الحادة والوقائع الحاسمة ، ولم تفرد لهذا الشعر دراسة خاصة ، على الرغم من انه شعر جديد في صياغته وطريقته ومباشرته ودلالات الفاظه التي اكتسبتها من النمط الجديد للحياة الاسلامية وقد اتسمت بالبساطه وعدم التعقيد والابتعاد عن الغرابة وتناول الحدث باقصر الاساليب والتاكيد على ذكر الموقع ، والصدق في التعبير عن التضحية والجراة في مجابهة الخصوم ، والاشادة بمآثر المعارك ولم ينس هؤلاء الشعراء وهم يتحدثون عن معدآت الحياة اليومية للمعركة عن الثقة العظيمة والنصر الكبير الذي يستمدونه من الله تعالى وقوته ، والعزم الذي يعينهم على دحر هجمات المشركين والكافرين الذين لا يكون مصيرهم الا النار . وهنا كان شعر الحرب في هذا التوجه هو شعر العقيدة الراسخة التي اقترن بها والتزم بأداء رسالتها ، فتواصلت في قنواته صور الجهاد ، وامتدت في زهو قوافيه خفقات القلوب المؤمنة وهي تنتصر لقضية الحق ، وتستذكر في دفقات احساسه مآثر الرجال الميامين الذين طرزوا اسفار التاريخ بكل ما يدعو الى الاعتزاز والاباء . . وهذا ما بقي واضحا ومتميزا في الشعر الحربي مهما تباينت دواعيه ، واختلفت اسبابه لان الاحساس بالتعبير عن الحالة الصعبة التي يمر بها المقاتل هي الحالة التي تظل ملازمة للانسان في كل المراحل ، وان الصورة التي يراها هذا المقاتل - على لسان الشاعر - هي الصورة التي تمر امام عيون المقاتلين فوق ثرى كل معركة عادلة ، وعند كل خندق من خنادق الصمود والمجابهة والاستعداد .

للحرب عند العرب كما عند غيرهم من الامم - دواع تستثير هممهم ، وتوقد جذوة احساسهم ، وتدفعهم الى الوقوف امام كل محاولات التحجيم او الاحتواء التي كانت تحيق بهم ، وكانت دواعي الحرب هذه تأخذ ابعادها في صور شتى ، وتتجسد في حالات مختلفة ، يتصل بعضها بطبيعة الحياة ، ويتجاوز بعضها الاخر حتى يصل الى النظام القبلي والبناء الاجتماعي والتكوين الاسرى وفي كل حالة من هذه الحالات تنبعث عوامل وتستثار اسباب وكثيرا ما كانت هذه الاسباب تتوحد لتصب في مجرى المسببات الحادة في تأجيج نارها ، وايقاد عواملها والهاب ما يدعو الى استمرارها . . وقد ساهمت (الموثبات) وهي القصائد التي قيلت لاستثارة الرجال ، وكان لهذا الضرب الشعري الذي يعد من اكثر فنون الشعر توهجا وادعاها لحالات المواجهة التي تتطلبها وتستديها ظروف الاحتدام ويتحكم فيها الاحساس النفسي فيتحول المقاتل الى طاقة متحركة ، وتستجيب لها مشاعر التواصل فتتوجه الوجهة المطلوبة ، وتتهيأ فرص الاستثارة ، وتنشط اسباب الاحساس باهمية الحدث ، وبقدر ما تكون الاستثارة متوافقة من حيث اختيار الجوانب العاطفية ، او التوجه الى مخاطبة الدواعي المثيرة عند الانسان تكون الاستجابة الحاصلة اقوى واشد ، ويكون رد الفعل اقصى وامد . لان اسلوب المخاطبة وانتقاء الالفاظ ودراسة الوضع النفسي وقدرة التحكم في طريقة المعالجة تؤدي ادوارها المثيرة في التحكم بقدرة التوجيه وانتزاع الاحساس المناسب ، وتحشيد القوى الكامنة في النفوس ووضعها في المسار المطلوب وتوظيفها في مجال الحدث المقرر ، والانسان الذي عرف اساليب الحياة ، وخبر وطأة الظروف واستجاب لنوازع المفاضلة في كثير من الحالات ، ووقف على القيم الاساسيه التي تحدد موقعه في كل المجتمعات كان على بصيرة تامة بهذا المسار الطويل الذي قدم له حصيلة غنية من التجارب واغناه باسباب كثيرة من اسباب التحرك .

والعرب الذين ساهموا مثل بقية الامم في التكوين الحضارى وقدموا عبر مراحلهم التاريخية الطويلة ثمرات ناضجة لرحلة الانسان .

وشاركوا في بناء اقدم الحضارات عراقة واصولا ، واستوعبوا دورهم التاريخي والانساني ، ولمسوا - وهم يخوضون غمار الحياة - الوانا من المواجهة ، واشكالا من التحدي ، قد اهلتهم هذه التجربة الطويلة الى ان يعرفوا نوازع الانسان الحية ، ويدركوا مقدار الاستجابة لكل قيمة من قيمه ، ويستنبطنوا دواخله التي لا يمكن ان تنفصل عن اي تكوين من تكويناته . واذا كان احتدام الصراع ظاهرة شهدها هذا الانسان فأن الاسباب التي تكمن في داخله كانت خاضعة وبأي شكل من الاشكال لصور هذا الاحتدام ، بعد ان تمكنت موضوعاتها في نفسه ، وتحركت دواعيها في سلوكه ، ولما كان الشعر وجها من وجوه التعبير ، وحالة من حالات الاستجابة فقد استطاع هذا الانسان ان يوفق في استخدامه لما يراه مناسبا ولما يتحقق في ذاته من احتدامات .

والتوثيب في الشعر العربي حالة حية احسن استخدامها الشعراء العرب واستطاعوا الوصول الى تهيئة الاجواء المناسبة عندما يجدون انفسهم بحاجة الى توحد ، ويشعرون بالخطر يتهددهم ، وبالاعتداء يقع عليهم ، وكانت

الموثبات من القصائد المصاحبة لكثير من الاحداث . والمواكبة لاهتزاز المشاعر القومية ، وقد وجدت فيها النساء الهابا حماسيا لدواخل الرجال ، واستثارة واعية لعزائمهم وخاصة في حالات المواجهة وعند احتدام المعارك ، وقد أخذت مساحتها الواسعة في ميدان الشعر ، بعد ان وجدت الحماسة طريقها الى كل نفس ، وتحققت في كل ذات ، واستقطبت اغراضا لها صلتها في الاحجام الوجدانية الواعية . وبقدر ماكان التوثيب حالة للاستثارة ، ومدعاة للتحفز فأنه كان ينطلق من ايمان الموثبين بتفاهة الحياة بعد ان شعر الانسان وبضآلة الاستمرار في الحياة في حالة التراجع والتخاذل والانكسار ، وعندها تفقد الحياة طعمها ، وتموت في دواخل الانسان اسباب التطلع ، وتتيه في حشرجات اليأس بوارق المواجهة والتحدي ، وفي كل لون من الوان التوثيب ترتفع صيحات الاستهجان من مواقف التخاذل وتعلو نداءات التعبير من حالات التردي في اوقات التردد او الاحجام او التنصل عن المشاركة الفاعلة في الدفاع عن الحق .

وتتوالى صور التعبير التي تجد فيها النساء مساحة كبيرة من الحديث وميدانا واسعا من ميادين الاستخدام المناسب للالفاظ الموحية والصور المثيرة والعبارات الحادة ، لانهن يمثلن النقطة المتحركة في اطار الحماية ، والبداية المطلوبة في استئثار الرعاية . وعلى الشفتين تتوارد دلالات الالفاظ التي تشد المقاتلين الى الثبات ، وفي الصور التي يقدمنها تتحكم ارادة المخاطبة والتهكم بعد ان اصبحت المرأة قريبة من الاحداث ، موصولة بالاطار العام الذي يتحرك فيه وعنصرا حاسما في بعضها ، او طرفا مؤثرا في بعضها الاخر .

وقد استطاعت من خلال حسها المرهف ، وتمكنها من معرفة النتائج ان [illegible] قصائد التوثيب من القصائد التي تركت اثرا متميزا في شعر الحرب ، لانها [illegible] طبيعة المواقف القتالية ، ووجهت بعبارات مؤثرة دفة القتال . وقد دفعتها هذه المواقف الى ان تأخذ دورها الخطر ومشاركتها الفاعلة في بعض الاحداث التي ألمت بالامة وهي تعرض رأيها بشكل [illegible] وتقول كلمتها بهيئة قصيدة شعرية ، او قطعة قصيرة ، او ابيات مفردة . وقد امتلكت زمام المبادرة في [illegible] المروءة ، وبعث عناصر المقاومة ، وتنشيط اسباب التواصل في القتال . وايقاظ مظاهر الحس القومي الرافض لكل وصاية او إحتواء . وكانت اصداء هذه القصائد تمثل الاصوات الضخمة التي تدق في دروب استعادة الحق ، واسترجاع الكرامة وايقاف زحف القوى الغادرة ، وترسم حدود الموقف الرافض لكل محاولة من محاولات تذويب القضايا المصيرية ، وقد كشفت المرأة في هذا الجانب - عبر سلسلة نضالها الطويل - عن مشاركتها الفاعلة والمؤثرة في الوصول الى مواطن الشعور عند الرجال ، ومكامن التحرك في ذاتهم ، وبؤر الاستثارة في وجدانهم ، لترفع في قصائدها اسباب الاعتزاز ودوافع الثأر للكرامة وتوازع الشجاعة عند احتدام المعارك .

كما اكدت رفضها لكل صيغة من صيغ الخنوع او محاولة من محاولات القهر لارادتها ، وهي في كل مرة من هذه المرات تتحمل اعباء التوجيه ، وتسعى من اجل استعادة الحق المهدور والكرامة المستباحة وقد تركت

لنا (الشموس) وهي تسجل رائعتها المشهورة اطيب الذكر واخلد الاثر ، وقد افتتحتها ببعض الابيات حتى قالت :

فموتوا كراما او اميتوا عدوكم ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
ولو اننا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لا نقر بذا الفعل
ولاتجزعوا في الحرب ياقوم انها تقوم بأقوام كرام على رجل

ومثلها صنعت (خويلة) عجوز بني رئام و (ليلى بنت لكيز) و (كبشة) اخت عمرو بن معد يكرب وغيرهن ممن شاركن في هذا الفن الحربي ، فأصابت كلماتهن قلوب الرجال ، وتركت اثارها الحاسمة في سلوكهم ومواقفهم فكانت انتفاضة الشرف وصورة استفزاز المشاعر والهاب حماس الرجولة ، وبقيت هذه القصائد وما اثارته من مشاعر تمثل النموذج الملتهب الذي يملأ النفوس بكل ما يدعو الى الاقدام دفاعا عن الحمى وذودا عن الحق واستبسالا في استرجاع المجد .

وبقي صوت الشاعر في التوثيب واستثارته في التحريض شاهدا متميزا ، وصوتا مرتفعا ، واذا كانت المرأة الشاعرة تؤدي دورها في قصائد التوثيب وتتحرك في مجال دائرة الاحساس التي عرفت خوافيه ، فأن الرجال قد طرقوا هذا الباب ودخلوا هذا الميدان بقصائد (موثبة) مستخدمين ما يتناسب مع دورهم الرجولي ومدركين لما يمكن ان يضع قصائدهم في الموضع الملاءم ، ولكنهم ظلوا غير قادرين على استيعاب الحالة القتالية التي توصلت اليها المرأة وهي تضرب بالفاظها اوتارا صاخبة الرنين وتختار الوانا شديدة التأثير في مجال المفاضلة

وما يزال باب هذا الفن الشعري من الابواب الجديدة التي لم يكتب عنها الا القليل ، ولم تفرد لمجاميعها الا الفصول اليسيرة بعد ان ظلت تأثيراتها في حركة الشعر تخترق الحجب وتستثير المواقف ، وتهيئ العزائم حتى يومنا هذا واذا كانت الدراسات قد افردت لها (رسالة ماجستر) فأنني مازلت اعتقد بأن البحث متسع لتقديم تحليلات اخرى لهذا الغرض الذي ظل يوقد جذوة الحس القومي ، ويوزع في نفوس الناشئة اسباب الحرص على القيم الكريمة والمثل النبيلة لانه يصيب جوهرها في معالجته ويستثير كوامنها في تعرضه ، ويتناول مادق من اجزائها في تعبيره ودلالته .

١) الموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام . محمد عبد الفتاح / رسالة ماجستير مكتوبه على الآلة الكاتبة نوقشت في كلية الاداب - جامعة بغداد

اذا كان الشعر العربي قد اعطى هذا الجانب مساحته في قصيدة الشعر فان المضامين الانسانية الاخرى كانت تأخذ مساحة غيرها من المساحات الفسيحة التي زخر بها هذا الضرب الفني فكانت قناعة الاستشهاد الراسخة والاستعداد للتضحية والاستمرار في دفع ضريبة الدم صوتا للشرف واقتناعا ـ بتحقيق السيادة . وكانت من القيم الخيرة التي دافع عنها المقاتلون وعبر عنها الشعراء من ابناء هذه ابناء هذه الامة . وحرصوا على تحقيقها في كل مجال من مجالات الحياة وهي قيم اصيلة وموروثة ومثل انسانية استمدت قدرتها من نفوس الابناء البررة واكدت حقيقتها في النماذج الشعرية التي امتلأت بها كتب الاختيار ودواوين الشعراء وعبر العصور الطويلة ، وخلال المعارك الطاحنة ، وفي ظل المجابهات الحادة التي عاشت في نفوس الاجيال ، واصبح الاستشهاد مدعاة للفخر ، ومثارا للاعتزاز وموقفا بطوليا من مواقف الشجاعة والانتصار ، وقد دفعهم هذا الى حمل نفوسهم على المكارة فركبوا الموت خشية العار واستطابوا الموت عند المنازلة وكان شعارهم : (٢

اذا ما رأينا الموت لم نلف عنده   هجاجا ولم نهرب ولم تتفرق

ولكننا لم نأت حتى نديثـــــه   بأسيافنا من بين ماش ومعنق

وفي التضحية التي عرفتها ساحات المعارك نماذج متقدمة تزاحمت في تقديمها قوافل الرجال وتسابقت الى الوصول اليها مواكب المقاتلين وهم يردون مناهل الاستشهاد ، ويدفعون النفوس رخيصة ارضاء لعظمة المبادئ ، ووفاء لسماحة العقيدة الموحدة . وتبقى صور الرجال الافذاذ الذين استرخصوا الحياة لواء خفاقا من الوية العز والاباء وهي تتحرك في دواخل المضامين الشعرية ، وتزهو في نماذج الشعراء وهم يعلمون ان التضحية التي آمنوا بها وجه من وجوه المجد وان صداها يخترق الزمن ، ويتحدث الى الاجيال ، وانهم يتركون مآثر تحمد ، ومكارم تخلد ، وان حياتهم الكريمة التي قدموها قربانا لتراب الارض تسجل الخطوات المحمودة التي آمنوا بها وقدسوها وعاشوا من اجلها ، وانها بقيت في وجودهم حسا متميزا ووجودا انسانيا حيا . وان ايمانهم بهذه القيم ووفاءهم لهذه المبادئ جعلهم اكثر اندفاعا في القتال ، ويظل رمز عبد الله بن رواحة هو الاطار العام الذي تجاويت في اعماقه نفوس المؤمنين ، وانسابت في معانيه احاديث الرجال وهم يجابهون الموت ، ويقفون وجها لوجه امام احداثه الجسام . (٢)

١ ـ يانفس إلا تقتلي تموتي   ان تسلمي اليوم فلن تفوتي

٢ ـ أو تبتلي فطالما عوفيت   هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد اعطيت

وهي اصداء لا حاديث الشعراء الفرسان الذين لا تخيفهم الحتوف لانهم آمنوا بالمنايا وان للنفس حينا تحين فيه ، واجلا تنتهي عنده فتمادحوا بالموت في ظل الرماح ، وتفاخروا بالقتل عند اشتداد المعارك وقد بقيت جذوة هذه التضحية وهاجة في سجل الامة وهي تمد الاجيال بعطائها الخير ، وتواصل مسيرتها . .وقد حاول الشعراء ان يبدعوا في تصوير هذه الحالات ويقدموا وهم يقفون امام تيارها تجاربهم وجرأتهم وثباتهم حق

اوشدنا ان نقرا في صفحاتهم صورا متراصة من التضحية ، واسفارا متتالية من الصدق في العقيدة ، واوجها متتابعة من اوجة الاقتدار البطولي ، وقد حفظت لنا ايام العرب بحروبها الطويلة والقصيرة اكداسا متراكمة من شعر السير ومجاميع حافلة من قصائد الشعراء الذين خلدوا هذه الايام وتابعوا احداثها وتمثلوا حقائقها المباشرة . وبقي هذا الشعر يطوى في حديث الايام ويفسر في ضوء الوقائع وتنتزع منه بعض الظواهر لتكشف عن حالة من حالاته ، وبقي معه الفن الشعري الاصيل الذي عاش في نواته ، واستقر في ذاته وحامت حوله كثير من مستحدثات التحرك اليومي لكل حادثة او واقعة .

وقد ظهرت في الفترة الاخيرة دراسات جادة لشعر الايام وقفت عند تحليل كثير من جوانبها وانسحبت هذه الدراسات على المواقف التقليدية الجامدة التي انحصرت في اطار المألوف من الاحكام ، والموروث من التفاسير ، ولكن هذه الدراسات - وان كانت فاتحة عهد جديد في ميدان الشعر في هذا العصر - فانها فتحت الافاق ، ووطدت السبل ، وهيأت الوسائل التي يمكن استخدامها في اعادة التقويم . ولابد ان تكون معبرا جديدا لتراث شعر حربي اصيل ، وجسرا ممهدا لقراءة جادة

٣) الديوان / ٨٧

لمفرداته التي حملت من المضامين ما يقدم تحليلا للواقع العربي ، ودراسة لابعاد الحضارة التي اختزلتها هذه الموروثات وعاشت في اذهان الشعراء الذين استخدموها في صورهم او احاديثهم او استشهاداتهم .

لقد توثقت في نفوس المقاتلين صورة المنايا وهي منهل لابد ان يستقوا منه وان الانسان المقاتل لايمكن ان يكون متقدما وان المواجهة تتم من خلال تفويت الفرصة على الخصم ، ومطاردته واللحاق به ، وان فرصة الموت في الاقبال هي اقل من فرصة الموت في الادبار ، وان حالة الهجوم والانقضاض هي اكثر حكمة من حالات البقاء والاستخذاء ، وتضييع فرصة الهجوم على الخصوم وارباكه اكثر توفيقا من التراخي والانتظار .

وقد ظل هذا الاطار متواصلا في الشعر ، ومحمودا عند الشعراء في ذكر المآثر ، والوقوف عند المحامد ، والاعتزاز عند المناجزة المناظرة حتى عدت ابيات الحصين بن الحمام المرّي من النماذج الشعرية الخالدة في تأكيد هذا المعنى . (٤)

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد
لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا
ولكن على اقدامنا تقطر الدما

فالطعن في الصدور هو صفة الشجاعة ونزول الدم على الاقدام هو دليل الاقدام وهذا ماتعود عليه المقاتل العربي وهو يواصل ترسيخ قيمة الاصيلة ويفخر بوفائه لها ، ويعتز بوراثته لما حرص عليه الآباء ،فكان يستلهم من معانيه معاني الرجال الذين سبقوه فيها ، ويقاتل بروح الامة التي ورث مجدها ، ويعبر عن الصورة العزيزة التي عاشت في وجدانه وانتقلت في موروثه الفكري والحضاري فكان كل شاعر من الشعراء

يؤدي مهمة حمل (الصيغة الشعرية) بكل محتواها ، وينقل (الحالة التعبيرية) بمفرداتها الى الجيل الذي يرى فيه وفاء الامانة ، وسلامة الحفاظ وقدرة المسؤولية . فعاشت قيم التواصل في ضمير الرجال واستمرت صورة الاعتزاز في نضال المؤمنين ، واستفاقت صيحات النهوض في خفقات الشعراء الذين كتبوا شعر الحرب ، وعرضوا لاغراضه الفنية بما يتفق مع انسياب حركته الرائدة

٤ ـ حماسة ابي تمام / المرزد في / ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨

وتحقيق مصالحه المشروعة طريق اداء الرسالة الانسانية التي كتب على هذه الامة حملها ، وعلى قادتها رفع رايتها . . وظلت اسباب هذا التواصل واعتبارات الحالة الجماعية هي الصوت المرتفع في المحتوى القتالي وارادة الانسان وهو يشعر بقوة الاخرين من ابناء امته هي الصيحة المرتفعة في خفقات المواقف القتالية الراهنة ، وتحديات القوى الباغية التي ارادت لهذه الامة ان تقف عند حدود مرسومة ، فحاولت اسكات صوتها ، فضمير الجماعة في قصيدة الحرب كان لونا شعريا واضحا والحس القومي المعبر في صورة الجماعة هو الاسلوب المعتاد ، شعورا بالقوة ، واحساسا بايحاءات الانتماء التي وضحت في حالات التعبير فكانت الفاظ (انا) و (انفسنا) و (اموالنا) و (ايدينا) وكل الالفاظ التي تختتم بالضمير (نا) وقوافي الشعر التي تنتهي بضمير الجماعة كما هو الحال في قصيدة عمرو بن كلثوم وبشامة المشلي وعبد الشارق بن عبد العزى الجهني وعشرات القصائد التي تحدثت بصيغة هذا الضمير ، واستمدت قوتها من القدرة الجماعية التي وجدت في التعبير جانبا من جوانب الثقة ، وصوتا من اصوات الاحساس بمسؤولية الوقوف والمجابهة والتحدي ، وقدرة متداخله من قدرات التاريخ المشترك الذي يجمع الابناء عند اشتداد المواقف ، ويوحد اهدافهم عندما ترفع دواعي الخطر عقيرتها ولتجهز بحقدها لاطفاء شعلة التواصل التاريخي .

اوليات شعر الحرب عند العرب

(٤)

ـ وصورة الحرب في القصيدة العربية القديمة صورة متسعة تمتد اطرافها حتى تضم جوانب المعركة ويتحرك في مدارها الفارس حتى يلون قسماتها بأزهى الالوان واكثرها اشراقا ، وتتعالى في فضائها لوامع الرماح وهي تشتجر ، وبريق السيوف وهي تتقاطع ، وسوابق الخيل وهي تكر تارة وتفر اخرى ،فهي صورة كبيرة تستوعب القصة الحربية بتفاصيلها وتنفرج لتترك مساحة موزونة لما يريد ان يتحدث عنه الشاعر من ماض تليد واخبار مأثورة وملاحم قبلية راسخة في الذهن وثابتة في الحديث الموروث ، وسعة الصورة تعطي السامع مجالا للاصغاء ، وتترك له فرصة الانتباه ـ والمتابعة ، لان الشعراء يحسون في هذا الامتداد فسحة لقدرتهم الشعرية ، وميدانا لانطلاقهم ومسلكا تتحرك فيه القوافي بلا جهد ، وتنساب فيه الصور بلا تعب ، وتنثال على دروبه العبارات وهي متكاملة دون انقطاع ، ويجد الشاعر نفسه وقد انفتحت آفاق النصيدة امام رغبته التعبيرية الجامحة ، واتسعت رحاب الاختيارات لما حاول ان يعتمده في تقديم اللوحة الشعرية وكأن ايقاعات هذه الصورة وهي ترتكز عند كل (تفعيليتين) متناسقتين وقد تركنا للشعراء فرصة التوقف عندها لتقديم حكمة معقولة ، اذا كان الموقف يقتضي مثل هذه الحكمة ، او رأيا منطقيا تتوازن فيه الاعتبارات المطروحة في مجال الفخر او المديح ، او حجة تسقط حساب الاخرين عند المناثرة ، او مأثره يعجز الاخرون عن الوصول اليها او الادعاء بمثلها فكان لها اثرها في توثيق حالة التأمل من خلال النغم الشعري ، والتحدث في حدود الوزن الملائم لنهاية العبارة . .

ان هذه الحركة النغمية الهادئة ، والصورة الشعرية المتسعة قد اهلت الشعراء للوقوف عند البحر الطويل وقفة طويلة ، والتأثر بحركته الممتده تأثيرا واضحا لانهم وجدوا فيه المجال الطبيعي للمقولة الشعرية المناسبة ، والصيغة المقبولة ، والزاوية المفتوحة التي يمكن ادخال الالوان المختلفة لتسلطها على كل وجه من وجوه المعركة ، وتحديد النضارة اللونية المتميزة لكل لون وفي الحدود المتفق عليها في البناء والاستعمال ، او التقطيع المستمر الذي يأخذ بوحدة اللفظه والتنغيم المضطرد الذي يسبغ على القصيدة صنعة الامتداد والعقلانية ، ويفسح لمعانيها سمة البروز والتعبير فأنه ظل يعطي هذا البحر رجاحة القوة ، وحكمة الهيبة النغمية المعتمدة على جلالة الحرف وحسن تألفها وتناسق تكرارها .

فلغة الحرب لغة واضحة ، يتسرب من خلال الصدق التعبيري ، ويزهو ألق تراكبها في خضم الاحداث التي تناولها الشاعر ، وربما كانت هذه الخصائص من الدوافع الحقيقية التي حملت الشعراء على خوض هذا البحر والوقوف عند حركته التقطيعية والمتكاملة التي اصبحت تستوعب الاحداث التاريخية الكبيرة والتزم به وهم يقتفون اثر البناء التقليدي . . .

واذا تجاوزنا القصيدة التفصيلية ، وتجاوزنا البحر الطويل الذي عمد اليه الشعراء وهم يعرضون لصور

البطولة الموروثة ، ويقفون عند الا مجد العربية العريقة التي وجدت في صورته انفاسا واتساعا ، وعرفت في ابعاد حركته اهتزازا نغميا متميزا فأن البحر الوافر كان استجابة واجبة وسريعة ومتلاحقة لقصيدة الحرب المباشرة والمعبرة عن التأثر الاني والحماسة الثائرة والمخاطبة القوية ، التي تحملها نغمات هذا البحر السريعة ، وزنة الفاظه الموجبة ، وقد اصطبغت بالالفاظ المكررة وعبارات التخاطب التي توجب المواجهة ، او اشعار المخاطب وابلاغه بما يريد ان يقوله المقاتل واندفاعه وراء الحركات الايقاعية الرتبية التي يضخها هذا البحر ويتحرك في اطار نغمتين متناسقتين (مفاعلتن)

ثم يتوقف عند نغمة اخرى تقطع على هذا الانسياب امتداده ، وتوقف تدفقه لتستقر عند (فعولن) التي تغير المجرى النغمي ، وتصد جموحه المتدفق وقد تراءت في كل لفظة اصداء الصورة المتحركة . وهي صورة المحاجة والمواجهة والمقابلة وقد اتسمت كثير من قصائد الفتوح بهذه السمة ، وتحركت كثير من مقطعات المحاربين والمقاتلين من الشعراء صوب هذا الاتجاه الفني المقبول . ولعل في قصائد القعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو ونافع بن الاسود وابو مفرز الاسود بن قطبة خير نموذج لهذه الظاهرة الفنية التي اوشكت ان تكون اشعارهم مقتصرة على هذين البحرين (الطويل والوافر) بعد ان اصبح شعر هؤلاء المجاهدين صورة من صور الجهاد البطولي ، ولوحة من لوحات المجد الاصيل الذي ترسخ في كيان البيان البناء الشعري لهذا الفن ، وعد واجهة زاهية من وجوه التفاعل الحي الذي خلقته تجربة المقاتل وعطرته سيرة الجهاد النبيلة وخلدته قدرة الاستشهاد الصادق ، واكدته بطولة الرجال العظام وهم يقفون على اعتاب المجد ، وينشرون رايات الجهاد ، ويدافعون عن ثغور الدولة الرائدة ، فكانت لهم اسباب الخلود قائمة ، وبقيت مآثرهم في صفحات التاريخ تنبض بالعز والسؤدد وتستذكر بأباء عندما يجد الناس انفسهم بحاجة الى مثل حالة الاستذكار هذه .

واذا كان الوزن الشعري لقصيدة الحرب قد خضع لانعام بطولية متشابهة او عاش في ظل اطار عروض معين للاسباب التي وقفنا عندها او عند بعضها على الاقل . فأن هذه القصائد قد اختزنت معجما واسعا من معاجم الالفاظ الحربية والمواقع التي دارت فوقها والاماكن التي شهدت بطولة الرجال وعرفت قدرة الشجعان البواسل وهم يعطون الحياة حقها ، ويواصلون مسيرة التأريخ الحي بكل ابعاده ، وينشرون قيم الحياة لكل معانيها ، فألفاظ (البيض الخفاف) و(الصوارم) و (السيوف الهندية) و (والقنا السمر) و (الرياح) كلها دلالات حية في بناء القصيدة ، ومعان بارقة في وجوه القصائد وهي تكسب حدتها من شدة المعركة وقوة الاندفاع ، وصلابته العقيدة ، وروعة الانتصار الذي كان يتيح للمقاتلين والشعراء منهم مجال الابداع ، وانتزاع الصور الفريدة ، والاستشهاد البطولي الفذ ، ويضفي على القصيدة وجاهة الصدق التعبيري ، وصفاء القصيدة التي تمازج معانيها ، وتعلو بنصاعة فوق تراكيبها اللفظية ، واذا كانت اشكال السلاح الذي تعاطف معه المقاتل العربي ، وعرف في ابائه اباة وفي عزة عزة فأن مواكب (الكتائب) و (دفعات الخيل) و (المجالدة) و (الجراح) و (الموت) و (اللقاء) و (الثغر المخوف) وغيرها من الكلمات التي كانت توحي بدلالات الحرب او تذكر في حالة الحديث عنها ، كانت تؤخذ مساحة مناسبة من حجم القصيدة وتنتشر على سطور واسعة من سطور الابيات لتشد بين اجزائها المتباعدة وتوحد بين المعاني

المنثورة في ثنايا الابيات ، وكان الشعراء يحسمون فيها مواقف حادة تتعرض لها بعض الابيات ، لان توفير الخزين الشعري من هذه المعاني يعطي القصيدة زهاء حربيا ، واشراقا لايبعد عنها الوجه الحاسمي ولايزيل عن قسمتها ارج العطر القتالي وعبق الجهاد العقيدي المتميز . فالصورة تبقى شاخة وهي تتحد في دفقات المعاني المختارة ، والالفاظ المنتقارة ، والحديث عن السلاح عند شعراء الحرب يعد جزء من اجزاء المعركة ، وعنصرا من عناصر التي تستكمل لها ادوات النصر ، وتحسم بواسطتها اسباب المعركة (فالقناة لدنة)
و (السيف ابيض) و (القوس صفراء من نبع) والشعراء لا يكتفون بتجديد نوع السلاح وانما يستذكرون اقسامها واجزاءها ومضاءها وقوتها وخصائصها واسماءها في كل حالة من هذه الحالات يستذكرون اداءها في المعركة ، وبلاءها في حالات الضيق ، ونعوتها عند اوقات الشدة ، وهم في كل جانب من هذه الجوانب يضيفون اليها حالة ، ويؤكدون فيها صفة جديدة ، لانهم يستمدون من هذا الوصف ثقة ويزدادون به قدرة تذهل عدوهم فسيوفهم ليست كسيوف الاخرين لانها بأياد مؤمنة تعرف كيف تستخدمها ، وعند رجال اشداء يحسنون الضرب بها وضرباتهم تفلق هامات الرجال ، ونبالهم تخرق اجساد الخصوم ، وتزيل الرؤوس عن الاجساد وتنزل بهم افدح الخسائر ، وقد حاول الشعراء ان يمنحوا السيوف الوانا ناصعة والرماح حركة لدنه ، والاقواس اصواتا مرنة ، لتترك اثرها في العين والاذن والتصور ولتبقى قدرتها في المصاولة اشد واقوى ، وربما كان الشعراء يحذفون الموصوف من الصورة لتظل الصفة قائمة ودالة على حالة الموصوف بعد ان اقترن بها وعرف بمتابعتها .
(فالابيض) هو (السيف) و (الصفراء) هي (القوس) و (الرديني) هو (الرمح) و (المشرفي) هو (السيف) واليثربية هي (النبال) و (نسج داود) هي (الدروع) .وقد امتلأت قصائد الحرب بصور الحشود وهي تتزاحم ويحرص الشعراء على تحديد حركتها ، واعداد القتلى وقد تناثروا على ارض المعركة جثثا هامدة ، او لاذوا بالفرار متسترين تحت جنح الظلام ، او متخذين من التلول مخابئ ومن الوديان مواضع اختفاء ، او استسلموا طائعين ، او وقعوا في الاسر وهنا كانت تتجلى اهمية النص الشعري وهو يجدد حركة الفتح ، ويسوق اخبار المعارك ، ويذكر اسماء المحاربين والقادة ، ويحصي اعداد المشاركين في كل معركة ، وفي اضافة هذه الاخبار - التي كانت تبدو غريبة او بعيدة عن التصور - تتوضح صورا لتاريخ البطولي وهو يشهد باقتدار المقاتلين الذين تدفعهم صلابة الايمان الى الصمود والمصاولة وتحملهم على ان يظلوا رافعين راية الجهاد والمقاومة دون ان يعرفوا للتراجع مكانا او التردد والاحجام صورة ، وحتى في حالة التراجع التي تفرضها طبيعة المعارك كانت اسبابها ودواعيها تحقق في ذاتهم مواصلة المعركة ، وترسم لهم حدود الانتصار المرتقب في حساب المعارك الطويلة الامد ، لان معاركهم لاتقف عند حدود موقعة ولا تنتهي في اطار يوم ، فالفكرة التي آمنوا بها حملتهم امانة المواصلة في نشر الرسالة ، والدعوة الى تحرير الانسان ، والذود عن كرامة المجاميع البشرية التي عرفت فيهم دعاة فضيلة ،
وهداة امجاد ، وقناديل رسالة سماوية سمحة وهنا كانت تتجلى عبقرية الشعراء الذين يختارون الزاوية الحادة

في الوصف والشرائح الملتهبة في اختبار الحديث ويركزون على الجوانب التي تفقد الخصم قدرته على الدفاع ، وتبعده عن تناول الحدث الذي يجد فيه لنفسه مأمنا او موقع دفاع ، وتظهر براعتهم باستخدام الافعال التي تؤدي الى اذلال الخصوم ونزع الثقة عنهم والتقليلُ من شأنهم واظعاف قدرتهم القتالية ، وكانت هذه الافعال تتولى وهي تجدع الانوف وتهتك البيوت وتحبس الركاب وتهدم الماهات .

ان لغة الشعر التي احسن الشعراء اختيارها كانت مستمدة من واقع الحياة اليومي لمفردات الحرب ومعبرة عن الاحساس الغامر الذي يحكم هذه المفردات وهي لغة مباشرة لا يتكلف فيها الشاعر ما يريد ان يعبر عنه ، ولا يفتش عن اللفظه التي يسعى الى وضعها لتبدو الصورة متكاملة ، لانه في موقف يقتضي منه الحديث الشريع ، واللقطة العابرة والموقف الذي تستدعيه المعركة ، ةوالرد الذي يجابه به الخصم ، وقد جرت هذه المحاولات التي حرص الشعراء على الوفاء بها والالتزام بأدائها ، حرصا منها على تثبيت واقعية الحدث وتسجيل الخواطر المقترنة بهذا التسجيل ، والاحساس المرافق له ، والتأثر الصادق الذي يثيره في نفس الشاعر ، جرت هذه التأثيرات على هذا الضرب الشعري الوانا من العنت والنسيان وافقداته الخصائص الفنية التي تمسك بادائها انقاد ، واعتبروها مقاييس ثابتة باختيار النص الجيد او تصنيف الشاعر في حدود الطبقة المطلوبة فتاغفلت دراستهم ، وضاعت نصوصهم وحرمنا من مواقف شاعرية حية كانت تحمل اقباسا من الشاعرية الحقه وهي تقف وجها لوجه امام التجربة ، وتتفاعل مع الاحساس الحي ، وتتحرك في دائرة الموقف الصادق .

لان كتب الطبقات ومعاجم الشعراء حاولت ان تؤرخ لحركة الشعر العربي وفق ضوابط نقدية تحددت في اطار المعطيات التي حاول ان يلتزم بها (ابن سلام) او يأخذ بها (ابن قتيبه) او يعبر (المرزباني) و (الامدى) . وفي طوايا حديث ابن سلام الذي اقتصر في طبقاته بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من اهل العلم الى رهط اربعة اجتمعوا على انهم اشعر العرب طبقة ثم اختلفوا فيهم بعد .

اقول في طوايا هذا التجديد وفي مقاييس ابن قتيبة تضاءلت صور هؤلاء الشعراء الذين لم يكتب لشعرهم ان يجد محله في مراتب تلك الطبقات او لاسباب اخرى يمكن ان تدخل في اطار وقوعها في كتب المغازي او السير او كتب التاريخ مما لم يدخل في حدود الشعر الذي دخل في مجال الرواية عندما بادر الرواة الى تجميع بعض القصائد المشهورة كما فعل حماد والمفضل والاصمعي في المطولات والمفضليات والاصمعيات وتابعهم الاخفش في كتاب الاختيارين . فهؤلاء الرواة عمدوا الى قصائد لشعراء عاشوا قبل الاسلام وفي صدره او تأخروا عن هذا العصر . وهم يختارون وفق ضوابط مرسومة ، واتجاهات محددة ، واغراض تتناسب مع الهدف المرسوم من هذا الجمع .. فاقتصروا على ماجاء منهم في اطار هذه الموازين ، واختاروا لمن في ظل المقولات الراسخة في اذهانهم .. فتجاوزوهم في الاختيار ، وانصرفوا عنهم في سورة الاستقصاء عن النموذج الفني المطلوب ، والشاعر المكد او بسبب انهم لم يكونوا من اشعر العرب في مذهب من مذاهب الشعر ، او نهج من مناهجه ، او في ضرب من ضروبه ، وهي قاعدة اعتمدها ابن سلام الى جانب اعتماده قاعدة من تشابه شعره منهم الى نظرائه منطلقا من منها الى ايجاد عشر طبقات ، اربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين . وشعراء ـ الحرب الذين تفتقت شاعريتهم في ميادين الجهاد وتوثبت قرائحهم في ميادين المعارك والهبت مشاعرهم وهم يواجهون الحياة بكل اقدارها ويتدافعون لتحقيق امانيهم السامية في الخلود والوفاء ، لم يكونوا من الشعراء التقليديين الذين ملكت صنعتهم القوافي ، وقعدت بهم عن مطالب الحياة اسباب الشعر ، فانصرفوا اليه يحكمون صنعته ويبذلون في نظمه اوقاتهم ، فهم يحملون رسالة الجهاد ويرفعون راية الحق وقد تسلحوا بالعقيدة ، وجاهدوا بالمبادئ السمحاء واستمدوا من قيادة الرسول صلوات الله عليه اسباب الاندفاع والتضحية ، وكان الشعر يجري على السنتهم تعبيرا عن كل هذه المعاني ، ووفاء لالأمانة التاريخ في تسجيل المواقف ، وحرصا على روح الامة في استدامة جذوتها في نفوس الابناء البررة والرجال المؤمنين والمجاهدين الاوفياء .. وان صور النضال الحقيقي والايمان الصادق والتعبير الموحي بروح الاندفاع كانت تبدو في كثير من نماذج اشعار هؤلاء وهي مشفوعة بالثقة المطلقة بالثواب المرجو والحياة الخالدة والقناعة بالوعد الحق الذي وعد به الباري المؤمنين والمجاهدين والصديقين فاسترخصوا الحياة قبولا بالخلود ، وباعوا النفوس طلبا للشهادة ، فخلدوا لانفسهم ولامتهم الذكر الحميد . ان هذا الشعر الذي بقي بعيدا عن التناول يمكن ان يعتمد في تسجيل الصفحات المشرقة من تاريخ النضال العربي والاسلامي ، ويمكن ان يحدد طبيعة الفكر القائد الذي خطط لهذه المعارك التاريخية الحاسمة ، ويصور القدرة العسكرية الفذة التي استطاعت ان تخرج الى العالم وهي تتحلى بروح الانسانية الخيرة وتقدم للعالم نماذج من الرجال الذين بقيت ذكراهم عطرة حتى يومنا هذا ، وان دراسة النماذج المتناثرة لهذا الشعر تعطي الدارسين ابعادا لايمكن ان تكون ظاهرة في غيرها من النماذج لما حملته من افكار ، وعبرت عنه من مواقف لانها مواقف موافقة لحركة التاريخ ومتسقة مع سلامة الاحداث ، ومؤكدة لبطولات كانت الى اوقات قريبة مثار نقاش بسبب التشكيك بسلامتها والتقليل من اهميتها ، وبعد فأن هذه المقطعات تسجل الحقائق الثابتة التي لم تخضع الى تزييف او تزوير او طعن .

وتاريخ الادب الذي يعد جزء لايتجزء من حركة التاريخ قد دخل في معظم الابواب التي اعتمدت النص ، واشارت اليه ووقفت عليه واستخدمته في تأكيد مسألة او تحقيق قضية ، او استطلاع رأى وهذا مايفسر لنا ان كثير من كتاب السيرة والمغازي قد اعتمدوا الشعر في اخبارهم وهم يجدون في روايته متعة ،وفي الاستشهاد به سندا . والاعتماد عليه مشاركة في توثيق الخبر وترسيخ اصوله في نفوس المستمعين . وقد حمل هذا الاهتمام كثير من المحدثين والفقهاء الى ان يطالبوا الرواة واصحاب الحديث بالشعر ومما يروي ان ابن شهاب الزهري كان يقول : هاتوا من اشعاركم فأن الاذن بحاجة فالشعر كان له وقعه في النفس واثره في الحس ، وصفاؤه في موافقة الحدث ، ولونه في استذكار الاحاديث الى جانب استثارته لكوامن النفس ، واستقطاعه بهوامع الاشياء وهو يحمل المشاعر الدافقة ، ويروي الاحداث المسلسلة ، ويوائم بين طبيعة الحروف ، وجرس الالفاظ واستيحاء المعاني ، وربما كان ميل مؤرخي السيرة الكبار من الطبقة الاولى والثانية والثالثة الى الشعر ، وشغفهم به هو السبب في ادخال بعض الشعر في ثنايا السيرة ، والاستشهاد به في توثيق المغازي .

ويبقى ادب المغازي ، شعره ونثره مادة للاستشهاد ، ومدعاة للتمثل لانه كان يدل على اصوات الرجال عند اشتداد الازمات ، ويحمل خصائصهم عند احتدام اللقاء . ويظهر شجاعتهم في حومة المعارك ، الى جانب تجسيده لروح العقيدة الخالصة ، ووفائه للتعابير الانسانية التي كانت تنساب في ثنايا تلك القصائد ، او تمر عبر تلك الاحاديث . ويبقى القها الزاهي ، وحسها الوجداني وشعورها الحي تياراً تتسرب فيه دفقات الوفاء الانساني وهو يجابه الصعاب ويقترب من اللحظات الحاسمة ، ويقف على عتبة الافتراق والتباعد ، ولعل هذه الاحاسيس هي التي جعلت من المغازي صورة تستذوقها الاسماع ، وتلذ بقراءتها النفوس ، وتستسيغ تلاوتها على مر العصور ، مواكب الاجيال لانها كانت تقرأ فيها دقائق التاريخ ، وتحلق في متابعتها جزئيات الاحداث ، وتقف من خلال وقائعها على الجانب الانساني الذي يصعب ان تقف عليه اخبار التاريخ ولعل هذه المشاعر هي التي اعطت هذا اللون التاريخي طرافة الاهتمام الى جانب كل الاعتبارات الدينية والتاريخية لكونها تاريخا لبداية الاسلام ، ومواقف حاسمة في مسيرته ، والوانا زاهية من الوان الجهاد الاصيل لتثبيت اركانه وباعتبارها تسجيلا حيا للعلاقات الصادقة التي كانت تسود الحياة بين الرسول الكريم صلوات الله عليه وبين الصحابة الاخيار الذين بذلوا من اجل بناء الكيان الاسلامي اقصى مايستطيعون تضحية وايثارا ، صدقا وعقيدة ، ومن هنا كان الاحتفاظ بدقائق المغازي جزء من التاريخ الكامل والاهتمام بروايتها والحرص على جمعها واسنادها كانت حالة من حالات التوجه الاول في كتابة التاريخ والبداية المنهجية للطريقة التي وضعت علم التاريخ على طريق التكامل منذ المراحل الاولى لمباشرته . كما ان اصحاب المغازي والسير من الطلائع الاولى لوضع الرصينة لتوثيق الاخبار ، وتحقيق الاسانيد التي شكلت المنهج العلمي الواضح في علم التاريخ عند العرب ، وهي طريقة اعتمدت الشعر سندا والاستشهاد به قاعدة من قواعد منهجه ، التدليل على صدق الاحداث بالاستناد الى محتواه دربا من دروب الالتزام بهذا المنهج الذي بقي واضحا في

التأليف المعتمدة ، والاصول العريقة التي حفظت الاحداث الاولى وخلدت المراحل الاولية التي قطعتها مسيرة الامة ودعوة الحق ، وسيرة الرسول الكريم وطبقات الصحابة والتابعين .

لقد سجلت كتب الفتوح - ولعل كتاب فتوح البلدان للبلاذري - من اجلها اخبار الحروب ، ومكانة المقاتلين والويتهم وهم يسجلون النصر مما كان له ابلغ الاثر في حفظ هذه الاخبار عن طريق الرواية ، وتسجيل الاشعار لان الشعراء كانوا يقفون مع المقاتلين ، ويشتركون في المعارك ، ويخوضون الايام الصعبة ، وقد احتفظت كتب الفتوح باسماء اولئك الشعراء الذين استشهد منهم عدد كبير في البلاد المحررة ، وكانت قصائدهم التي حفظها المقاتلون سجلا من سجلات مشاركتهم الحقيقية في تلك الحروب ، وكان شعرهم لونا فنيا من الوان الشعر الحربي بعد ان تميز بطابع خاص في اختيار المعاني المناسبة والصور الملائمة والبدايات التي كانت تتفق مع طبيعة الاحداث ، وهي بطبيعتها خالية من التعقيد والتركيب ، وتتميز فيها لغة السلاح ، وتتعالى في ابياتها الفاظ الاعتزاز والفخر ، وتتداخل في احاديثها عزيمة الرجال الذين يحققون النصر وينزلون بالاعداء الوان الهزائم ويبدون عند اشتداد المعركة ضروبا خارقة من الشجاعة واعمالا جليلة من البسالة .

كما كانوا يرسمون لنا العواطف الصادقة التي تنتابهم وهم يسجلون تلك الانتصارات ، وشعر الفتوح الذي تناقلته هذه الكتب وثيقة خالدة للوقائع ، وتسجيل لحركة التحرير المتمثلة في الورود على كسرى ودخول (المدائن) قسرا ، وتجاوزهم لجيوش الفرس على كثرتها ، والتوغل في اعماق ديارهم على الرغم من اعدادهم الهائلة ، والاتجاه غربا لدفع مظالم الروم وخضد شوكتهم في اليرموك وغيرها في المعارك وتحرير بيت المقدس والشام ودفعهم عن بلاد العرب واسقاط غطرستهم التي اذلت البشر ، وامتهنت حرمة الانسان ، واستباحت عزته واباءه .. ان هذه الوثائق تعطي المؤرخ مجالا لتوثيق الاخبار المتوفرة ، وتضيف اليه حالات جديدة ، وتفتح امامه ابوابا للمعالجة غير منظورة في تسلسل الاحداث ، وتتيح له التحرك في تحليل بعض المضامين الشعرية ليجد فيها ربطا بين الحدث والواقعة ، وصلة بين التاريخ والادب ، ووجها من وجوه المقارنة بين الخبر والقصيدة ..

وشعر الحرب الذي شغل مساحته الواسعة في الوجود الشعري العربي ودللت ابياته على حالة الاقتدار المستديمة التي عاشت في الوجدان العربي نزوعا الى الاباء ، وردا لاسباب التجاوز ، وايقافا لمحاولات التحدي ، كان ميدانا لاستخدام القصة التاريخية التي اختزلها الموروث حكمة قصيرة ، او مثلا سائرا بعد ان وجد فيها دلالة واعية ، واحساسا متقدما لما يمكن ان تؤديه وهي تأخذ مكانها في ابيات القصيدة ، او تقال في سياق الحدث التاريخي ، او - يستشهد بها في تحديد النتائج المتوقعة ، واذا كانت القصة التاريخية المحكية او المنقولة عبر الزمن السحيق وتحمل المغزى والفكرة والغرض قد قطعت شوطا في الاستخدام وتوغلت في ثنايا القصائد ، واستغرقت الافكار التي بقيت تدور في الذهن فأن فكرة الاستلهام هذه ، وقدرة الاستيحاء التي تخلقها حالة الاستلهام اصبحت حالة من حالات البناء الشعري ، وركيزة من ركائز الاستذكار بعد ان وجد


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تثيره احداثها . او تسيطر عليه اخبارها المفاجئة ، بعد ان عاشت في ذاته لوحة متكاملة ، ونظر اليها نظرة ناضجة ، واستقرأ تاريخها استقراء احاط بكل ابعادها وما تداخل في تفاسيرها وعلل استخدامها .وحاول ان ينتفع من الموعظة التي حملتها والعبرة التي تحدثت عنها والمرمى البعيد الذي كانت تسعى اليه . ولم يقتصر استعمالها على شاعر او ينفرد بالدلالة الرمزية التي عبرت عنها شاهد شعري ، .

ان استخدام الشاعر للرمز كان ينطلق من الغرض الذي هيأ له القصيدة ، او دارت حوله المعاني ، او تحركت في اطاره الاهداف المحددة .




ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

- ٣ -

نظام الأستدعاء وأثره في الفنون والعمارة العربية الإسلامية

د. طاهر مظفر العميد

كلية الآداب / جامعة بغداد


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

نظام الأستدعاء واثره في الفنون والعمارة العربية والاسلامية

للدكتور طاهر مظفر العميد
كلية الآداب - جامعة بغداد

في الفنون العربية الأسلامية على اختلاف مدارسها وطرزها من فنون تشكيلية ، مثل النحت والتصوير باساليبه وطرزه ومدارسه المتعدده ، كالتصوير على الجدران بالرسوم المائية ، والتصوير على المخطوطات والنمنمات والكتب الأدبية والتاريخية والطبية والهندسية وغيرها مما تحفل به الحضارة العربية .

ومن فنون زخرفية ، مثل الزخارف على الجدران وعلى الجص والآجر وعلى القطع الخشبية والفخارية والمعدنية ، وعلى آثاث المنزل المتنوعة ، وعلى آدوات الكتابة ، وآواني الأكل والشرب ، وعلى الانسجة والملابس والدستور ظاهرة تبدو واضحة المعالم ، لاتخفى على المتخصصين في الميدان الفني وعلى اصحاب الاذواق الفنية ، تلك هي ظاهرة الوحدة في الفن العربي الاسلامي .

والفن العربي الاسلامي ، مثل غيره من الفنون العالمية الاخرى ، تاثر ببعض الاساليب الفنية السابقة والمعاصرةله ، مثل الفن الاغريقي والهلنستي والبيزنطي والصيني والساساني .

ويستطيع اي باحث في هذا الفن ، او متذوق لأساليبه وطرزه وانماطه ، او مؤرخ لنشأنه وتطويره وانتشاره ، ان يحدد الملامح الفنية التي قام عليها واخذ منها وتأثر بها في اولى مراحل نشأته ، وفي الخطوات المبكرة لترعرعه وتبلوره حتى غدا فناً عالمياً له سماته المحددة وآساليبه وتطوره .

ولكن هذا التأثير بالأساليب لاجنبية المختلفة من الفنون السابقة للاسلام ، لم يكن كبيراً في جميع مجالات الفنون العربية الى الدرجة التي يبالغ فيها المتشرقون والباحثون ، والتي تصل احياناً الى درجة الغلو ، وانكار حق العرب في اشادة مبانيهم واقامة عمائرهم وتطوير فنونهم .(١)

ولقد ذهب فريق من علماء الآثار الغربيين ، المتخصصين بالدراسات الشرقية ، وعلى وجه الخصوص اولئك الذين عملوا في حقل الدراسات العربية والاسلامية ، الى نسبة كل ظاهرة معمارية فريدة او متميزة ، وكل عمل فني متقن كبير ، وتخطيط معماري عظيم ، الى حضارات اجنبية سابقة لحضارة العرب ، والى اصول اجنبية غير عربية ، مثل الفرس او البيزنطيين وغيرهما ، ولقد ذهبوا بعيداً في هذا المضمار ، وغالوا في هذه النسبة .

وصرف العلماء منذ ذلك الحين ...

بل واسرفوا في الغلو ، حتى ليخيل للباحث والمتتبع بأن الفن العربي الاسلامي ماهو في جوهره ومظهره ، الاطراز غير موحد الاسلوب ، تألف من شتان مختلفة من الانماط الفارسية والبيزنطنية والقبطية والهيلينية ، او هو مرحلة متأخره لتلك الانماط جميعها .

ومع تقديرنا لكل الباحثين والمستشرقين وعلماء الأثار الذين اسهموا في اعمال لتنقيب في مختلف المواقع الأثرية العربية والاسلامية وشاركوا في البحث عن المدن العربية ، وعاونوا في الكتابة عن كثير من اللقى والتحف والمخطوطات ، فضلاً عن مشاركتهم في توضيح مختلف اوجه الحضارة العربية والاسلامية ، وعرفوا العالم بسمات هذه الحضارة ومقوماتها ، فأننا نسجل هنا مع كثير من الأسف بان قسماً كبيراً من ابحاثهم ومؤلفاتهم واستنتاجاتهم وتعليقاتهم يغلب عليها طابع التحيز لغير العرب (٢) .

لقد كانت دراسات علماء الأثار الاسلامية تقتصر اول الامر على وصف الأثار وتحقيق تاريخها ونشر صور موضحة لها ورسوم عنها ، ثم بدات حملة البحث والاستقصاء عن المصادر الفنية لتلك الاثارة واصولها . وكانت هذه الحملة اهم ماشغل به المستشرقون منذ مايقرب من مائة سنة ، ومازال البحث عن المصادر يحتل مكان الصدارة من بحوثهم ، وكان « ماكس فان برشم » اول من اتجه هذا الأتجاه في البحث والدراسة ، وهو الذي نشر مقالين في سنة ١٨٩١ ، عنوانها « مذكرات في الأثار العربية »(٣) ، ثم جاء (جاييه) فنشر كتاباً في سنة ١٨٩٣ عنوانه « الفن العربي » .(٤)

وصرف العلماء منذ ذلك الحين جهود مضنية في دراسة المصادر ، وجرتهم هذه البحوث الى دراسات مقارنة لعناصر العمارة والزخارف في الفنون السابقة للاسلام ، وخاصة الفنون الساسانية والهلينية والهندية والرومانية والبيزنطية والقبطية . ولهذه الدراسات المقارنة اهمية قصوى ، بل انها يجب ان تتصدر اي بحث في الآثار الاسلامية . غير ان معظم بحوث علماء الاثار المستشرقين ، كما اشرنا ، كادت تغطي عليها عقيدة راسخة ، هي انكار اي فضل للعرب في اقامة مبانيهم وتشكيل فنونهم . ولعل اكثر الأمثلة غرابة على هذا الاتجاه ماسجله « كريزويل » عن بناء قبة الصخرة وزخارفها ، اذ انه قسم عناصرها الى نسب مئوية ، وادعى انه يدخلها (٢٢) في المائة من المصادر الرومانية ، و (٢٢) في المائة من المصادر البيزنطية و(٥٥) في المائة من المصادر السورية المسيحية . ويبقى (١) في المائة لم يحدده العالم الأثري .(٥)

ولم يكلف المستشرقون أنفسهم البحث في حضارة العرب التي آقاموها في اقطار عديدة من مواطنهم الكبير قبل الاسلام في العراق والشام وشبه الجزيرة العربية .

وعندما تناول البعض منهم دراسة لحضارة العرب فأن انظارهم اتجهت في موضوع العمارة والفنون العربية ، الى مواضيع في الجزيرة العربية ، وعلى وجه الخصوص ، الى تلك البقعة المباركة ، التي نزل فيها الوحي الكريم على رسول الله ﷺ ، وفاض على العالم آنذاك ، وخلق فيها حضارة جديدة لها من القوة والاصالة ، مما جعلها تحتل مكاناً كبيراً في حضارات البشرية فتناولوا بحثها بوجه معكوس ومتميز .

اذا انهم راحوا يبذلون الجهود في تأكيد وصفهم لعرب تلك المناطق بالتخلف والبداوة . ومن ذلك نماذج لبعض مكتبوا :

كتبت جرترود بل عن عمارة العرب في الجزيرة : « كان الغزاة المحمديون ، مجرد بدو رحل ، سكنهم الخيمة السوداء وقبرهم رمال الصحراء ، وكان سكان الواحات النادرة في غرب ووسط البلاد العربية مثل ماهم عليه اليوم ، يقنعون بنوع قبيح من العمارة من اللبن وجذوع النخل لايزينه اي نقش معقد من وحي الخيال ، ولايصلح الا لابسط الحاجات » (٦) وكتب لامانس : « يبدو ان اغنى اصحاب الاموال من قريش ، وعلى الاقل في الفترة السابقة على الاسلام وكانوا يعيشون في مساكن ، فقيرة ، ويتحدث الشعراء البدويون عن اتساع وارتفاع قدور اصحاب الجود المكيين ، ولكن لايجد المرء قط من يذكر ترف مساكنهم ، ولاحق مهابه منظرهم ، ولاينطقون ابداً كلمة قصر ، ولم تكن بمكة عمارة ، ولما كان الامر يحتاج بين حين وآخر الى تجديد عمارة المبنى الصغير للكعبة ، فان الأهالي كانوا يضطرون الى الأتجاه لعمال اجانب » (٧). وقد آخذ البروفسور كريزويل جمع نماذج من هذه الامثال وكتب خلاصة تتضمن راي اولئك الباحثين من علماء الآثار والفنون الغربيين بان العرب في الفترة السابقة للاسلام ، والفترة اللاحقة لها في العصر الاسلامي ، في المنطقة التي نزل فيها الوحي الكريم واشرق منها نور الاسلام . اولئك لم يكن لديهم من العمارة او

الفنون شي . والظاهر ان البرفسور كريزويل قد وقع تحت تأثير تلك الاراء عندما كتب خلاصة الفصلين الاول والثاني الخاصين بالأسلام البدائي Primitive Islam تلك الخلاصة التي تتضمن راية وراي غيره من اولئك العلماء الغربيين . والتي نسطر فيما يلي ترجمة حرفية لها . (٨) .

« انه ليبدو ان عرب ماقبل الاسلام لم يكن لديهم الا اخشن الافكار عن البناء ، ولم يكن معبدهم الرئيسي (يقصد الكعبة) شيئاً اكثر من مساحة صغيرة مسورة باربعة جدران بارتفاع قامة الأنسان ، ولم يحملو الى الاقطار التي فتحوها شيئاً معمارياً يتجاوز مايخدم حاجاتهم العقائدية البسيطة فحسب . وقد احسن ريتشموند في التعبير عن ذلك بقوله : (ان مدى الامكانيات المعمارية الاسلامية قبل قيام العرب بفتوحاتهم كانت لاتكاد تكفي الاتعبر عن حاجاتهم بطريقة غشيمة الى اقصى درجة) .(٩) وينطبق هذا القول على العرب المستقرين . ولكن العرب الرحل في ذلك الوقت كان يتكون فهم تسعة اعشار سكان بلاد العرب وكانت الخيمة المصنوعة من الوبر هي أجمل عمارتهم . ولم يكن البدوي الأصيل ليتقبل راضياً ان ينام بين اربعة جدران ويعلو سقف فوق راسه اذ يشعر كما لو كان قد وقع في فخ ، ويمكن القول بأن البدوي منهم كان يعاني من رعب متأصل موروث من الأماكن المقفلة فمن الواضح اذن ان بلاد العرب كانت تحتوي على فراغ معماري يكاد يكون تاماً . وان الصفه العربية يجب الاتستخدم لتعريف عمارة العصر الاسلامي »(١٠)

يظهر لنا من هذه الأراء التي اقتبسنا بعضاً منها ولازالت لدينا عشرات النماذج ، مما كتبوا عن مختلف اوجه الحضارة العربية الاسلامية ، ان اكثر اولئك العلماء والباحثين الغربيين قد اتجهوا وجهة مشتركة هي بحث اصول الحضارة العربية الاسلامية بوجه عام ، وبالتالي اصول العمارة العربية الاسلامية بطريقة يهدفون منها الى نسبة تلك الاصول الى مصادر غير عربية (١١) .

ولعل هذه الفكرة قد وجدت صدى كبيراً لدى البعض من طلاب العلوم الاثرية والباحثين في تأريخها بل ان الفكره اخذت طريقها الى ثقافة اساتذة هذه العلوم في كثير من المعاهد العلمية التي تعني بالحضارة العربية الاسلامية في بعض جامعات العالم العربي . فراحوا يبخسون حق العرب المسلمين في نتاج حضارتهم وتأكيداً لهذه النظرية يقول ديمتري برامكي (١٢) : « فالهندسة الاموية المعمارية والفن الأموي مشتقان من الهندسة والفن الرومي او الفارسي »

والواقع فأننا نعترف بـان العرب الـذين ترعرع على ايـديهم الفن العربي الاسلامي ، ونما وتطور حتى اصبح فناً عالمياً ، له سماته واصوله ومدرسته ، كانوا قد خرجوا من الجزيرة العربية في صدر الاسلام ، حـاملين لواء الاسلام الى كثير من شعـوب العـالم ، دون ان يـولـوا الفن في اول الامر إهتمامـاً كبيراً ، كما كانـوا يفعلـون في تحرير الأراضي العربية المغتصبة ، وفي نشر مبادي الـدين الجـديـد ، واجلاء الفرس والروم عن آراضي العراق والشـام ومصر وشمالي افريقيـا . ولقـد كان معروفـاً عن العرب في هـذه الفترة من التـاريخ انهم كانوا يحبـون الزهد ويتمسكون بالتقوى ، ويميلون الى حياة الخشونـه ، فشغلتهم هـذه المعـاني عن الأهتمام بـالرسم والتزويق والزخرفة والنحث والتصوير .

ولئن ساد حب البساطة ، والتمسك بنصوص من القرآن الكريم واقتفاء السنه النبويـة الشريفـة ، التي تـدعو الى التقشف والزهد ، عهد التحرير والفتوح في عصر الخلفاء الراشدين (رض) ، فان الحـال اختلفت فيما بعد اثنـاء الحكم الأمـوي ، حيث تـوطـدت اركان الـدولـة وقـويت شـوكـة العرب في الاقـاليم التي حرروحـا او احتلوها ، فظهرت طبقة مترفـه من النـاس جنحت الى اللهو ، ومـالت الى حب الـدنيـا ، فراحت تقتني التحف الجميلة المزوقة ، وتقيم العمائر الضخمة ، وتلبس اللبـاس الموش ، وتسعى الى ادخـال الفن في كل مرفق من مرافق حياتها ، فظهرت - استجابة لهذه الحاجات المختلفة - ، فئات من الفنانين العرب اسهموا بقسـط وافر في مختلف نواحي الف ، فظهر منهم المهندس والمعمار والمخطط والعامل والمزوق والخطاط والدهان والمثال والنساخ والمجلد ، وشاركو جيعاً في ارساء فن عربي اسلامي يتميز بالدقة والجمال .

وامتاز الفن العربي الاسلامي بتطوره السريع في الفترات التأريخية المتعاقبـة اثنـاء حكم الـدولـة الامويـة في الاندلس ، والدولة العباسية في بغداد وسامراء اضافة الى مـاكان في الشـام من تطور سريع في العمارة والبنـاء والزخرفة وحكم الدولة الطولونيـة والفـاطميـة والايوبيـة في مصر ، فنشـات نتيجـة هـذه الفترات التـأريخيـة أسـاليب وطرز تعـارف البـاحثون والمختصون على تسميتهـا بـالطراز الأمـوي ، والطراز العبـاسي ، والطراز الاموي في الاندلس والطراز الطولوني ، والطراز الفاطمي ، والطراز الأيوبي . (١٤)

والواقع فانه لاضير على العرب اذا اشركوا الفنانين المحليين للاقطار التي حرروها او احتلوها في مطلع حكمهم للعراق والشام وشمالي افريقيا وايران ، فانما كانوا يصدرون في هذا عن ميلهم في اشراك الشعوب التي خضعت لهم ، واتاحة الفرصة للمبدعين منهم ضمن السياق العام للدولة العربية ، وانطلاقاً من سماحتهم وانفتاح عقيدتهم الخيرة .

وفي المقابل ، فان اي باحث في حضارة العرب في العصر الاسلامي لايستطيع الانكار بان العرب قدمنحوا غيرهم من الشعوب تراثاً حضارياً ناضجاً ، واوصلوا سكان الاقاليم التي حكموها الى منازل حضارية راقية ، قلما سجل التاريخ مثيلاً لها . والحضارة الانسانية ، بعد هذا كله ، على اختلاف اساليبها ، وتباين مظاهرها ، وتمايز منشئيها ، ليست ملكاً لشعب دون آخر ، ولا لأمة دون اخرى ، وانما هي نتاج لامتزاج التيارات الحضارية لشعوب كثيرة اسهمت معظمها ، في ارساء قواعدها وتطويرها ، وكان للعرب دور كبير ومتميز في مسيرة الحضارة الانسانية ، لما انتجوه ومنحوه وقدموه لشعوب العالم من معارف وعلوم وفنون واخلاق .

ومن السمات المميزة للحضارة العربية ، الفنون بمختلف اشكالها ومدارسها ومميزاتها ، فلقد اصاب الفن العربي الاسلامي توفيقاً كبيراً بين الفنون العالمية ، وانتشر في رقعة كبيرة من العالم المعروف آنذاك ، ويمكن حصر حدوده الجغرافية على وجه التقريب ، من حدود الصين شرقاً الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً ، ومن روسيا شمالاً حتى البحر العربي والبحر الهندي جنوباً . وتنوعت مظاهره ، واختلفت اساليبه ، وتعددت مدارسه ، وتمايزت طرزه ، وتشعبت انماطه ، مظهرت الزخارف على الجص والآجر والخشب والمعدن ، وشهدت عشرات المدن والقلاع والحصون واقيمت مئات المآثر دينية منها ومدنية زوقت جدر بعضها بالصور المائية وبالرسوم الجدارية ، وكسيت جدرانها بالفسيفساء ، واقيمت مساجد بدأت بسيطة ثم لم تلبث ان تطورت الى غاية الروعة والضخامة ، وشملت الكثير من العناصر المعمارية ، كالمآذن والقباب والعقود والاروقة والمحاريب والمنابر والاعمدة والشبابيك والاقواس ذات الاشكال والهيئات المختلفة ، وترعرعت مدارس للتصوير على الجدران وفي الحمامات والقاعات والقصور والارضيات قوامها مواضيع آدمية وحيوانية ونباتية ، كما زوقت بعض المخطوطات الأدبية والتاريخية والطبية والهندسية بكثير من الصور ، وبرزت اعمال الفنان العربي على المعدن والخشب والحجر والفخار ، ولئن كان الفن العربي قد ساد رقعة كبيرة من العالم ، وشملت منتجاته كل هذا التنوع ، فانه يمتاز عن سائر الفنون العالمية الأخرى بميزة ينفرد به وحده دون سائر الفنون ، وهي الوحدة الفنية التي تجمع مدراسه وطرزه وتجعله فناً موحداً قائماً بذاته .

والفنون العربية تمتاز بوحدتها التعبيرية ، واذا كنت قد اشرت قبل قليل الى انها تمتاز كذلك بالتنوع ، الذي اصبح خاصية من خصائصها ، فان هذا التنوع في الاساليب الفنية لا يتعارض مع خاصية الوحدة ، لانه تنوع شبيه باختلاف لهجات اللغة الواحدة ، في العالم العربي .(١٥)

ومن هنا كان لابد ان تكون التسمية الصحيحة للفنون الاسلامية التي نشأت وترعرعت في العالم العربي وامتدت الى العالم الاسلامي ، ان تشمل صفة العروبة وان نبعد عن حسابنا التسميات العديدة التي اطلقها المستشرقون عن هذه الفنون (١٦)وثمة ملاحظة يدركها كل باحث ومتخصص للفنون العربية الاسلامية ان الكثير من عناصرها تتشابه وتتوحد ، منها العناصر التخطيطية للمساجد الجامعة التي اقيمت في العالم العربي ثم في العالم الاسلامي متأثرة بنظام تخطيط المساجد في صدر الاسلام ، مع ادراكنا لأختلاف هذا التخطيط للمساجد التي انشئت في القسطنطينية ، حيث يرجع هذا الاختلاف للظروف المناخية التي فرضت تخطيطاً خاصاً لها .

ولعل هناك العديد من العوامل التي عملت على توحيد الفنون العربية ، منها طبيعة الامة العربية وحياتها في بيئات جغرافية تكاد تكون متشابهه على وجه العموم ، ونظام الاستدعاء .

فمن حيث الموقع الجغرافي كانت اقطار الشرق العربي الاسلامي اقرب اتصالاً ببعضها ، فكانت تنتقل التقاليد المعمارية بينها في سرعة وسهولة نسبيتين ، جعلت لها في مجموعها طابعاً يتميز في الطابع العام عما كان يعاصرها في اقطار غرب العالم العربي الاسلامي (١٧) ولقد كانت الروابط الدينية والثقافية والحضارية قد توطدت الى الحد الذي لم يكن ليضعفها اي عامل مهما بلغ من القوة فبقيت اواصر القربى والدم العربي والدين واللغة والتقاليد الاسلامية التي انتقلت منذ إنبثاقالاسلام مع الموجات العربية الاولى الى الغرب تجمع بين العرب في المشرق والمغرب ، وبقيت الصلات بينها قائمة لاتنفصم ، والزيارات والرحلات لاتنقطع وعلى وجه الخصوص من الغرب الى الشرق .

وقد حدث نفس الشي مع تقاليد العماره والفنون العربية ، فان الموجات الاولى التي كانت تتوالى على الغرب الاسلامي ، آتية من الشرق قد حملت معها التقاليد المعمارية الى فرضها الدين الاسلامي والمجتمع العربي منذ البشائر الأولى للحضاره العربية (١٨) .

اما نظام الاستدعاء او أمر تكليف ، والذي يعرف عند الاغريق بـ « الليتورجيا » (١٩) فهو يعني في العالم العربي جمع وحشر الصناع والعمال والمهندسين والمزوقين والخطاطين وكل من يعمل في حرفة من الحرف تتعلق بالعمارة والبناء والهندسة ، من مختلف الأماكن والاقاليم في الدولة وتوجيههم الى عمل رسمي تأخذ الدولة او السلطة على عاتقها القيام به (٢٠) .

ويجب ان نشير هنا بان الخلفاء او الولاة العرب المسلمين الذين كانوا يستدعون العمال والفنانين والمهنيين من اطراف الدولة ويكلفونهم القيام باعمال البناء كانوا يدفعون لهم أجراً لقاء اعمالهم ، على خلاف ماكان يجري عند الرومان والاغريق ودولاً اخرى معاصرة للدولة العربية والاسلامية او سابقة لها اولاحقه . (٢١)

والذي يبدو ان هذا التكليف او الاستدعاء كان معروفاً لدى الخلفاء المسلمين ، منذ عهد الدولة الأموية في الشام (٤١ - ١٣٢ هـ) (٦٦١ - ٧٥٠ م) . وتروي لنا كتب التاريخ امثلة طيبه يتجسد فيها هذا النظام كمثل حي ونابض للتعاون المثمر والمساعدة القيمه التي يتسابق اليها العمال والمهره من الفنانين ورجال الهندسة تشييد العمران واقامة المباني .

فقد ذكر ان الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان عندما بنى قبه الصخرة في عام ٧٢ هـ (٦٩١ م) استقدم المعمارين والفنانين لتنفيذ مشروعه هذا .

وتشير العديد من النصوص التاريخية اثناء حديثها عن العمارة الكبرى في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة في عهد الخليفه الاموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) . فيشير البلاذري انه في عام ٨٠٧ هـ كتب الخليفة الوليد الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث اليه في نفس الوقت بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من اهل الشام ومصر . وولى القيام بأمره والنفقه عليه صالح بن كيسان »(٢٢) .

ويذكر اليعقوبي ان الوليد امر عمر بن عبد العزيز ان يهدم الجامع وهدمت البيوت المجاورة له كما هدمت حجرات زوجات النبي (ص)

وضم مكانها الى المسجد الجديد . ثم يضيف اليعقوبي ان ملك الروم ارسل مائه الف مثقال من الذهب . ومائة عامل ، واربعين حملاً من الفسيفساء ، وان العمل قد كمل في سنة ٩٠ هجرية . (٢٣) ولا يذكر الدينوري سوى الاربعين حملاً من الفسيفساء (٢٤) غير ان الطبري كان اكثر تفصيلاً فقال ان الهدم كان قد بدا في صفر سنة ٨٨ هـ ، واعلم الوليد ملك الروم بانه قد اصدر امره بهدم المسجد وطلب مساهمته فارسل اليه الاخير المساعدة التي اشرنا اليها انفاً ، ويذكر الطبري رواية تستوقف النظر هي انه قد أمر ، بالاضافة الى ذلك ، بالبحث عن الفسيفساء في الاماكن المتخربة وارسالها الى الوليد الذي بعث بها الى عمر بن عبد العزيز . (٢٥)

ويشير المقدسي ايضاً الى نقل الصناع فقال : « وكتب الوليد الى ملك الروم انا نريد ان نعمر مسجد نبينا الاعظم فأعنيفيه بصناع وفسيفساء » وبناء على ذلك فانه بعث اليه باحمال وبضعة وعشرين صانعاً . كان من بينهم عشرة بلغت مرتباتهم وحدهم ١٨٠/٠٠٠ دينار (٢٦) . ويذكر ابنبطوطة طلب انواليد للمساعدة ويقول ان ٨٠ / ٠٠٠ مثقال من الذهب قد ارسلت . (٢٧)

لانريد ان نناقش في هذا البحث القيمة التاريخية للرواياتالتي ذكرها المؤرخون والجغرافيون العرب عن مساهمة عمال اجانب في البناء والعمارة ، وعلى وجه الخصوص في عمارة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، فلقد بحث الاستاذ الدكتور فريد شافعي ، العالم الاثري العربي هذا الموضوع باسهاب في كتابة « العمارة العربية في مصر الاسلامية » (٢٨) وناقش ماكتبه علماء الاثار الغربيين الذين استغلوا مثل هذه النصوص ليعطوا لهؤلاء العمال الاجانب دوراً كبيراً في البناء ونقل الاساليب البيزنطية والقبطية الى الفنون العربية الاسلامية .

ولعل افضل مثل لنظام الاستدعاء في عهد الدولة العباسية ، هو استدعاء المنصور والمعتصم العمال لبناء مدينتي بغداد وسامراء .

وتشير النصوص التأريخية ان المنصور بعد ان اطمأن اطمئناناً تاماً الى الموضع الذي يبني فيه مدينته المدورة ، وبعد ان اعد المال اللازم لجميع تكاليف البناء التي يحتاجها مشروعه الكبير ، ارسل الى عماله وولاته في مختلف الاقاليم العربية يطلب معونتهم في توجيه العمال والفنانين اليه . ويشير اليعقوبي الى هذا الأمر فيقول : « ثم وجه في احضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمه الأرضين حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة ابي جعفر واحضر البنائين والفعله والصناع من النجارين والحدادين والحفارين » (٢٩) .

ويذكر المؤرخون والجغرافيون الاماكن والمدن التي استعان المنصور بعمالها وفنانيها ومهندسيها فيذكرون بان الخليفة وجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة » (٣٠) .

ونهج الخليفة المعتصم عند تشييده لمدينة سامراء نهج الاستعانة بالايدي العاملة في شتى الاقاليم العربية فقد روى اليعقوبي بهذا الصدد ان المعتصم : « كتب في اشخاص الفعله والبنائين واهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات ، وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وماوالاها من بغداد وسائر السواد ومن انطاكية وسائر سواحل الشام ، وفي حمل عمله الرخام وفرش الرخام ، فاقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام »(٣١)

وروى اليعقوبي في موضع آخر ان المعتصم استعان برجال الفنون والمهنيين فقال : « واقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملاً من الاعمال ، او يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس ، وهندسة الماء ووزنه واستنباطه ، والعلم بمواضعه من الارض ، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها ، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يعمل الخزف ومن يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من اهل كل مهنة وصناعة » (٣٢) .

ولاريب ان العرب قد استفادوا كثيراً من هذا التعاون ، اذ بفضله انتقلت الآساليب الفنية والطرز المعمارية في مختلف مجال الفنون العربية والاسلامية من قطر الى اخر ومن مدينة الي اخرى ، وقد ادى انتقال هذه الاساليب الفنية المختلفة الى امتزاج المدارس والانماط الفنية والتقاء فروعها بعضها مع البعض الآخر ، كما كان له ابعد الأثر في وحدة الفن العربي الاسلامي .

ومما لاشك فيه ان االطرز الفنية التي ازدهرت في الشام وواسط على يد الامويين ، لابد وانها قد التقت بالطراز الفنية المتواضعة التي نمت وترعرعت في المدن العربية الاولى كالبصرة والكوفة والفسطاط اضافة الى منطقتي الموصل والجزيرة .

وفي وسعنا ان نقرر في ثقة اكيدة بان المهندسين والعمال والفنيين الذين ساهموا في بناء المشاريع الكبيرة و الذين خططوا لمدن عظيمة مثل بغداد وسامراء ، وزوقوها بالطرز الفنية ، أنهم كانوا من العرب المسلمين الذين عاشوا في مدن عربية اسلامية تحت حكم الامويين تاره ، وحكم العباسيين تاره اخرى . وان اجتماع هذا الحشد الكبير المؤلف من مئات الفنانين والمعمارين والحرفيين في مكان واحد ولسنين عديدة ، كما حدث في بناء بغداد وسامراء ، يعتبر بحد ذاته مؤتمراً عالمياً ضخماً يتبادل فيه هؤلاء وجهات النظر المعمارية والفنية ، ويأخذ بعضهم من البعض الآخر مختلف الأساليب الفنية ، المتطورة والناضجة ، لتشكل في النهاية مدرسة معمارية وفنية تنمو افكارها واساليبها ، وتتطور مع تطور الانماط وترعرعها حتى تمشي مدرسة عالمية . تطغي على مايعاصرها من مدارس او انماط محلية . وهذا ماحدث في الطراز المعماري العربي في صدر الدولة العباسية . والذي يعود بعض الفضل فيه الى استقدام الاعداد الكبيرة من العمال والفنيين والمعمارين والحرفيين العرب من مختلف اقطار العالم العربي الاسلامي في ظل نظام الاستدعاء .



الهوامـــش

١ - الدكتور طاهر مظفر العميد ، « الاثار الاسلاميـة والابـداع الفكري » مجلـة كليـة الاداب - جـامعـة بغداد - العدد (٢٥) سنة ١٩٧٩ ،صفحة ٦٧٤ - ٦٧٥ .

٢ - في وسعنا ان نشير هنا الى نماذج من الابحاث والمؤلفات التي يظهر فيها هذا التحيز واضحاً :

جروترود بل ، كتاب « الاخيضر » صفحات ١٤٥ - ١٤٨ .

كريزويل كتاب « العمارة الاسلامية الاولى » جـ ١ صفحة ٦

Creswell, Early Muslim Architecture, 1, p. 6 وينظر نفس الكتـــاب ايضـــا ، الصفحات ٣٨٨ - ٣٨٩ .

بحث « نشأت المئذنه وتاريخها » لكوتيل في مجلة الجمعية الشرقية الامريكية ، ٣٠ صفحة ١٣٣ .

وينظر الصفحة ١٤٧ من كتاب « العمارة الاسلامية الغربيـة » لمـارسيـة وينظر كتـاب كويزويل « المختصر » صفحة ١٤٢

Ashort Account of Early Muslim Archit ecture,

وينظر صفحة (٤٧) من كتاب بريجز « العمارة المحمدية »

Mohammadan Architecture in Egypt and Palestine, P.47.

Max van Bercham. Notes d. Archeologie.

Jouénal Asiatigue, 80 serie, Tomes xvll, xix, 1891.

Albert Gayet . L Art Arabe, Paris, 1893.

Creswell . Early Muslim Architecture .

Umayyads , Early Abbasid and Tulunids .

† 2 vols. Oxford 1932 . 1940, vol. 1, P. 90.

انظر احمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل دار المعارف بمصر . صفحة ٩ .

٦ ـ نقتبس ماكتبته بل من كتابها .

Palace and Mosgue at ukhaidir **Oxford, P. Vll.**

ونقل عنها « كريزويل » هذا النص في كتابه :

Early Muslim Aechitecture , Vol. 1. P. 7.

انظر فريد شامفي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٩ .

٧ ـ

Lammens, Taif a la Veille de Lhegire, VIII, P. 183, Creswell, Early Muslim Architecture, 1, P. 7, ft. n. 7.

٨ ـ فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٤٠

٩ ـ

Richmond . Moslem Architecture, P. q.

١٠ ـ

Creswell . Early Muslim Architecture, 1, PP. 42. 94.

١١ – فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٤٤ .

١٢ ١ وهو استاذ علم الآثار بالجامعة الأمريكية في بيروت

١٣ – المؤتمر الثاني للآثار ، بحث الدكتور ديمتري برامكي صفحة ١٤٠ .

١٤ – طاهر مظفر العميد ، الآثار الاسلامية والابداع الفكري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢٥ ، سنة ١٩٧٩ ، صفحات ٦٧٥ – ٦٧٦

١٥ – احمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، صفحة ٤٣ .

١٦ – اطلق المستشرقون على هذا الفن تسميات عديدة وسموه باسماء بعضها غير دقيق ، والبعض الآخر غير جامع ، وبعضها لايتفق مع الحقائق العلمية والتأريخية . ومن هذه التسميات « الفن الشرقي Saracenic Art ولفظه Saracenic مشتقة على الارجح من كلمة Saraceni اليونانية وقد كان الاغريق القدماء يطلقونها على البدو الذين يقيمون في بادية الشام . ولعل هذه الكلمة تشير في اللغة اليونانية الى كلمة « شرق » العربية . وسموه « الفن المغربي Moorish Art . ولفظه مشتقة من لفظ Mauri حيث كان الرومان يطلقونه على اهل بلاد المغرب الحالية حيث كانت تعرف عندهم باسم موريتانيا Mauretania كما انهم اطلقوا عليه اسم « الفن الاسلامي » و « الفن العربي » « والفن المحمدي » وغيرها من الاسماء .

١٧ – فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٦ .

١٨ – المصدر السابق ، صفحة ٢٧٨ .

١٩ – الليتورجيا كلمة اغريقية اسمها يعني كما هو واضح في قاموس Liddell and Scott الاغريقي ، الانكليزي of 1961 Lexicon , oxford , Impression

1. Apublic duty, which The richer citzens discharged at Their own expense.

2. Any Serviceor administra ton

3. The public Service of The gods

ومنها جاءت كلمة Liturgy ,والتي تعني الطقس الديني - الطقوس الدينية ، وطقس القربان المقدس والكلمة من الفعل تعني .

1. At Athens of serve public offices at ones own expense or cost.

2. to perform public duties to serve The people or state.

3. to serve amaster

٢٠ - كنت اول الباحثين الآثار الاسلامية من أطلق اسم نظام الاستدعاء او « امر التكليف » فيما يتعلق بالاستفادة من خبرات الفنانيين والعمال العرب والمسلمين . اذ لم اجد في قواميس اللغة العربية او ماترجم عن اللغة الاغريقيه أنسب كلمة او اصطلاح يوازي كلمة « الليتورجيا » في العربية من اصطلاح « نظام الاستدعاء » أو « أمر التكليف » (انظر كتابنا بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحة ١٨٦) .

٢١ - تشير العديد من المراجع العربية الموثوقه وماكتبه الرواد الأوائل من مؤرخين وجغرافيين عرب بانه عندما تكامل عدد البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين الذين وفدوا على الخليفة المنصور من مختلف الأقاليم والاقطار أجرى عليهم الخليفة الارزاق واقام لهم الاجره (انظر كتاب البلدان لليعقوبي ، صفحة ٢٣٨ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي الجزء الاول صفحة ٦٧) .

٢٢ - البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٤٦٦ .

٢٣ - اليعقوبي ، التاريخ ، ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ، الطبري ٢/ ٣٣٩ ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٥٨٤ .

٢٤ - الدنيوري ، الاخبار الطوال صفحة ٣٣٩ . فريد شافعي ، صفحة ٥٨٥ .

٢٥ - الطبري ٢ / ١١٩٤ .

٢٦ - المقدسي ، احسن التقاسم في معرفة الآقاليم ، صفحة ٨١ .

٢٧ - ابن بطوطة ، رحلة ١ / ٢٧١ ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٥٨٥ .

٢٨ - راجع ماكتبه الدكتور فريد شافعي ، في كتابة العمارة العربية في مصر الاسلامية بهذا الخصوص . الصفحات ٥٨٤ - ٢٢٤ اثناء مناقشته لأصل المحراب .

٢٩ - اليعقوبي ، البلدان ، صفحة ٢٣٨ ، وانظر الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١ / ٦٦ .

٣٠ - الطبري ٦ / ٢٣٧ ، ياقوت ، المعجم ١ / ٦٨١ ، ابن الآثير ، الكامل في التاريخ ، ٥ / ١٥ .

٣١ - البلدان ، صفحة ٢٥٨ .

٣٢ - البلدان ، صفحة ٢٦٤ .



المراجع والمصادر :

ابن الاثير (ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير) .

الكامل في التاريخ

ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار مصر ، سنة ١٩٣٨ م - ١٣٥٧ هـ .

البلاذري فتوح البلدان ، القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .

الخطيب تاريخ بغداد ، القاهرة ١٣٤٩ - ١٩٣١ م .

الدنيوري الاخبار الطول ليدن ١٩١٢ م .

السمهودي وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

الطبري تاريخ الامم والملوك ، القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

المقدسي احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ م .

الواقدي فتوح الشام ، مصر ١٣٧٣ هـ .

ياقوت معجم البلدان ، لايبزك ، ١٨٦٦ م .

اليعقوبي البلدان ، ليدن ١٨٩٢ م

التاريخ

احمد فكري مساجد القاهرة ومدارسها المدخل ، مصر

العميد (الدكتور طاهر مظفر)

- بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف ١٩٦٧ م .

- الآثار الاسلامية والابداع الفكري ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - العدد (٢٥) سنة ١٩٧٩ .

شافعي (الدكتور فريد)

العمارة العربية في مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ .

Creswell, Early Muslim Archiecture, II,London. 1932, 40.

Briggs Muhammadan Architecture in Egypt and palestine, oxford, 1924

Bell palace and MosQue at ukhaidir, oxfob, 1914.

Richmob Moslem Architecture, London, 1926.

Creswell. Early Muslim Architecture, I,p,6



الاستشراق وكتابة تاريخ بلاد الفرس

د / فاروق عمر فوزي

جامعة بغداد / كلية الآداب


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

الاستشراق وكتابة تاريخ بلاد فارس

الدكتور فاروق عمر فوزي
جامعة بغداد ..كلية الآداب

لعل اهم نتيجة حققها قيام الدولة العربية الاسلامية هي انتهاء تلك الحروب الطويلة الأمد والمدمره بين الامبراطوريتين الساسانية الفارسية والبيزنطية (الرومية) مما ادى الى حالة من الاستقرار والازدهار لم تشهدها المنطقة منذ قرون .

فقد عاش سكان الامبراطوريتين وخاصة الاقاليم الحدودية كالعراق والشام والجزيرة الفراتيه حالة حرب شبه مستمرة خلال القرن وربع القرن الاخير قبل ظهور الاسلام . وكان تأثير هذه الحروب واضحاً في النزيف الدموي والاستنزاف الاقتصادي وتخريب الاراضي والمدن وارهاق الشعوب بالضرائب والتكاليف وسلب الحريات العقائدية والخاصة .

وقد نتج عن حالة الأمن والاستقرار ازدهاراً حضارياً في مجالات عديدة شاركت فيه شعوب عديدة مع العرب المسلمين صانعي الدولة الجديدة . والذي يهمنا هنا هو النهضة الثقافية وعلى وجه الخصوص الكتابات الادبيه والتاريخية

ولابد ان نشير بدءاً الى ان الفرس فئتان : الاولى آمنت بالاسلام واخلصت لمبادئه ووالت الدولة العربية الاسلامية وبتنت الفكر العربي الاسلامي وحاربت المبادئ المناهضه والمعادية . وقد ظهر من هذه الفئة العديد من المفكرين والمؤرخين والادباء والعلماء الرواد . ويهمنا في هذا المجال مجموعة من المؤرخين على رأسهم الطبري صاحب التاريخ وكذلك التفسير ، وابن قتيبة صاحب كتاب العرب وكتاب المعارف وعيون الاخبار وغيرها ، والجاحظ صاحب الكتب والرسائل المشهودة في الدفاع عن العروبه والاسلام تجاه مفتريات واباطيل الشعوبيه والزندقه . لقد اثبتت كتب هؤلاء الفرس المسلمين والموالين للفكر العربي الاسلامي والمخلصين للدولة العباسية قبل غيرهم من الكتاب وحدة التاريخ العربي الثقافي بحيث بات كل عصر متمم للأخر كما في عيون الاخبار لابن قتيبة والبيان والتبيين للجاحظ . واثبتت وحدة التاريخ العربي السياسي كما في كتاب المعارف لابن قتيبة كذلك . وأشاد الجاحظ بعرب الجاهلية وكياناتهم السياسية والحضارية . بل راح نفس هذا الكاتب يؤكد على وحدة الامة لا القبيلة وما القبائل الا مظهر من مظاهر الأمة الواحدة . وتبنى الطبري في تفسيره « للشعوب » وجهة النظر العربية الاسلامية المناهضه لوجهة النظر الشعوبية . فقد قال الطبري بان الشعوب وحدة إجتماعية اكبر من القبيله والعشيرة بينما رأت وجهة النظر المعادية ان الشعوبية تعني الفرس وفضلتهم على العرب اما الفئة الثانية فهي التي تسترت بالاسلام ظاهراً وتمسكت بنزعتها الفارسية بكل ماتشمل هذه النزعة من مثل وقيم وتقاليد . وبقدر مايتعلق الأمر بالمجال الثقافي الادبي والتاريخي فقد حاولت هذه النزعة ان تشكك بدور العرب التاريخي وفضلهم في الاسهام بالحضارة الانسانية وحاولت التشويه والدس

عبر حقب التاريخ العربي الاسلامي ماامكنها ذلك . ولعل الباحث يكشف امثال هذه الروايات في كتاب الاخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م) حيث تبالغ دور الفرس مثل ابي مسلم والبرامكه بل انها تجعل من بعضهم ابطالاً اسطوريين . كما وان الدينوري يهمل بعض المؤامرات الفارسية ضد الدوله كمؤامرة الخلال مثلاً . وتجد مثل هذا الميل كذلك في كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني .

وتهتم كتب التاريخ المحلي الفارسية باقاليم بلاد فارس وتفصّل في احداثها السياسية او غير السياسية ولذلك فإن بعض الاحداث او الحركات التي يشير الطبري اليها بسطر اوفقرة قصيرة ، تشير اليها مصادر التاريخ المحلي بكثير من التفصيل والاسهاب . على ان الموقف العدائي لكثير من هذه التواريخ للسلطه المركزية في بغداد وسياستها في بلاد فارس واضح تماماً ، كما وان ميل مؤرخي التاريخ الفارسي المحلي لحركات التمرد والمعارضه وتأييدهم لها واضح ايضاً . ومن التواريخ المحلية لبلاد فارس تاريخ طبرستان وتاريخ سيتان وتاريخ اصفهان وتاريخ قم وتاريخ بخارى وغالبيتهم يتميزون بنزعه اقليمية واضحة ويهاجمون السلطه العباسية . وقد حاول بعض المؤرخين كتابة تاريخ الفرس قبل الاسلام . بل ان بعض الرواة من الشعوبين كانوا على حد قول الجاحظ نفسه - ينتحلون الاخبار والروايات، ويصنفون الكتب في تاريخ الفرس وتراثهم قبل الاسلام حتى اختلط على المرء الصحيح بالموضوع . ولعل اشهر من كتب في ذلك ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) الذي ألف كتابة الموسوم (عزر سير ملوك الفرس) . كما وان الفرس يؤكدون على (شاهنامه) الفردوسي ويعتبرونها كنزاً زاخراً بتراثهم وقد ترجم الشاهنامه الى العربية الفتح بن علي البنداري . كما وان لدينا القليل من الوثائق والعهود التي تعود الى العصر الساساني . ولهذا تزخر كتب التاريخ العربيه التي تذكر اخبار الفرس قبل الاسلام بالكثير من الاساطير والحكايات المفعمة بالخرافة . ولذا فإن من الحقائق المعروفة لدى المختصين بتاريخ بلاد فارس هي عدم وجود كتاب تاريخي باللغة الفارسية يتعلق بتاريخ فارس حتى بدايات العصر المغولي (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) ، وان الذي يبحث عن تاريخ بلاد فارس في العصر الاسلامي (١ هـ - ٦٥٤ هـ / ٦٤٢ - ١٢٥٥ م) لابدله ان يعتمد على كتب التاريخ العربي الاسلامي العام المكتوبه باللغة العربية في غالبيتها العظمى . ويبدو ان عملية التدوين التاريخي لم تلقى اهتماماً كبيراً لدى الفرس قبل الاسلام ودليلنا على ذلك عدم وجود كتاب تاريخي بالمعنى لحقيقي لدى الفرس قبل الاسلام . وقد دفع هذا النقص العديد من المؤرخين - ذوي الاصل الفارسي - كالطبري والدينوري وابن قتيبة الى اتخاذ النموذج العربي في الكتابة التاريخية . هذا اضافة الى كونهم

كتبوا باللغة العربية لغة الدين والدولة واللغة التي شاعت وانتشرت في ارجاء الحواضر الاسلامية باعتبارها لغة الثقافة . ولذلك فلم يكن من الحكمة كتابة التاريخ بغير اللغة العربية .

لقد كانت اللغة العربيه ـ لغة القرآن والدواوين والثقافة ـ بالنسبة للعالم الاسلامي كاللغة اللاتينية بالنسبة للعالم الاوربي في العصور الوسطى . فهي الواسطة المهمة للعلاقات والارتباطات بين شعوب الدولة الاسلامية الواحدة . ولكن هل كان كل الفرس ميالين الى تكوين هذه الارتباطات والتمازج ؟ لقد كانت طبقة النبلاء والدهاقين ورجال الدين الزرادشت ضد هذه النزعة ، ولهذا لم تكن تشجع انتشار اللغة العربية او االاسلامية بين الفرس لاسباب اجتماعيه واقتصادية خاصة بها . وقد استمرت هذه الطبقات الفارسية تشجع تداول اساطير الملوك الفرس القديمه وتستذوقها في مجالسها ولم تهتم من بعيد او قريب بتاريخ بلاد فارس في العصر الاسلامي . فهذا امر لا يهمها ولعل ذلك يعد سبباً اخر لعدم كتابة المؤرخين الفرس في هذه الفترة المبكرة لكتبهم باللغة الفارسية . لقد ادرك هؤلاء المؤرخون ان من العبث كتابة تاريخ فارس الاسلامي لمجتمع لا يهمه هذا التاريخ حتى لو كتب باللغة الفارسية !!

على ان اللغتين العربيه والفارسيه اثرتا في بعضها فدخلت العديد من الكلمات العربيه في اللغة الفارسية كما ظهرت اشعاراً وحكماً ورسائل ديوانيه وقصص واسمار وخرافات وتوثيقات عربية في لفظها واسلوبها ولكنها فارسية في معانيها ومرماتها . ولعل ذلك يدل على مرونه الفكر العربي ـ الاسلامي في مقابل الفكر الشعوبي المتزمت . ففي الوقت الذي استمر الشعوبيون ومن يساندهم من الدهاقين ورجال الدين الفرس في التمسك بما عندهم من اساطير ملوكهم وحكاياتهم الفارسية لا يرتضون عنها بديلاً . تقدمت الثقافة العربيه الاسلاميه الى منتصف الطريق وابدت مرونة ورغبة للتمازج والتبادل الثقافي مع الفرس فنقلوا من الفارسية ماتواجد من حكم وتوثيقات ورسائل ديوانيه يدل اسلوبها في التفخيم والتبجيل على انها فارسيه . ويمتدح الجاحظ هذه النزعة الجديدة المرنه ويعطي امثلة ونماذج من الجيل الجديد من المثقفين الذين مازالوا بين اللغتين والثقافيتين امثال موسى بن سيار الاسواري والعتابي . بل ان الجهشياري شرع في تأليف كتاب يضم ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم « فاجتمع له من ذلك اربعمائه ليله وثمانون ليله . كل ليله سمر تام يحتوي على خمسين ورقه اقل او اكثر ثم عاجلته المنيه قبل استيفاء مافي نفسه من تتمة ألف سمر » . واكثر من ذلك فان خلفاء الدولة العباسية ووزرائها لم يجدوا حرجاً في الاقتباس من الحكم والتطبيقات الفارسية في « توقيعاتهم » على شكاوى الناس وعرائض المتظلمين . وليس يهمنا هنا ان نؤرخ لتطور الادب

الفارسي الجديد ، شعراً ونثراً في العصر الاسلامي الا اننا نقول بان هذا الادب بدأ بالظهور بقصائد بسيطة وقليله مع بدايات القرن الثالث الهجري ثم نهض مع ظهور الامارات الفارسية الجديدة في بلاد فارس حيث تعددت المراكز الثقافية من طاهرية في خرسان وزياريه في الديلم وطبرستان وسامانية في بخارى وسمرقند. وغزنويه في غزنه وبويهيه في اصبهان والري . فقد كان لكل اماره من هذه الامارات دورها في حركة الاحياء الادبي الفارسي الجديده وترعرع في بلاطها العديد من الشعراء لعل اهم الرودكي والدقيقي في العصر الساماني . ثم بلغ أوجه في العصر الغزنوي مع ظهور الفردوسي صاحب الشاهنامة (٣٠٨ هـ - ٤١١ هـ) .

ونعود الى التدوين التأريخي الفارسي الذي دخل منعطفاً جديداً بظهور الامارات الفارسية في اقاليم عديدة من بلاد فارس . ويمكن تقسيم هذه الامارات من حيث اهتماماتها بالتاريخ الى اصناف ثلاثه : الاول : وهو الصنف الذي يمثل العودة الى القيم الزرادشتيه والمجوسية والى التقاليد الساسانيه وخير من يمثل هذا الصنف الزياريون وامراء طبرستان ومازندران . ومن البديهي ان هؤلاء لم يكن يهمهم في شيء تأريخ بلاد فارس الاسلامي .

الثاني : ويمثله امراء الزيدية في جيلان والصفاريون في سجستان الذين كانوا يخالفون مذهب الدولة العباسية السني . ولم يهتم هؤلاء بالتدوين التاريخي قدر اهتمامهم بتميز أنفسهم عن الخلافه العباسية من الناحية المذهبية ولهذا ركزوا على تطور المذهب اكثر من التاريخ .

الثالث : ويمثله السامانيون في خراسان الذين دانوا بالطاعه للخلافة العباسية ولمذهبها السني ، ولعبوا دوراً بارزاً في تطور التدوين التاريخي بالفارسية في ايران . فقد رعوا العديد من الشعراء الفرسة . كما شجعوا البلعمي على ترجمة تاريخ الرسل والملوك للطبري . وكانت هذه الترجمة مهمة جداً ثقافياً وسياسياً . فمن جهة يعتبر كتاب البلعمي المترجم ٣٥٣/٩٦٣ هـ من اقدم النصوص النثريه الفارسية ، ومن جهة اخرى فإن السامانين ارادوا أن يعبروا بعملهم هذا عن اعتقادهم بان مصير اهل فارس لابد وان يتوحد مع مصير الجماعه الاسلامية المنضوي تحت لواء الخلافة العباسية في بغداد .

ولكن الاوضاع السياسية سرعان ماتبدلت وغدت معظم اقاليم بلاد فارس تحت سيطرة كيانات سياسية تركية جديدة كالغزنويين والسلاجقة والخوارزمية . والغريب ان هؤلاء الترك تبنوا سياسة رعاية وتطوير اللغة الفارسية بحيث غدت اللغة الثانية في العالم الاسلامي خلال هذه الفترة . وفي هذه الفترة كذلك دخلت العديد من الكلمات والمصطلحات العربية الى الفارسية . خاصة وان الترك شجعوا استخدام الفارسية اكثر من ذي قبل .

ورغم انه لم يعرف عن الترك تشجيعهم المؤرخين من الفرس لكتابة التاريخ الفارسي بل اكتفوا بتاريخ البلعمي وما يمثله من شموليه اسلامية ، فإنهم سمحوا للفردوسي بكتابة الشاهنامه التي اصبحت دستور الحياة والمرشد المهم لفئات من الدهاقيين، والنبلاء الفرس الذين كانوا لايزالون يحيون حياتهم متمسكين بتقاليدهم وعاداتهم الساسانيه . بل ان السلاجقه في ايران تناسوا اصلهم التوراني واندمجوا في المجتمع الايراني ، وتبنوا تقاليده وحتى عقده تجاه العراق والخلافة العباسية .

ولكن ذلك لايعني انتصار الفارسية في بلاد فارس على العربية فقد ظلت الثقافة في فارس بعد ذلك اكثر من ثلاثه قرون ثنائيه اللغة وكانت الكتب تؤلف بالفارسية والعربية على السواء . كما وان الترك لم يكونوا قانعين بكل ماكتبه الفردوسي في (الشاهنامه) خاصة في تمجيده الزرادشتيه وماضي ايران الساساني والقديم ذلك ذلك لان فئه لابأس بها من هؤلاء الترك دخلت الاسلام لاسباب عقائديه صرفة وليست مصلحة ذاتية ، ولهذا لم يسمحوا بانتشار اراء او جهات نظر معارضة للاسلام او منافية له .

ولقد مرت فترة انتقالية كتب فيها المؤرخين الفرس باللغتين العربيه والفارسية . رغم ظهور كتب تاريخية فارسية خالصة لاتعتمد على مراجع عربيه ولاتعرفها . وقد حدث ذلك قبل اواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

وبعد هذه الفترة الانتقالية يأتي الحكم المغولي لبلاد فارس فيحدث تغيراً مهماً في الكتابة التاريخية هناك من حيث تختفي اللغة العربية تماماً كلغة للكتابة التاريخ . كما شجعت هذه المرحلة على ظهور كبار المؤرخين الفرس امثال علاء الدين الجويني (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) صاحب تاريخي جهانكشاي ورشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) مؤلف جامع التواريخ .

ولابد لنا ان نشير بأن قيمة المؤلفات التاريخيه الفارسية قبل الفترة المغولية ليست كبيرة فبأستثناء البيهقي (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٧ م) الذي كتب تاريخة المعروف في ثلاثين جزءاً . ويشير الدكتور مصطفى « ان مجمل الاعمال التاريخية السابقة له والتاليه لم تؤد الي نتائج هزيلة والى مؤلفات يغلب عليها الطابع الادبي وجمع النوادر » .

اما تاريخ الفرس القديم (قبل الاسلام) فإنه باعتراف المؤرخين الفرس انفسهم مشكوك فيه ورواياته موضوعه واسطورية حيث يقول حمزة الاصفهاني : « تواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة » . ويشكك موسى الكسروي بكتاب (خداي نامة) وهو تاريخ ملوك الفرس الذي كان مصدراً لاغلب ماكتب عن تاريخ الفرس القديم ويؤكد انه « لم يظفر من هذا الكتاب بنسختين متفقتين » مما يدل على كثرة الوضع والانتحال فيه . ويبرز فيها غلبة الطابع الفارسي على غيره وتبدو وكأنها في معزل عن التجربة العالمية .

اما المصادر الفارسية في الفترة المغوليه فاذا استثنينا الجويني ورشيد الدين فإن ماتبقى من كتب لاتضيف في غالبيتها معلومات جديدة او مهمة الى ماتقدمه لنا المصادر العربيه عن نفس الفترة الزمنيه . كما وان هذه المصادر مختصره في معلوماتها وتؤكد بصورة خاصة على تاريخ ايران وتفصل فيه مما يضفي عليها صبغه فارسية خاصة على عكس مصادرنا العربيه المعروفة ذات الصبغه الاسلامية والعلمية . كما وتعتمد هذه المصادر على لغه فارسية مكتوبه بأسلوب فارسي فيه الكثير من التكلف والتفخيم والملىء بالمحسنات البديعيه، حتى ليصعب على الفرس انفسهم فهمه دون استعمال قاموس لغوي !! ولعل هذا ينطبق على كتاب (تجزيه الامصار وتزجيه الاعصار) للشيرازي المعروف بوّصاف الحضرة .

لقد اتخذ هذا الاسلوب في السرد التاريخي مثلايتحذى به من قبل المؤرخين الفرس الذين جاءوا بعد وّصاف الحضرة فأهتموا بالاسلوب وبلاغته اكثر من اهتمامهم بالحقيقه التاريخية بل ربما كان ذلك على حساب الحقيقه التاريخية . وقد استمر هذا النهج لقرون عديدة قبل ان تتخلص منه الكتابة التاريخيه الفارسية . ولكن الاهم من هذا وذاك خلال الفترة المغولية هو - وكما (اشرنا - ضياع اللغة العربية كلغة ثقافه وتأليف في المشرق وخاصة ايران بعد ان كانت هذه اللغة قد تمكنت وانتشرت على الصعيد الثقافي والعلمي خلال القرون الستة الاولى من تاريخ الاسلام . اما بعد الهجمة المغولية الشرسة فقد انتهت اللغة العربية كلغة : تأليف وادارة وثقافة عامة رغم ان بعض الكتب الفقهية استمرت تكتب بلغة القرأن العربية .

وسنحاول استعراض المصادر التاريخية ذات الاهمية والتي كتبت باللغة الفارسية او ترجمت اليها خلال الفترة الاسلامية :

كتاب خداي نامة في تاريخ ملوك الفرس وسيرهم ... ويبدو ان معظم من كتب في تاريخ الفرس القديم قبل الاسلام اعتمد عليه واستقى معلوماته منه . ورغم ان حمزة الاصفهاني (ت ٣٦٠ هـ تقريباً) لم يكتب بالفارسية الا ان ماألفه من كتب وخاصة تاريخ سني ملوك الارض ، والانبياء وتواريخ كبار البشر من مضى منهم ومن غبر وكتاب اصبهان واخبارها اهتمت باخبار بلاد فارس واحداثها وملوكها مما أسهم في ترويج تاريخ الفرس قبل الاسلام وبعده .

وقد كتب مرزبان بن رستم بن شروين (مرزبان نامه) باللهجه الطبرية واهداه لأحد امراء الدولة الزيارية ثم نقله سعد الدين الوراويني الى الفارسية في بداية القرن السابع الهجري سنة ٦٠٧ هـ تقريباً .

وقد ألف العتبي (ت ٤٢٧ هـ) كتابه اليميني للسلطان محمود الغزنوي (يمين الدولة) وترجم الى الفارسية في بداية القرن السابع الهجري من قبل ناصح الجربادقاني .

وألف البيهقي (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٧ م) كتابة تاريخ البيهقي عن الغزنويين في القرن الخامس الهجري وتتميز كتابته باسلوبها السهل . ولم يبق منه الا خمس مجلدات طبعت عدة طبعات، كما ترجمت سنه ١٩٥٦ الى العربية .

وكتب الكرديزي (اواسط القرن الخامس الهجري) كتابه عن تاريخ خرسان وسماه زين الاخبار الذي يؤكد على تاريخ خرسان من الفتح العربي الاسلامي حتى اواسط القرن الخامس تقريباً . كما ألف في نفس القرن ناصري خسرو (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٧ م) كتابة سفرنامه بالفارسية . ونظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) كتابه سياسة نامة .

اما القاشاني الذي وزر للعباسيين والسلاجقه وتوفي سنه ٥٣٢ هـ / سنه ١١٣٧ م فقد كتب بالفارسية كتاباً سماه (فتورزمان الصدور المبني عن القرون الخاليه في العصور) ، كما كتب نظامي عروضي (السمرقندي (ت ٥٦٠ هـ / سنه ١١٦٤ م) كتابة مجمع النوادر او (جهار مقالة) بالفارسية . وألف ابن فندق البهيقي الخراساني (ت ٥٦٥ هـ / سنه ١١٦٩ م) كتابه (مشارب التجارب وغوارب الغرائب) بالعربيه والفارسية وينتهي سنة ٥٤٩ هـ /

. كما اتم [illegible] الثاني عمل البهيقي الاول بان الف ذيلاً لتاريخ [illegible] نهج به منهج التراجم لا الاحداث .

وكتب النيسابوري كتاباً في تاريخ السلاجقة بالفارسية سماه (سلجوقنامة) يحوي اخبار السلاجقة حتى سنة ٥٩٠ هـ / سنة ١١٩٤ م . وقد ذيل عليه عدد من المؤرخين . كما ألف الراوندي (ت ٥٩٩ هـ) كتابه (راحة الصدور واية السرور) . ومبارك شاه فخر الدين (شجرة انساب الفرس) في حوالي سنة ٦٠٢ هـ / سنة ١٢٠٢ م

ولفخر الدين الرازي محمد بن عمر التيمي (ت ٦٠٦هـ بهراة) كتاباً في التاريخ بالفارسية اسمه (حدائق الانوار في حقائق الاسرار) واهداه الى سلطان الخوارزميه علاء الدين تكش . وقد كتبه بالعربيه كذلك وأعطاه اسماً جديداً هو (جامع العلوم) .

وألف عميد الملك بن الكرماني (ت ٦١٢ هـ) ثلاثه كتب بالفارسية كلها في تاريخ كرمان هي (عقد العلى للموقف الاعلى) و (بدائع الزمان في وقائع كرمان) وذيل وقائع الزمان .

وظهر في الفترة تـاريـخ طبرستـان بـالفـارسيـة لابن اسفنـديـار (ت ٦١٧ هـ)كما ظهر قبله عـدد من كتب التواريخ المحلية مثا، تاريخ سيتان وتاريخ هراة وتاريخ همذان وكلها لمؤلف مجهول او اكثر .
ثم ظهر كتاب (لباب الالبـاب) بـالفـارسيـة لمحمـد عوفي (ت ٦٣٣ هـ) وهو معجم لشعراء الفرس . واالف النسوي (ت ٦٤٧ هـ) صاحب كتاب سيرة جلال الدين منكوبرتي كتاباً اخر بالفارسية سماه (نفثه المصـدور في فتور زمان وصدور الفتور) . اما الجوزجاني (ت ٦٥٩ هـ) فله بالفـارسيـة (طبقـات نـاصري) الـذي انتهى من تأليفه، سنـة ٦٥٩ هـ واهـداه لـلأمير نـاصر الـدين محمود شـاه . وللمؤلف كتب تـاريخيـة اخرى بالعربيه .
اما ماكتب من المصادر الفارسية في الفترة المغولية فلعل رسـالـة نصير الـدين الطوسى (ت ٦٧٢ هـ) في فتح بغداد تعتبر اول تـاريخ لسقوط بغـداد من قبل شخص خـان الامـانـة وشـارك في العمليـة لانـه كان مقرباً لهولاكو وعن طريقه اتصل هولاكو بشخصيات سياسية بالعراق .
وربما كان اهم كتابين عن هذه الفتره باللغة الفارسية كتاب عطا ملك الجوني (٦٨١ هـ) المرسوم جهانكشاي اي فاتح العالم خاصة وانـه كالطوسي رافق حملات المغول ثم استوطن بغـداد بل وتولى مسؤوليـة الادارة والحكم فيها لاكثر من عشرين سنـة . ثم كتـاب رشيـد الـدين فضـل الله الهمـداني (٧١٨ هـ) المرسوم (جـامـع التواريخ) وقد اكمله حافظ أبرو (ت ٨٣٤ هـ) بذيل وضعه له . وتأتي بعدهـا عـدد من التواليف منهـا قـد اشرنا اليها مثل طبقات ناصري وتـاريخ وصـاف او لم نشر اليهـا مثل : خونـدمير ومؤلفـه (حبيب السير في اخبـار افراو البشر) والراونـدي (راحـة الصـدور وأيـة السرور) والقرويني (تـاريـخ كـزيـدة) (ونـزهـة القلوب) ومير خوند (روضه الصفا) . ولاتضيف هذه المصادر المتـأخرة معلومـات مهمـة الى مـاتقـدمـه لنـا المصادر العربيه ، ومن الطبيعي ان تركز اهتمامها الى احداث بلاد فارس اكثر من بقيه الاقاليم الاسلامية .

☆ ☆ ☆

لقد ادرك الباحثون المحدثون في تاريخ فارس في العصر الاسلامي الوسيط محـاولات فئـات عـديـدة في ذلـك الاقليم لابقاء « القـديم على قـدمـه » وقـد ظهرت هـذه المحـاولات بمظـاهر عـديـدة منهـا التميز والاستعلاء او الانحراف او عدم الامتزاج والانسجام في الخط العربي الاسلامي العام تبنته الخلافـة وعملت على توكيـده فكراً وسياسة في كل اقاليم الدولة .

كما لاحظ الباحثون تعلق هذه الفئات الفارسية بتاريخ بلاد فارس قبل الاسلام وبالقيم التراثية الفارسية المجوسية ومحاولة الحفاظ عليها بشتى الوسائل بل واعتبارها بديلة للقيم العربيه الاسلاميه الجديدة. ولسنا هنا بصدد استعراض وتحليل الدراسات التاريخية الحديثة عن بلاد فارس في العصر الاسلامي الوسيط ولكننا نود ان نشير فقط الى استغلال المستشرقين لهذا الموقف الفارسي « المميز » او « المتمرد » او « المنحرف » او سمه ماشئت من الاسلام والخلافه . حيث جابهت الدين والدولة نزعه فارسية ـ مجوسية معارضه قادتها فئات من الدهاقين والنبلاء ورجال الدين المجوسي هدفها اعاقة كل الجهود الرامية لنشر الدين الجديد بمثله وقيمه وعرقلة جهود الدولة في تثبيت حكمها لبلاد فارس . والتثبت بالقيم المجوسية بما تمثله في قيم دينية ونزعه عنصرية ضيقه .

بدأ اهتمام الاستشراق بتاريخ بلاد فارس مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي ولعل المحاولات الجادة بدأت مع السير جون مالكولم حين نشر سنه ١٨١٥ م كتابة الموسوم « تاريخ بلاد فارس » وتبعه براون في كتابه « تاريخ الادب الفارسي » سنه ١٩٠٢ م ثم كتب السير سايكس كتابة « تاريخ بلاد فارس » سنه ١٩١٥ . وكما هو معروف فإن من الدوافع البارزة الى ظهور الاستشراق الحديث هو الدافع السياسي الاستعماري ، فالمنافسة بين الدول الاستعماريه للسيطرة على الهند واقاليم الشرق الاوسط اظهرت الحاجة الملحة الى معرفة احوال الشرق وتاريخه ونشر معلومات مؤثقه عن هذه المناطق التي غدت مهمة بالنسبة للحكومات الاوربية التي كانت لها مصالح حيوية في الشرق . على ان الدافع السياسي الاستعماري على اهميته لم يكن الدافع الوحيد للدراسات الاستشراقية فأزدهار التجارة مع الشرق وارتفاع مستوى الثقافة في اوربا وحب الاطلاع ساعد على ازدياد الرغبه لمعرفة تاريخ الشرق وحضارته في اوربا .

لقد اشار السير سايكس حين تكلم عن هدفه من كتابة تاريخ بلاد فارس الى الحاجة الى وجود معلومات موثقه وحديثة لموظفي الحكومة البريطانية وعبر عن امله ان يكون الكتاب ذو فائدة للحكومة البريطانية وصانعي القرار السياسي البريطاني والذين يؤثرون في تكوين الرأي العام البريطاني . واهدى كتابه الى موظفي حكومة الهند البريطانية والحكومة البريطانية في لندن .

لقد استمرت هذه السلسله من المستشرقين المهتمين بتاريخ بلاد فارس بعد مالكولم وبراون وسايكس ولم تنقطع حتى وقتنا هذا رغم تغير الظروف والدوافع وتعددها . وبرز من بين هؤلاء المستشرقين نفر اكدوا على هذه « الخصوصيه الفارسية » او الايرانية وابرزوها في بحوثهم . كما حاولوا بشتى الطرق والوسائل تبريرها اما بالرجوع الى تاريخ ايران القديم قبل الاسلام مستندين الى مصادر اسطورية وملاحم فلكلورية من تلك التي جمعها وأشاعها الفردوسي في شاهنامته . اما في تاريخ ايران الاسلامي فقد خلقوا مايسمى بـ « مشكلة

الموالي » وهم المسلمين من غير العرب وخاصة الفرس « وسوء معاملة العرب لهم » مستندين على روايات شاذة غير متواترة وعلى حالات استثنائية مؤكدين الزعم القائل « عن سياسة التمايز الاجتماعي والاقتصادي بين العرب والموالي التي سارت عليها الدولة » .

لقد إنطلق بعض المستشرقين من هذه الاسس الخاطئه وبنوا عليها فرضيات خاطئه في تفسير تاريخ ايران الاسلامي فاذا بالثورة العباسية عندهم « ثورة قامت على اكتاف الفرس » واذا بالنظم الادارية والسياسية في العصر العباسي « نظم مبنية على افكار فارسية » واذا بالحضارة العربية الاسلامية « لم تزدهر لا بالعلماء الفرس ، وان جل علماء الملة الاسلامية من العجم » !! واذا بالشعوبية « حركة تدعو الى المساواة بين فئات المجتمع الواحد » وهي حركة « تنزع منزعاً انسانياً ذو افق عالمي واسع يهدف الى خلق حضارة عالمية اساسها الثقافة الفارسية الارامية » اما النزعة العربيه ـ الاسلامية المضادة للشعوبية فعند نفس الفئه من المستشرقين « نزعة اقليميه ضيقه الافق رجعية » !! وهكذا عكس هؤلاء المستشرقون الأية تماماً لان الجاحظ وهو المفكر الاسلامي العالمي ـ وكان فارسياً في اصله ـ اكد في اكثر من مناسبة على عنصرية الشعوبية وضيق افقها وعدم مرونتها امام النزعه العربية الاسلامية .

اما الزنادقة فهم ـ بالنسبة لنفس الفئه من المستشرقين ـ مفكرون احرار يحاولون الوصول الى الحقيقة . اما الحركات الخرمّية المسلحة في فارس وكذلك الحركات الانفصاليه فهي نزعات استقلاليه للتخلص « من التسلط العربي الاسلامي » وبدايات « للنهضة الايرانية الجديدة » .

ورغم ان التشيع كمذهب ديني لم يظهر في بلاد فارس الا متأخراً في بداية العصر الحديث وان الحركة الشيعيه العلويه كانت في فترة الخلافة الاسلامية حركة عربية فان العديد من المستشرقين ألصق التشيع العلوي ببلاد فارس منذ بداية الاسلام . فالبروفسورة لامبتون تقول :

« رغم ان التشيع غدا مذهب الاكثرية في فارس في العصر الصفوي فانه (اي التشيع) كان مذهباً متوطناً endemic في بلاد فارس »

بل ان بعض المستشرقين قال بالاصل الفارسي للتشيع العلوي . منهم ملر وفون كريمر وجويدي ودارمستتر ، بل ان دوزي زعم ان الشيعة فرقه فارسية بحته !! فهو يقول :

«كانت الشيعة، في حقيقتها فرقة فارسية وفيها يظهر بصورة جلية ذلك الفارق بين العرب المحبين للحرية والفرس الذين اعتادوا الخضوع كالعبيد » راجع ولهاوزن ، احزاب المعارضه ص٢٤ ـ ٢٤١

والواقع ان دوزي بالغ كثيراً بحيث انحرف عن الصواب ، وربما كان من الاجدر القول بأن مذهب التشيع شأنه شأن المذاهب الاسلامية الاخرى تبدلت وتغيرت وشوهت بعد دخولها الى بلاد فارس بفعل عوامل ومؤثرات عديدة في البيئة الايرانية .

وعلى هذا فان الباحث المؤرخ لتاريخ ايران في العصر الاسلامي يفاجئ بالعديد من التخريجات الاستشراقية التي ليس مايبررها تاريخياً هدفها ابراز موقع ايران « الخاص » ودور الفرس « المميز » في العالم الاسلامي ولسنا في مجال حصر هذه التخريجات ولكننا نضرب بعض الامثله على ذلك :

ففي سنة ١٩٠٠م كتب جولد تسيهر يؤكد على النزعه الفارسية في مقابل النزعه الاسلامية اختار له عنواناً مثيراً هو النزعه الاسلامية والنزعه الفارسية وكتب بارتولد عن الشعوبيه والعالم الجديد

ابان فيها اثر الشعوبية في التقدم الحضاري في عصر الخلافة !!

واكد فان فلوتن ولها وزن وفراي على الامبراطورية العباسية « الفترسية » ....

THE PERSIAN EMPIRE OF THE ABBASIDS .....

بل ان المستشرق ويت يسمى الخلافة الاموية « بيزنطيه جديده » والخلافة العباسية « ساسانيه جديده »

THE NEO.SASSANID EMPIRE OF THE ABBASIDS....

ثم ان دخول بلاد فارس ضمن الدوله العربيه الاسلاميه لم يغير البلاد شيئاً يذكر في تلك البلاد في نظر المستشرق فراي ...

YET THE TRANSITION FROM PERSIAN TO ARAB RULE PPPAPPACRENTIY WAS MEITHER AQ.:EAT UPHEAVAI NORS AQRCEAT INNOVATIO

ويلاحظ الباحث تعابير وتخريجات اخرى كثيرة في تفسير مواقف سياسية فارسية ، كلها تؤكد على نفس الفكرة وهي محاولة ابراز الدور الفارسي ... ففي تفسير ردة الفعل الفارسية ضد القيم العربية الاسلامية وضد السلطة السياسية الاسلامية نقرأ العناوين التاليه :

الاسلام وايران متضادان ... ISLAM VERSUS IRAN

الغزو الفارسي للاسلام .... THE PERSiAN CONQUEST OF ISLAM

النهضة الفارسية الجديدة ... THE NEW PERSiAN RENAiSSANCE

بل ان المستشرقين فراي يزعم بان الشعوبية ارادت ان تحول الديانه الاسلامية الى ديانه فارسية - عالميه بدلاً من بقائها ديانه عربيه محدودة !! فهو كما اشرنا سابقاً يقلب الصورة تماماً لصالح الفرس !!

By the time of the Abbsid, the guestion at stake

was not IsLam or Isan but rather apersianised InternatıonaL

IsLam or anarrow Arab IsLam

هذه نماذج قليله من تخريجات بعض المستشرقين المهتمين بتاريخ بلاد فارس وكما لاحظنا منهم

يحاولون دون جدوى ايجاد تبريرات للنهج المتعنت والمعارض الذي سارت عليه ايران في العصر الاسلامي الوسيط . ومن جانبنا فاننا نكتفي بالرد بالاقتباس فقط من محاضرة المستشرق أرنجاني المتخصص بتاريخ ايران والذي قال قولة حق اصبحت مثلاً في كلامه امام المؤتمر الدولي للاستشراق : المؤتمر

THE PERSiANS ARE iNTHE ISIAMiC WORLD BUT NOT OFiT .... THEY ALWAGS LOOK WiTH NOSTALGiA ACROSS THiRTEEN HUNDRED YEARS TO PRE ISLAMiC IRAN ... THEiR HEART iS STiLL iN THE RUiNS OF PERSO-POLiS

« ان الفرس ضمن العالم الاسلامي (جغرافياً) ولكنهم ليسوا من العالم الاسلامي ، فهم الايزالون يتطلعون بشوق عبر ١٣ قرناً الى ايران قبل الاسلام . ان قلوبهم لاتزال شغوفه بخرائب بيرسوبولس (اصطخر) » واخيراً وليس آخراً فان النهج المتعنت والمعادي الذي اخطته ايران لنفسها استمر عبر التاريخ الحديث والمعاصر . فمن اجل ايجاد التبريرات التاريخية لاطماع ايران وادعاءاتها في الخليج العربي طلبت وزارة الخارجية الايرانية من السيد عباس اقبال ان يؤلف كتاباً في تاريخ الخليج وقد نفذ اقبال ماكلفته به وزارة الخارجية الايرانية فأصدر كتاباً سنه ١٩٤٩م باسم « مطالعاتي درباب بحرين .والجزائر وسواحل خليج فارس كذا » فكان غير موضوعي بل منحازاً ومؤيداً لاطماع ايران التوسعية في الخليج فأهمل عن قصد كل ماله علاقة بدور العرب وكياناتهم السياسية في العصر الوسيط وبدايات العصر الحديث فرسم صورة ايرانية مشوهة لتاريخ الخليج العربي .

ونأمل من جانبنا الا نقابل بالقصب ولا التزمت بمثله فقد علمنا اسلافنا العرب المسلمين انهم ربحوا الجولة ضد الشعوبية بسبب مرونتهم وموضوعيتهم وسعه افقهم .

LiTERARY JHiSTORY OF PERSiA, 2 VOLS , CAMBRiDGE

الهوامش

(١) الجاحظ ، ثلاث رسائل ، تحقيق فان فلوتن ص ٤٤

(٢) الطبري ، جامع البيان .. هذا ص ١٣٨.

(٣) الدنيوري، الاخبار الطوال : ليدن ١٨٨٨

(٤) حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض والا ، ١٨٤٤

(٥) راجع على سبيل المثال : تاريخي بخارى وتاريخ سيستان وقوفهما بجانب الحركات المناهضة للخلافة العربية الاسلامية .

(٦) الجاحظ ، فهم أخلاق الكتاب ، في رسائل الجاحظ ، ص ١٩١ فما بعد

(٧) ابو منصور الثعاليبي ، غررسير ملوك الفرس ، باريس ، ١٩٠٠

(٨) الفردوسي، شاهنامة ، القاهرة ، ١٩٣٢

(٩) كريستنسين ، تاريخ ايران في العصر الساساني ، مترجم ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص ٤٦ - ٦٠

(١٠) BROWNE, LITERARY HISTORY OF PERSIA, 2 VOLS. CAMBRIDGE, 1902

(١١) كورستنين ، المصدر السابق ص ٥٦

(١٢) فاروق عمر ، حول طبيعة الحركة الشعوبية ... مجلة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٥

(١٣) ابن قتيبه ، في رسائل البلغاء ، ص ٣٤٤ تحقيق محمد كرد علي

(١٤) راجع حسن محمود ، الاسلام في اسيا الوسطى ، القاهرة ١٩٧٢ .

(١٦) راجع المصدر السابق ص ٧٧ فما بعد

كذلك BROWNE , OP . CiT , P. 235

(١٧) بلعمي ، ترجماني تاريخي طبري ، ١٩٠٦ م

(١٨) راجع شاكر مصطفى ، التاريخ العربي المؤرخون ، ج بيروت ١٩٧٩ ، ٢.٦٢ فما بعد

عماد عبد السلام رؤوف ، التاريخ المؤرخون العراقيون ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٢ فما بعد

(١٩) شاكر مصطفى ، المصدر السابق ،

(٢٠) المصدر السابق نفسه

(٢١) الجويني ، جهانكشا (عن المغول)

(٢٢) رشيد الدين فضل الله الهمداني ، جامع التواريخ ، (عن المغول)

(٢٣) فاروق عمر ، الاستشراق وتاريخ العصر العباسي ، آفاق عربية ١٩٨٦ (دوريات)

(٢٤) ادوارد سعيد ، الاستشراق؛ بيروت ، ١٩٨١ (مترجم)

طيباوي ، المستشرقون الانكليز ، لندن ١٩٦٤ .

(٢٥) فان فلوتن ، السيادة العربية ، ليدن ، ١٨٩٠ ، (مترجم) ولها وزن الدولة العربية وسقوط ، ١٩٢٢ (مترجم)

(٢٦) حول هذه الاراء راجع فاروق عمر الاستشراق وتاريخ العصر العباسي ، دوريات آفاق ٩٨٦

(٢٧) فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، بغداد ١٩٨٥ ، ص١٠٩ فما بعدا وما بعد

(٢٨) 54 LAMBTON ISIAMIC SOCiETY IN PERSIA, LONDON, 1954

(٢٩) ولها وزن احزاب المعارضة في للاسلام ، هي ٢٤٠ - ٢٤١

(٣٠) فاروق عمر الحركات الدينية - السياسية في بلاد فارس ، افاق عربية ، ١٩٨٥

(٣١) جولدتسهير الشعوبية ... ص ٢١

(٣٢) FRYE, THE ABBASiD CONSPiRACY 1952

(٣٣) WEIT, LEMPIRE NEO. BTZANTIN C. H. M. ,1953

(٣٤) ERYE, THE HERiTAGE OF PERSIA, 1962

(٣٥) ARMAgANi LNTENNATIONAL CONGREM & THE OSIWTALIT.

(٣٦) فاروق عمر ، العراق والتحدي ... ، دراسة غير منشورة (معدة الطبع)

- ٥ -

مضمون الملكية في النهج الأقتصادي العربي الأسلامي

د/ حمدان عبد المجيد الكبيسي
كلية الآداب / جامعة بغداد


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مضمون الملكية في النهج الاقتصادي العربي الاسلامي

الدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي
كلية الاداب / جامعة بغداد

تعني الملكية في النهج الاقتصادي العربي الاسلامي ، العلاقة الشرعية بين الانسان الاشياء التي يمكنه التصرف فيها بالطرق الشرعية . فهي والحالة هذه « اتصال شرعي بين الانسان وبين شئ يكون مطلقاً لتصرفه فيه ، وحاجزاً عن تصرف غيره وفيه »(١) . فهي اذن علاقة شرعية تعطي صاحبها حق الانتفاع والافادة والاستعمال والاستثمار والتصرف مع بيع واجارة ، واعادة وغيره ، دون حاجة الى اذن ، وبالشكل الذي يرتئيه(٢) وباي وجه من وجوه الانتفاع ، غير مفيد بزمان ولامكان ولابشكل معين ، مالم يكن ذلك الشكل محرماً شرعاً او قانوناً . وان هذا النوع من الملك غير موقت فلا ينتهي الابهلاك العين المملوك او نفاذه ، اول بانتقاله الى غيره بالوارثة اذا مات المالك ، او بتصرف شرعي ناقل للملكية كالبيع والهبة(٣) .

وعنه جمهور الفقهاء ، هي اختصاص بالشى يمنع الغير عنه ، ويكسب صاحبه حق التصرف والانتفاع في هذا الشئ المملوك ، مالم يوجد مانع شرعي(١) وفي الفقة القانوني ، تكون الملكية حقاً بمقتضاه يوضع شئ تحت تصرف ادارة شخص يكون له دون غيره الحق في أن يستعمله ويتصرف فيه في حدود القانون . (٢)كما ليس له أن يتعسف في استعمال مايملكه ، أو يتصرف على نحو مضر بغيره ، فرداً كان ذلك الغير ام جماعة . (٣)على ان يكون تصرفه في نطاق الأوامر والقرارات التي تصدرها الدولة ، تحقيقاً لمصلحة الجماعة .(٤) وبذا نجد ان حق الملكية قد قيد بألايترتب على اضرار بالغير .(٥) وهذا ما انتهى اليه اخيراً نظر اغلب النقهاء .

وشرعا يبقى المالك متمتعا بهذه الحقوق ، الا اذا انتقلت الملكية الى غيره بالطرق الشرعية الناقلة للملكية ، كانتقالها

---

(١) احمد الشرباصي ، المعجم الاقتصادي الاسلامي ، ص ٤٤١ .

(انظر تفصيل ذلك في : قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص٢٣٨) .

(٢) عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص٢٢٤ .

(٣) يحيى بن آدم ، الخراج ، ص٩٠ .

محمد علي السايس ، ملكية الأفراد للأرض ومنافعها في الاسلام ، ص٢٠٣ .

---

(١) زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ٢٢٤

(٢) السايس ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ٢٤٥ .

(٤) السايس ، المصدر السبق ، ص ٢٠٣

(٥) ابن آدم ، الخراج ، ص ٧٩ .

الى غيره بالوراثة اذا مات المالك . او بتصرف شرعي ناقل للملكية كالبيع والهبة . او بهلاك الشيء المملوك . ذلك ان الملك لايسقط بالتقادم في النهج الاقتصادي العربي الاسلامي .(١)

ويبدو ان اهم خاصية تميز الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي هي . موقفه من الملكية بصورة عامة . ذلك ان شكل ملكية الثروة ووسائل انتاجها . هو الذي يحدد مضمون اي نظام اقتصادي . كما انه يعتبر اوضح مجال لمقارنة النظم الاقتصادية المختلفة ببعضها البعض .

ومنذ قيام الدولة العربية الاسلامية ، استفادت من الارث الحضاري العربي . فاعتبرت الموارد الطبيعية الرئيسة ملكا للامة . تشرف عليها الحكومة باسم الامة . وهذا شمل الماء والكلا والحطب والوقود المعادن المتدفقة . [illegible] شمل الاراضي . وخاصة الاراضي

المحررة والمفتوحة (١) . ويقاس عليها غيرها من ضرورات الحياة المشتركة ، كالاشياء يتعلق بها حق الناس جميعاً ، وهي المخصوصه للمنافع العامة ، كالطرق العامة ، والانهار العظيمة . اذا روي عن عمر بن الخطاب (رض) انه قال : « المسلمون شركاء في دجلة والفرات وكل نهر عظيم نحوها » ،(٢) وكذلك الاموال الموقوفة .(٣) كل الاشياء التي بهذه الصفة لايجوز تملكها ، ولاتقبل التملك ، فلا يمكن ان يرد عليها ملك فردي ، لمنافاة ذلك لما خصصت له .(٤)

وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام . في غنائم خيبر من تخصيص نصفها لنوائب المسلمين من الوفود والاحداث اقرار لملكية الارض ملكية جماعية . اذا لم يكن هذا النصف مملوكا لشخص معين . وانما ذلك ملك جماعة المسلمين تصرف غلته في نوائبهم جميعا .(٥)

وكذلك كان شأن الملكية في الفيء والغنائم قبل قسمتها في الناس .

(١) زيدان . المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية . ص٢٤١ و ٢٦٣ .

(٢) ابو يوسف . الخراج . ص ٩٧ . ابن سلام . الاموال . ص ٢٩٧ .

ابن ماجة . سنن . ج ٢ ص ٨٢٦ .

الماوردي . الاحكام السلطانية . ص ١٨٧ .

ابن الجوزي . الخراج . ص٩٢ .

(١) ابو يوسف . الخراج . ص ٢٤ .

(٢) ابو يوسف . الخراج . ص ٩٧ .

(٣) الماوردي . الاحكام السلطانية . ص ١٩٣ .

(٤) زيدان . المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية . ص ٢٢٥ .

(٥) ابو داود . سنن ابي داود ج ٢ . ص ص ١٤٣ ـ ١٥٣

[illegible] الخطيب . الملكية الفردية وتحديدها في الاسلام . ص ١٠٧ .

اذ كان الملك حينئذ لجماعة المسلمين ، مما سوغ لبعض ينعته بانه مال الله ، وليس يريد الا انه مال المسلمين جميعاً .

وهذا هو الذي تمسك به ابو ذو الفغاري وحمل معاوية بن ابي سفيان ، وهو امير الشام يومئذ من قبل الخليفه عثمان بن عفان ، على اظهاره .[1]

وروي عن ابن عمر ان الرسول صلى الله عليه وسلم حمى النقيع لخيل المسلمين ،[2] وهذه الحماية من الرسول (ص) لاتعدو ان تكون اقراراً للملكية الجماعية وانشاء لها في صدر الدولة العربية الاسلامية ، اذ تصبح الأرض بها ملكاً لجماعة المسلمين في سبيل منفعة عامة لهم ، هي جعلها مرعى لخيولهم .[3]

قال تعالى :«خلق لكم ما في الأرض جميعاً» ،[4] وروي أيضاً ان الخليفة ابو بكر الصديق حمى الربذة ، وحمى الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب الشرف لهذا الغرض ،[5] وهما موضعان بين مكة والمدينة .[6]

وبجنب ذلك فسحت الدولة العريقة الاسلامية مجالاً للنشاط الفردي ضمن ضوابط محددة ، والتزامات معينة . فالاسلام كان له نظره في ملكية الفرد ، وهي نظرة تهدف في واقعها العام ، وفي غرضها الأساس الى الاصلاح والتهذيب لا الى الهدم والتخريب ، دون ان تتخذ ذريعة للاستغلال والتسلط .[1] فالأراضي الموات في الاصل ملك للامة ، لها تستثمرها ، ولها ان تفسح المجال للأفراد باحيائها وفق شروط معينة ، تأتي في مقدمتها ضرورة الاستمرار في استثمارها والمواظبة على دفع مقدار الضريبة المفروضة على هذا النوع من الاراضي ، وهي اما ان تكون عشر مجمل المحصول (الانتاج) ، او نصف العشر حسب نوع السقي .[2] فقد

---

(١) الطبري . تاريخ الرسل والملوك . ج . ص ٢٨٣ .

(٢) الماوردي . الاحكام السلطانية . ص ١٨٥ .

(٣) ن . م . ص ١٨٦ .

(٤) سورة البقرة . أية ٢٩ .

(٥) الماوردي . الاحكام السلطانية . ص ١٨٥ .

(٦) ياقوت . معجم البلدان . ج٣ . ص ص٢٤ ـ ٢٥ و ٢٣٦ .

---

(١) ابن ادم . الخراج . صص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) ابو يوسف . الخراج . ص ٥٩ و ٦٥ ـ ٦٦

مسلم . صحيح مسلم . ج٣ . ص ٦٧ . الماوردي الاحكام السلطانية . ص ١٧٦

جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، انه قال : « من احيا ارضاً مواتاً فهي له » .[٣] واورد ابن آدم قول رسول الله : « من احيا ارضاً .

ميتة فله رقبتها » .[١] والاحياء لايكون مشروعاً الا بأذن الخليفة او رئيس الدولة ، اذ يرى جمهور الفقهاء انه من احيا أرضاً مواتاً فهي له إذا اجازه الخليفة ، منطلقين من النص «وليس لعرق ظالم حق» .[٢] والعرق الظالم في نظر الفقهاء ، من غرس ، او بنى ، او حفر في أرض غيره بغير حق ، لأن الأرض البور وان كانت مباحة ، الا انه قد يتزاحم الناس عليها فتقع الشحناء بينهم . فمنعاً لهذا يشترط اذاً بالخليفة ألا يأذن الا بما ليس فيه ضرر .[٣] في حين يرى ابو يوسف ،[٤] وابن ابي ذويب وزخر ، وبشر بن غياث ، ان عملية احياء الارض بدون اذن رئيس الدولة جائزة اذا لم يكن فيها ضرر على احد ، ولا لأحد فيه خصومة .[٥]

وقد ادرك المسؤولون في الدولة العربية الاسلامية اهمية أستثمار



(٣) ابو يوسف ، الخراج ،ص ٦٤ .

ابو داود ، سنن ابي داود ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

قدامة ، الخراج ، ص ٢١٢ و ٢١٨ .

الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٨٧ .

ابن الجوزي ، الخراج ، ص ٨٩

(١) ابن ادم ، الخراج ، ص ٨٤ و ٨٨ . ابو داود ، سنن ابي داود ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦٤ . ابن آدم ، ص ٨٤ و ٨٨ .

قدامة ، الخراج ، ص ٢١٢ ، ابن الجوزي ، الخراج ، ص ٨٩ .

(٣) ابن آدم ، الخراج ، ص ٨٦ ـ ٨٧ . قدامة ، الخراج ، ص ٢١٣ .

(٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦٤ .

(٥) قدامة ، الخراج ، ص ٢١٤ .

المرافق الاقتصادية ، ذلك ان تعطيلها معناه اهدار في اقتصاد الدولة ، الامر الذي سيؤدي الى الحاق ضرر تؤول مردوداته السلبية على الفرد والمجتمع .(١) فالاحياء اذن لا يتم الا بجهد من واضع اليد بجعل الارض منتفعاً بها وعلى هذا فما يقوم به مريد الاحياء من اعمال تمهيدية ، لايجعل الارض منتفعاً بها ، لايعد احياء كما لو احاطها بأحجار ، او وضع عليها علامات تشير الى وضع يده عليها .(٢) اذ روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : «ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » .(٣)

ووفق هذا المبدأ ، فقد صار ليس من حق شخص ما ان يضع يده على قطعة ارض فيمتلك رقبتها ويبقيها بدون تعمير او استثمار اكثر من ثلاث سنين ، وكذلك الأمر بالنسبة للمعادن ، فهي في الاصل ملك الامة ، وقد تسمح الحكومة للأفراد ، على سبيل الانتفاع والاستثمار ، لاعلى سبيل التملك ، باستثمارها مقابل دفع خمس الانتاج . وقد تتصرف

فيها كما تشاء بما يحقق مصلحة المجموع لانها ملكهم ، وما الدولة الا نائبة عنهم في التصرف بما يعود عليهم بالنفع .(١)

وبهذا نلمس ان النهج الاقتصادي للدولة العربية الاسلامية ، اعتبر الملكية بأشكالها العينية «الارض والثروات والادوات » ، والنقدية «المال» للأمة . فهي والحالة هذه ملكية عامة ، اي ملكية الجماعة . ويعتبر حائزها من الناس ، فرداً كان ام مجموعة ، ام الدولة ، يد استخلاف لايد مالك .(٢)



(١) ابن آدم ، الخراج ، ص ص٨١ ـ ٨٢

(٢) زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦٥ . ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٣

(٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٠ و ١٩٧ ـ ١٩٨ .

الووري ، الجذور التأريخية للاشتراكية العربية ، ص ٢٢ .

(١) زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص٢٥٥ .

(٢) انظر : سورة الحديد ، اية ٧ . وسورة محمد ، ايه ٣٨ . وسورة الجاثية ، آية ١٣٢

وسورة ابراهيم ، اية ٣٢ ، وسورة الانعام ، اية ١٦٥ . وسورة لقمان ، ايه ٢٠ .

وسورة البقرة ، آية ٦٠ و ١٧٢ و ٢٤٧ . وسورة الرعد ، اية ٢٦ ، وسورة المنافقون آية ١٠ . وسورة المائدة ، آية ٨٨ .

وفي الوقت الذي يحق للمستخلف ان يمارس التصرفات الممنوحة له فيما هو مستخلف عليه . فموضوع الاستخلاف نفسه . في اي مجال من مجالاته . انما هو ملك لله هيأه للأمة [3] . قال تعالى : « هو الذي انشأكم من الارض واستعمركم فيها »[4] وبهذا يتبين ان ثبوت الملكية الفردية لايتنافى مع حقوق الجماعة على هذه الملكية .

واقر النهج الاقتصادي للدولة العربية الاسلامية الملكية على اساس ان مالكها انما هو حائز لوديعة او دعت بين يدين فاستخلف عليها ، على ان يعمل على توظيفها لخير جميع افراد المجتمع .[1] قال تعالى : وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » . واتاح للدولة ان تنيب عنها في ذلك من تشاء من بين افرادها بمقدار مايجوزه كل منهم من الثروة . وعلى هذا الأساس اعترف بنوعين من الملكية هما :

١ ـ الملكية الخاصة : اقر النهج الاقتصادي العربي الاسلامي الملكية الفردية الخاصة واحترمها ورعاها . وتعهد بحفظها وحميتها بوسائل كثيرة ، على ان تكون ملتزمة ومتفقة مع سياسة الدولة ونهجها . وخاضعة لرقابة المجتمع ، خضوعاً يعطيه حق تقييدها او نزعها ، او مصادرتها مع « التعويض » ، اذا استدعت مصلحة الجماعة . وهذا يعني ان الملكية الخاصة في الدولة العربية الاسلامية ذات «وظيفة اجتماعية » يقوم بها المالك تحقيقاً للخير والنفع للمالك نفسه وللجماعة .[2]

٢ الملكية العامة ، او ملكية المجموع : وهي التي يحصل الانتفاع باثارها لجماعة من الناس ، على ان يكون انتفاع الفرد بها قائماً على انه فرد من تلك الجماعة ، دون ان يكون له به اختصاص .[1] وتتمثل في :

أ ـ كل ما يمثل الثروة الطبيعية للمجتمع ، ضرورة عامة لجميع افراده . كما هو الشأن في الماء والكلأ ومواد الوقود .

(٣) ابن آدم الخراج ، ص ٨٦ . قدامة ، الخراج ، ص ٢١٣ .

(٤) سورة هود ، آية ٦١ .

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦٢ .

(٢) الطحاوي ، الاقتصاد الاسلامي ، ص ٢١٨ .

(عن التعويض ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص ٧٧) .

(١) زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ٢٢٥ .

ب - كل مالم يتدخل العمل في تكوينه او تشكيله من ثروات المجتمع الطبيعية ، كساقط المياه ، وينابيع الزيوت ، ومناجم المعادن ، وما شكل ذلك .

جـ - كلما استدعي مصلحة الجماعة تحويله الى ملكية عامة للصالح العام ، كما هو الشأن في الحمى[٢] مثلاً . ان هذه الاجراءات ترمي الى حماية الثروة القومية ، ولكي لاتتحول الى ثروة خاصة قد تعطي لاصحابها فرصة الاحتكار ، او استغلال حهد الغير . وبذلك تصبح الملكية العامة كالملكية الخاصة ذات «وظيفة اجتماعية » .[١]

واتسم النهج الاقتصادي العربي الاسلامي بالواقعية ، فلم ينجح الى التجريد والخيال ، سواء في ذلك مايتصل بغاياته ، أم مايتعلق بوسائله الى تحقيق تلك الغايات .[٢] الامر الذي جعله يستهدف من كل تشريعاته تحقيق ماينسجم منها فعلاً مع الطبيعة الانسانية ، بكل ما قطرت عليه من خصائص ونوازع . فهو نهج قد واءم فطرة الانسان وساير تطوره ، فتميز باعترافه بمبدأ «الملكية الخاصة» استجابة لغريزة التملك التي فطر عليها الانسان ،[٣] وفي الوقت نفسه جعل الملكية الخاصة « وظيفة اجتماعية » عن طريق التشريعات التي تحد من شره الانانية الفردية التي فطر عليها الانسان ، وتقوي الميل الاجتماعي الذي جبل عليه أيضاً ، كما تبرز التعاون بين جميع افراد المجتمع الواحد . وجعل وجود (الدولة)



(٢) الحمى : نوع من الملكية العامة .ونعني به مساحة من ارض مملوكة من قبل المجموع . وتكون الارض الحمى عادة مخصصة لرعي الحيوانات ، وهي غير الارض المخصصة للزراعة .

(انظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٨٤ .

(١) الطحاوي ، الاقتصاد الاسلامي ، ج٢ ،ص ٢١٨ .

(٢) ن . م ، ص ٢٠٩ .

(٣) حفيف ، المصدر السابق ، صص١٠٩ - ١١٠ و ١١٦ .

محمد عبد الله العربي ، الملكية الخاصة وحدودها في الاسلام ، ص١٣٧ .

ضرورة لتقديم المنحرف في الملكية عن سواء السبيل ، والزامه بما يبقى عليها وظيفة اجتماعية باستمرار . وبلاريب ، فأن هذا النهج في الاقتصاد يخالف النهج الاقتصادي الذي اطلق للحرية الاقتصادية العنان ، وحررها من اية اعتبارات خلقية ، او اجتماعية ، او قانونية ، فانطلقت الانانية الفردية دون قيد او عائق الى ميادين التنافس والتكاثر في جمع المال باية وسيلة ، حتى ولو كانت غير مشروعة[1] .

ويلاحظ المتتبع ان السلوك الاقتصادي في الدولة غير متفصل عن الاخلاق والقيم العربية الاسلامية . وحينئذ باتت تشريعاته لاتقر شيئاً من الاحتكار[2] . او الغش ، او التطبيق[3] في المكايل والموازين المعتمدة من الدولة[4] . وبذلك امتزج النهج الاقتصادي بمكارم الاخلاق .

كما انه غير منعزل عن العرف والنواميس الاجتماعية الموروثة .[1] ومن هنا يتضح ان السلوك الاقتصادي في منهج الدولة العربية الاسلامية في الاقتصاد ، اخلاقي واجتماعي معاً ، فهو يعطي حق الامتلاك والتمتع بالملكية ، على ان تخضع الملكية للالتزام الاخلاقي الذي يدعو الى ان جميع افراد المجتمع لهم نصيب في الثروة[2] .



(١) الطحاوي . الاقتصاد الاسلامي . ص ٢١٠ .

العربي . المصدر السابق . ص ١٥٣ .

(١) احمد ابن حنبل . المسند . ج٧ . ص ص٥٩ - ٦٠ .

مسلم . الجامع الصحيح . ح٥ . ص ٥٦ .

الغزالي . احياء علوم الدين . جـ٢ . ص ٥٩ و٦٤ .

الشيرزي . نهاية . الرتبه . ص١٢ . ابن بسام نهاية الرتبه . ص ١٨

(٣) سورة المطففين آية ١ - ٤ . سورة الرحمن . آية ١.

(٤) الماوردي . الاحكام السلطانية . ص١٤٦- ١٤٧ و٢٢٧ - ٢٢٩ .

الشيرزي . نهاية الرتبه . ص ١٢ و ١٥ - ١٦ و ٢٧ - ٢٩ و ٣٣ .

(١) العربي . المصدر السابق . ص ١٣٤ .

(٢) منان . الاقتصاد الاسلامي . ص ٩٣ .

مبدأ الاستخلاف :

مادام الانسان ليس بالمالك الاصيل ، وانما هو مستخلف من المالك الاصيل « الله او الامة ، او الدولة » اذن فالملكية هي وظيفة اجتماعية ، ومهمة الانسان اعتبرت نيابة واستخلافاً ، انيطت به وفق حكم شرعي من الخليفة او رئيس الدولة .(٣) ومن هنا اصبح من حق المالك الاصلي ان يحدد لخليفته ، او وكيله ، في مجالات واسلوب وطريقة تحصيل المال وانفاقه .(٤)

والمستخلف ، اذ يمارس مهمة الانتفاع بوسائل الثروة والانتاج ، فانما يتم ذلك بتعويض من المالك الاصلي لها .وانابة عنه ، على ان تكون تصرفاته وممارسته لمهمة الاستخلاف مرتبطة بالحدود والتوجيهات المرسومة من قبل المالك الأصيل . فعلى المستخلف المنتفع بوسائل الثروة والانتاج ، ان يقوم على مسؤوليات هذه الخلافة قياماً اميناً واعياً ، وان يعي هذه المهمة ، ويستوعب ابعادها الاقتصادية والقانونية ، وألا يدخل في مخالفة المالك ألاصيل ، لأن ذلك قد يؤدي الى حرمانه من الاستمرار بوظيفته الاجتماعية هذه وتجريده من حق الانابة في الانتفاع والحيازة ، مما هو مستخلف عليه .(١) اذ هو لايملك الحرية المطلقة في الملك المستخلف عليه . قال تعالى : «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .(٢) وقوله : « هو الذي جعلكم خلائق الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » .(٣)

سلطة الدولة في تحديد وسحب الملكية :

تمتلك وظيفة الاستخلاف الاجتماعية صلاحيات معينة ، كما انها تؤطر بالتزامات محددة . ففي الوقت الذي تمنح المستخلف حق الانتفاع والحيازة مقابل التزامات وضوابط قانونية ، وادارية ، ومالية ، فمن حق الدولة ان تجرد المستخلف مما هو مستخلف عليه اي وقت تشاء ، وبخاصة عندما ترى مبرراً لذلك ، بحيث يتم من خلاله تحقيق النفع العام ، او دفع ضرر .(١) ذلك ان الفقهاء يرون ان الملكية لاتثبت الاباقرار من السلطة ،

---

(٣) فاضل الحسب ، في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي ، ص ١٧ .

زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ٢٤٢ .

(٤) الطحاوي ، الاقتصاد الاسلامي ، ج٢ ، ص ١٨٢ .

(١) الحسب ، في الفكر الاقتصاد العربي الاسلامي ، ص ١٨ .

(٢) سورة الحديد ، اية ٧ .

(انظر : زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٣) سورة الانعام ، آية ١٦٥ .

(١) الحسب ، في الاقتصاد العربي الاسلامي ، ص ١٨ .

لان الحقوق كلها ـ وبضمنها حق الملكية ـ لاتكسب شرعاً الا بقرينة واذن من المسؤولين . فالحق ليس نائباً عن طبيعة الأشياء ، لكنه ناشئٌ عن اذن السُلطة التي اقرت هذا الحق ، ورسمت حدود استعماله والانتفاع به ، والتصرف فيه ، ولم تتركه مطلقاً لصاحبه .[٢]

المستخلف اذ يمتلك من مقومات الملكية حق الانتفاع والحيازة ، فهو لايمكنه التصرف بالشئ المستخلف عليه وفق هواه وبدون مراعاة حقوق الاستخلاف المعروفة والمتفق عليها . ذلك ان ممارسته لرقبة الملكية مشروطة بضوابط مرسومة ، اذ ان الملكية في هذا المجال قد كيفت واصبحت مهمة توكل من قبل الأمة (او الدولة) الى فرد او مجموعة ، ويكون من حق المستخلف الاستمرار في أداء مهام وظيفته هذه طالما هو يتصرف ضمن ضوابطها . وان وظيفته الاجتماعية هذه قد تلغى وتسحب منه لتناط بغيره اذا ما تجاوز هذه الضوابط ، وقام بتصرفات تعد خرقاً لحدودات مهمة الاستخلاف ،[١] ذلك ان الحكومة . بحكم ماهو منوط بها من رعاية مصلحة الجماعة ، يكون لها في اذنها بالحق ان تحدد نطاق الحق على هدي مصلحة الجماعة[٢] وعدم الاضرار بها ، آخذة بالحديث النبوي الشريف :« لاضرر ولاضرار » ،[٣] سواء كان هذا الضرر خاصاً أم عاماً ، لأنه اذا كان الضرر بالغير فيه اعتداء منهي عنه بقوله تعالى :

« لاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين » ، وفي هذا الحالة يصبح من حق السلطة ان تعمل على دفعة قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة ، على ان لايكون ازالة الضرر باحداث ضرر مثله .[١]

وتشير النصوص الى ان الرسول صلى الله عليه وسلم ،[٢] وبعض الخلفاء الذين جاؤوا بده كانوا قد منحوا

(٢) العربي ، المصدر السابق . ص ١٥٧ .

(١) الحسب ، في الفكر الاقتصاد العربي الاسلامي ، ص ١٩ .

(٢) العربي ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) رواة مالك في الموطأ .

(١) ابن آدم ، الخراج ، ص ٧٩ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ .

بعض المواطنين أراضي بمساحة محدودة ،[٣] وبشروط معينة ، وان ذلك كان يحدث دون دفع بدل مقابل لبيت مال المسلمين عن قطعة الأرض الممنوحة ،[٤] اذ أورد ابو يوسف رواية عن هشام بن عروة ان الرسول (ص) قد اقطع « الزبير ارضاً فيها نخل » .[٥]

ويبدوا ان الاراضي التي منحت رقبتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ،والخلفاء الراشدين لم تكن في حوزة احد ، ولاملك لاحد فيها ولاعمارة ، ولم تكن فيئاً لاهل قرية ، ولاموضع محتبطهم ، ولامرعى دوابهم واغنامهم . وقد حدد الفقيه ابو يوسف الاراضي التي يجوز
اقطاعها من قبل رئيس الدولة في قوله : « كل ارض .. غامرة وليست لاحد ولا في يد احد ، ولاملك احد ، ولا وراثة ، ولاعليها اثر عمارة »[١] ان يقطعها الخليفة رجلاً فيعمرها . وفي ضوء هذه الاسس اقطع الرسول الكريم (ص) اناساً لكي تألف قلوبهم على الدعوة الجديدة ، والجهاد في سبيلها ، والذود عنها . واقطع الخلفاء من بعده لمن رأوا في اقطاعه صلاحاً .[٢]

ولاجل الا تبقى ثروة الامة الطبيعية معطلة ولم وتستثمر ، اشترط على الشخص الذي يمنح قطعة ارض ان يقوم باستثمارها فعلا ، على نحو معين صالح يؤدي الى الخير والنفع ، وعدم اهمالها .[٣] والزمت الدولة العربية الاسلامية مواطنيها بضرورة الاسراع في عمليات احياء الاراضي الموات التي كانت تمنح لهم . وحددت السلطة مدة اقصاها ثلاث سنين ،[٤] وبعدها اذا لم يستطع الشخص استثمار

(٣) ن . م ، ص ٦٢ .

(٤) ابن آدم ، الخراج ، ص ص ٧٧ - ٧٨ .

(٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ .

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٥٩ .

(٢) ن . م ، ص ٦٢ ، ابن آدم ، الخراج ، ص ٧٧ .

(٣) ابن آدم ، الخراج ، ص ٧٨ . قدامة ، الخراج ، ص ٢١٤ .

(٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦١ و ٦٥ . ابن آدم ، الخراج ، ص ص ٩٠ - ٩١ .

الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩١ .

قدامه الخراج ، ٢١٤

الارض المقطعة له ، وعجز عن اداء وظيفته ، عندئذ تزول عنه صفة الملكية ويصبح من حق الدولة ان تسحب هذه الارض منه ، ومنعه من التصرف فيها ، لتمنح الى شخص آخر ، على ان يلتزم شروط الاحياء .(١)

وقد روي عن رسول الله صلى عله وسلم انه قال :«ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين ،(٢) وطبقت عمر بن الخطاب هذا المبدأ ، اذ روي عنه قوله : « من كانت له الاض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها ،فعمرها قوم آخرون فهم احق بها » .(٣) واسترد الخليفة الراشد الثاني من بلال بن الحارث المزني ارضاً كان قد منحه اياها الرسول (ص) ، ذلك ان بلالاً اهمل هذه الارض ولم يستطع إستثمارها ، فقال له الخليفة عمر بن الخطاب : « ان رسول الله لم يعطك الارض لتحجزها عن الناس ، انما اعطاهالك لكي تستخدمها ، لذلك فعليك ان تأخذ فقط ماتقدر على استغلاله وتترك الباقي » .(١) وروي عن ابن طاوس « ان رسول الله صلى عليه وسلم اقطع رجلاً ارضاً ،فلما كان عمر ترك في يديه منها ما يعمره ، واقطع بقيتها غيره » .(٢)

والحكمة من السياسة التي اتبعها عمر بن الخطاب (رض) واضحة وجلية ، وهي حرص المسؤولين على مداومة استثمار المالك للمال الذي بين يديه لانه اصلاً مال الجماعة . اذن يكون لولي الامر ، النائب عن الجماعة ، حق التدخل بكل مايكفل نفاذ هذا التكليف . فالغرض من اعطاء الارض لاحد افراد الشعب هو الانتفاع منها الى اقصى درجة ممكنة .(٣)

ولم يأل الخلفاء جهداً في تطبيق مبدأ التعويض بحق ذوي الملكية الذي يلحق بهم ضرر في ملكيتهم ، او في اراضيهم وزرعهم . وقد بذل الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب جهداً كبيراً وملموساً

---

(١) ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٣ .

الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩١

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦٥ .

ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٣ (الحاشية) .

(٣) ابن آدم ، الخراج ، ص٩١ .

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٦٢ . ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٣

(٢) ابن آدم ، الخراج ص ٧٨ .

(٣) ن . م ، ص ٨٢ .

(٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١١٩

لكي يرضى اهل نجران الذين تطلبت مصلحة الدولة الامنية والادارية اجلاءهم من اليمن الى العراق والشام وكتب الى امراء العراق والشام بضرورة مديد العون والمساعدة لهم في ارضهم وزرعهم ، وذلك تعويضاً عما فقدوه في اليمن[1] الاجتماعي

ومن حق الدولة ايضاً التدخل في شؤون ملكية الارض في حالات سوء الاستخدام ، ذلك ان نهج الدولة الاقتصادي ربط بين السلوك الاجتماعي والتصرف الاقتصادي لمستثمري الاراضي ، كما ان تركز الثروة بايدي قلة من الناس يعطي للدولة حق التدخل ،اذ يحق لولي الامر ان يدرأ عن المجتمع الضرر العام ، فيرد المالك اذا عمد الى اسلوب في استثماره ماله يؤدي الى ضآلة الانتاج ، كما يحق له ان يتدخل في الاجراءات التي تكفل توزيع اموالهم بين مصادر الانتاج المختلفة ، من زراعة ، او تجارة ، او صناعة ، او تعدين وغيرها .[2]

ومنعاً لظهور الملكيات الكبيرة حدد الرسول عليه الصلاة والسلام ، مساحة الارض المحيطة بالبئر او العين المملوكة من قبل شخص ما بأربعين ذراعاً في حالة البئر ،[1] وستين ذراعاً « وقبل مائتي ذراع » في حالة العين .[2] وبهذا يكون النهج الاقتصادي للدولة العربية قد اكد على الملكية الصغيرة وعدم الاضرار بها او تجاوزها . وشجب حبس الاموال بيد قليلة من الناس ، كما ان تحديده انصبة الورثة تفتيت للثروة ، ومنع لتكديسها بأيد قليلة من المواطنين .



(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص ٧٧ - ٧٨

ابو يوسف ، الخراج ، ص ٧٣ .

(٢) ابن أدم ، الخراج ، ص ص ١٠٢ - ١٠٣ و ١٠٦ قدامة ، الخراج ، ص ٢١٦ .

العربي ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

---

(١) ابن أدم ، الخراج ، ص ٨٩ .

(٢) ن . م ، ص ١٠٦ .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري .
الكامل في التاريخ ، ٩ أجزاء ،ط٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت : ١٩٦٧) .
٣ ـ ابن آدم ، يحيى .
كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٧٩) .
٤ ـ ابن بسام ، محمد بن أحمد .
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٦٨) .
٥ ـ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد .
الخراج ، « مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا » كلية الاداب
٦ ـ ابن حنبل ، احمد .
المسند ، ١٢ اجزاء ، (مصر : ١٩٤٨) .
٧ ـ ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
سنن ، دار احياء الكتب العربية ، (مصر : ١٩٥٣) .
٨ ـ ابو داود ، سليمان الاشعث بن اسحق الازدي .
سنن ابي داود ، ج٢ ، ط١ مطبعة البابي الحلبي ، (مصر : ١٩٥٢) .
٩ – ابو عبيد ، القاسم بن سلام .
الاموال ، (القاهرة : ١٩٦٨) .
١٠ ـ ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم .
كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٦٧) .
١١ ـ البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر البغدادي .
فتوح البلدان ، ط١ مطبعة الموسوعات ، (مصر : ١٩٠١) .
١٢ ـ الحسب ، فاضل عباس (الدكتور) .
في الفكر الاقتصاد العربي الاسلامي ، الدار العربية للطباعة ، (بغداد : ١٩٧٩) .

١٣ ـ الخفيف ، علي .
الملكية الفردية وتحديدها في الاسلام ، مطابع مؤسسة اخبار اليوم (القاهرة : ١٩٦٤) .
١٤ ـ الدوري ، عبد العزيز ، (الدكتور) .
الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، مطبعة العاني ، بغداد : ١٩٦٥)
١٥ ـ زيدان ، عبد الكريم (الدكتور) .
المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، ط٤ ، مطبعة العاني (بغداد ح ١٩٦٩) .
١٦ ـ السايس ،محمد علي .
ملكية الافراد للأراضي ومنافعها في الاسلام ، مطابع اخبار اليوم ،(القاهرة) ١٩٦٤
١٧ ـ الشرباصي ، احمد .
المعجم الاقتصادي الاسلامي ، دار الجبل ، (القاهرة : ١٩٨١) .
١٨ ـ الشيرزي ، عبد الرحمن بن نصر .
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، (القاهرة : ١٩٤٦) .
١٩ ـ الطبري ، محمد بن جرير .
تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ اجزاء ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة) .
٢٠ ـ الطحاوي ، ابراهيم (الدكتور) .
الاقتصاد الاسلامي مذهباً ونظاماً ، جزءان ، (القاهرة : ١٩٧٤) .
٢١ ـ العربي ، محمد بن عبد الله .
الملكية الخاصة وحدودها في الاسلام ، (القاهرة : ١٩٦٤) .
٢٢ ـ الغزالي ، محمد بن محمد بن احمد .
احياء علوم الدين ، ٤ اجزاء ، بولاق ، (مصر : ١٣٠٩ ه) .
٢٣ ـ قدامة ، ابن جعفر الكاتب .
الخراج وصناعة الكتابة ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨١) .
٢٤ ـ الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب .
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت : ١٩٧٨) .
٢٥ ـ مسلم ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري .
الجامع الصحيح ، ٨ اجزاء ، (مصر : ١٣٣٢ ه) .

٢٦ ـ منان ، م . أ
الاقتصاد الاسلامي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة منصور ابراهيم التركي ، (القاهرة : ١٩٧٥)
٢٧ ـ ياقوت ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الحموي .
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت : ١٩٥٧) .




ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- ٦٠ -

علم الخرائط في المدرسة العربية

د / فلاح شاكر أسود
كلية الآداب / جامعة بغداد

علم الخرائط في المدرسة العربية

الدكتور فلاح شاكر اسود
استاذ الخرائط / كلية الأداب / جامعة بغداد .

نستطيع ان نميز ثلاث اتجاهات عربية بارزة في علم الخرائط في المدرسة العربية هي :

١ ـ الاتجاه الاول : وهو الاتجاه الذي تأثر رواده بخرائط اليونان القدماء (الاغريق) بحدود القرن التاسع الميلادي

٢ ـ الاتجاه الثاني : وهو الاتجاه العربي الاصيل الخالي من اي تأثير يوناني او فارسي والذي ازدهر في القرن لعاشر واستمر من القرن الثالث عشر والذي يعتبره البعض حتى الان هو الذي انتج الخرائط المضطربة والتي اطلق ميلر عن خرائطها اسم (اطلس الاسلام)

٣ ـ الاتجاه الثالث : وهو الاتجاه النورمندي ـ العربي الذي برز في القرن الثاني عشر وبقي تأثيره حتى القرون الوسطى ، وقت وصف بان اعظم انجاز له هو رسم الخرائط التي فاقت خرائط بطليموس .

ان تقدم علم الخرائط في المدرسة العربية هو نتيجة حتمية لتقدم المفاهيم الجغرافية لديهم وهي

١ ـ القول بكروية الارض . وقد وردت في اغلب الكتب التي تناولت المعلومات الجغرافية اشارات واضحة الى هذا المفهوم .

٢ ـ تحديد دقيق لدائرة العرض واقواس الطول ومن هذه الاشارات التي وردت في هذا الخصوص ما اورده البيروني حيث قال ... ونديرٍ دائرة ونربطها ونكتب على نقط ارباعها اسماء الجهات ونخرج الخطين المربعين لها في جهاتها على استقامتها الى ما امتدت اليه غير محددة ونقسم كل واحد من انصاف الا قطار بتسعين جزء

قسمة مستوية ودور الدوائر ثلثمائة وستين جزء ثم نطلب على خط المشرق والمغرب مراكز دوائر تمر كل واحدة منها على جزء من اجزاء القطر وعلى كل واحد من نقطتي الشمال والجنوب فاذا حصلت وادرتنا مايقع من تلك الدوائر داخل تلك الدائرة حصل مائة وثمانون قوساً تقسم القطر باقسام متساوية وتتقاطع عند كل واحدة من نقطتي الشمال والجنوب وهي دوائر الطول . ثم نعود الى الخط الخارج من نقطة الشمال على استقامة القطر فنطلب عليه مركز دائرة تجوز على بعد جزء واحد على كل واحد من نقطتي المشرق والمغرب في المحيط وعن المركز في القطر ثم على بعد جزئين وثلثة حتى تتم التسعون دائرة ونعمل في النصف الجنوبي مثل ذلك على الخط الخارج من نقطته على استقامة القطر فتحصل لنا دوائر العرض وهي مائة وثمانون دائرة تقسم كل واحدة من دائرة الطول بمائة وثمانون قسماً . (١)

---

(١) البيروني (ابي الريحن محمد بن احمد)الاثار الباقية عن القرون الخالية . ليبزك ١٩٢٣ ص ٣٥٩

١٥ ـ وقف بطليموس عند خط ٦٨° شمالاً وجعله اقصى نهاية المعمورة فانتهى شمالاً الى الجزر البريطانية التي وضعها في الاقليم السادس ولم يضع بعدها شيً . فاكمل الادريسي الجزر البريطانية وبلاد شمال اوربا حتى فنلندة وشمال روسيا واللاب ووضعها في الاقليم السابع وبذلك زاد امتداء المعمورة (٤) حيث اوصله الى خط ٧٢° شمالاً . كما مد المغمورة اكثر نحو جنوب خط الاستواء .

١ الاتجاه الاول الذي تأثر بالفلك والرياضيات

تعتبر الخريطة المأمونية اول انتاج هذه المرحلة التي اعتبرت امتداداً للمعرفة اليونانية مع شيً من التطوير والابتكار . وهي اول خريطة رسمت في زمن المأمون قام برسمها مجموعة من علماء الفلك والرياضيات بلغ عددهم حوالي ٧٠ عالماً ومما يؤسف له ان هذه الخريطة لم تصل الينا بشكل كامل وجيد لوصفها ومقارنتها وتحليلها .

وقد اشار المسعودي الى انه رأى هذه الخريطة التي صورت الاقاليم السبعة وفاقت الخرائط اليونانية التي تقدمتها بطليموس ومارنيوس وهي خريطة ملونة حيث قال بين الاسلاف والاخلاق من حكماء الامم في مقادير هذه الاقاليم السبعة واطوالها وعروضها وعدد ساعاتها وابتدائها وغاياتها ومافيها من مساكن الامم في البر والبحر تنازع كثير ، وقد اتينا على شرح كثير من ذلك فيما تقدم من كتبنا ، ورايت الاقاليم مصورة في غير كتاب بانواع الاصباغ . واحسن مارايت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعها عدة من حكماء اهل عصره صور فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وغامره ومساكن الامم، وغير ذلك وهى احسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس ومارينوس الصوري (١)

وقال كراتشكوفسكي بان هذه الصورة اثراً ممتازاً من الاثار الجغرافية في العصر المبكر لازدهار العلوم العربية ، ولم يحفظ لنا من اثار او بقايا مباشرة ، ولكن معلوماتنا عن هذه الخريطة صحيحة بدرجة تسمح لنا بتكوين فكرة ماعنها ، وهي ترتبط بخارطات بطليموس ومارينوس التي لم تصل الينا ، وفي هذاه المعمور: اسماء الاقطار والمدن المعروفة في كل اقليم طبقاً للقسم المماثل من زيج المأمون ، وفيها تم نهائيا استبدال الاسماء الكلاسيكية، باسماء عربية ، غير ان حدود المعمورة والاقاليم حفظت لنا على الطريقة اليونانية ، اما الاطوال فقد حسبت على ما يبدوا على اساس المذهب الايراني ابتداء من المشرق كرد فعل ضد الاتجاه الغربي للعلم ، او ربما اقرب ملائمة لطريقة الكتابة العربية من اليمين الى اليسار . وان اعادة رسم هذه الحريطة كما هي امر مستحيل ولايزال كثير من الغموض يكتنف طبيعة الاسس التي رسمت عليها . وقداوردكراتشكوفسكي راي الزهري الجغرافي الاندلسي في القرن السادس في وصنفه،كتاب الجغرافيا حول هذه الخارطة . فقد راى الخارطة المأمونية ووصفها بانها مقسمة الى سبعة اقاليم ستة منها تحيط بالسابع الموجود في الوسط لذا يعتبر التجريد المأموني بنتائجه الفذه رد فعل ضد السيادة المطلقة للنفوذ اليوناني (١)

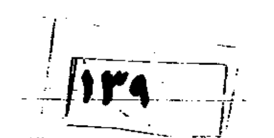
ثم خرائط الخوارزمي والتباني ، فصورة الارض للخوارزمي ابعد من ان تكون ترجمة حرفية لبطليموس ، وان صورة الارض ليست قطعة من الجداول الفلكية للخوارزمي وانما مضف قائم بنفسه فبطليموس يعدد جبال وانهار ومدن كل منطقة . بينما الخوارزمي يوزعها على الاقاليم ولفحص كل ظاهرة على حدة (٣)



(١) المسعودي (ابي الحسن علي ابن الحسين بن علي) . التبنيه والاشراف ، مراجعة عبد الله اسماعيل الصادي ، القهاهرة ١٩٣٨ ص ٣٠

(٢)كراتشكوفسكي (اغناطيوس لوليانوفتش) تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم القسم ـ لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ ص ٨٦ / ٨٧

(٣) نفس المصدر ص ١٠١



وتعتبر خريطة النيل للخوارزمي خريطة متطورة فيها من الدقة اكثر من خرائط بطليموس . فقد جعل منابع النهر من جبل القمر الذي يحمل نفس الاسم الآن ، وتشمل على قمتين معروفتين في افريقيا هي قمة جبل مونت الكون وقمه جبل رونزوري . اما البطيحتان فاللاولى بحيرة فكتوريا والثانية بحيرة نيانزا وبحيرة ادورد . اما الصغرى التي يصبان فيها فهي بحيرة فكتوريا وفرع من بحيرة ادورد الى بحيرة البرت كذلك ويسمى نهر سمليكي في الوقت الحاضر . اما النهر الذي يخرج من البطيحة الصغرى فهو نهر النيل الذي يسمى عند خروجه مباشرة نيل البرت ثم عندما يجري الى الشمال مسافة يسمى بحر الجبل ثم بحر الغزال ثم النيل الابيض اما البحيرة التي تصب في النيل فهي بحيرة نانا في الحبشة (١) وقد استخدم الخوارزمي ٣٦ لوناً في توضيح الجبال وهي (٢)

١ – اصفر
٢ – لازورد
٣ – احمر
٤ – حديدي
٥ – وردي
٦ – زيتي
٧ – مبّيض
٨ – اسود
٩ – ازرق
١٠ – لكّى
١١ – طاووسي
١٢ – تبني
١٣ – خلوقي
١٤ – كمّتي
١٥ – فرفيري
١٦ – ورسي
١٧ – محّسّ
١٨ – ادكن
١٩ – كحلي
٢٠ – اصفر اغبر
٢١ – احمر رماني
٢٢ – ملّون
٢٣ – رمادي
٢٤ – اصفر كمد
٢٥ – احمر مشبع
٢٦ – اصفر مشرق
٢٧ – لازورد مخيّر
٢٨ – حديدي مخيّر
٢٩ – اصفر تبني
٣٠ – اصفر مخيّر
٣١ – اسود مخيّر
٣٢ – عكر اصفر
٣٣ – اغبر
٢٤ – اصفر مشبع
٣٥ – احمر كمد
٢٦ – اصفر كدر

يتضح من طبيعة الالوان بانها لم تتخذ اساساً لتحديد الارتفاعات ، وانما للتمييز والتزيين فقط وترك
نـ والبتاني خارطة للعام تعد اول خريطة تصل الينا من اثار الفلكيين العرب وقد تميزت هذه الخارطة بما
يلي

١٣ رسم بحيرة ارال ونهري سارداريا وموردارياً(اسيحون وجيحون) ينبعان في البحيرة

(١) الدكتور ابراهيم شوكت ، خرائط جغرافي العرب الاول مجلة الاستاذ المجلد ١٠ كلية التربية بغداد ١٩٦٢ ١٧ – ١٩ص

(٢) الخوارزمي (ابو جعفر محمد بن موسى) كتاب صورة الارض ، مطبعة ، دولف هولزهوزن / فينا سنة ١٩٢٦ ص ٣٨ – ٦٥

(٣) الدكتور احمد سوسة . الشريف الادريسي في الجغرافية العربية – الباب الاول منشورات نقابة المهندسين العراقية سنة ١٩٧٤ ص١٢٧٠ / ١٢٨

٤ ـ استعمل العرب المسقط الاسطواني البسيط بينما استعمل بطليموس المسقط المخروطي

٥ ـ اكد العلماء العرب على العالم الاسلامي في خرائطهم وكتبهم واهملوا عالم الكفار

٦ ـ رسم الخوارزمي بحيرة خوارزم (ارال) المفقودة لدى بطليموس (٣)

٧ ـ صحح الخوارزمي مصب نهر ساردا ريا ومورداريا (سيجون وجيجون) وجعلهما يصبان في بحيرة خوارزم بينما جعلها بطليموس تصب في بحر الخزر

٨ ـ رسم البتاني المحيط الهندي مفتوحاً ويحيط الماء بقارة افريقية بينما رسمه بطليموس بحيرة مغلقة

٩ ـ تصحيح اخطاء بطلموس الاخرى

ا ـ وصل بطليموس بين المناطق الجنوبية لافريقيا مع المناطق الجنوبية لاسيا وجعل المحيط الهندي بحيرة مغلقة . وقد فصلت الخرائط العربية بين البر الاسيوي والبر الافريقي .

ب ـ بالغ في حجم جزيرة سيلان

حـ . تصحيح المواقع الكثيرة للمدن التي عينها بطليموس جغرافياً وهي غير مطابقة للحقيقة .

د ـ جعل بطليموس طول البحر المتوسط ٦٢° وهو مبالغ به فانقصه العرب الى ٤٢° في جدول طليطلة للزرقاني وهو مقارب لطوله في الوقت الحاضر (٤٠°)

١٠ ـ التحسينات التي ادخلها العرب على رسم خرائط الجزيرة العربية والمنطقة التي يمتد حولها نهري دجلة والفرات والمنطقة الممتدة من فارس الى السند .

١١ ـ صححت الدراسات الفاكية العربية تحديد ميل مستوى البروج بدقة كبيرة فقد حدد بطليموس هذا الميل ٢٠ ٥١ ٥٣° بينما صححه العرب الى ٣٥ .. ٢٣° (١)

١٢ ـ رسم الخليج العربي بصورة اكثر ملائمة من الشكل المستدير الذي رسمه بطليموس

١٣ ـ اصلح البيروني ازياج بطليموس لقسم من اسيا حيث صحح الاغلاط في خطوط طول بلاد الروم وبلاد ماوراد النهر والسند (٢)

١٤ ـ عدل الادريسي خريطة بطليموس الذي تصور الارض مسطحة على اساس كروية الارض (٣)

(١) . س . م . ضياء الدين علوي . الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين والثالث والرابع الهجريين ، شركة المطبعة المصرية ومكتباتها ـ الكويت . ص ١٠٠

(٢) ا سيديو . تاريخ العرب العام ترجمة عادل زعيتر ط٢ ١٩٦٩ مطبعة عيسى البابي وشركاه / القاهرة ص ٢٧٣

(٣) د / حسين مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ـ مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٧ ص ٢٠٦

(٣) د / ابراهيم شوكت ـ تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به وحقيقة كتاب جغرافية بطليموس ، مجلة الاستاذ مجلد ٩ كلية التربية بغداد ١٩٦١ ص ١٣

٣ ـ تحديد خط الصفر وقبة الارين (قبة الارض) وهي المكان الذي يتقاطع فيه خط الاستواء مع خط نصف منتصف العمارة (١)

٤ ـ قياساتهم الدقيقة لطول الدرجة في زمن المأمون وهذا يوضح تطورهم في علم المساحة

٥ ـ معرفة قطر الكرة الارضية وخط نصف النهار وقياس محيط الارض هي محاولة جديدة لتدقيق ماتوصل اليه ايراتوستين في العصر اليوناني .

٦ ـ تطور الألات الفلكية التي استخدمت في الرصد والقياس

٧ ـ ظهور الجداول الفلكية (الازياج) المبنية على الارصادات العربية في المراصد التي انتشرت في ربوع العالم الاسلامي .

٨ ـ استخدام المسقط الاسطواني البسيط في رسم الخرائط وبذلك استطاع العرب معرفة تحويل السطح المحدب الى السطح المستوي

٩ ـ تصحيحهم الاخطاء الكثيرة التي وردت في الارصادات التي تمت قبلهم

١٠ ـ تثبيت الاسماء الجغرافية في مختلف الاقطار التابعة للدولة الاسلامية بشكل جيد وصحيح

١١ ـ تحديد الاتجاهات وتحديد سمت القبلة .

وقد جاء تطور علم الخرائط لدى العرب في وقت انحدر فيه هذا العلم واصبحت الخرائط السابقة لهم لاتعدوا ان تكون محاولة لتجميل الكتب الدينية بالرسوم الملونة . ورغم تأثر العرب بالعلوم الفلكية الهندية واليونانية وخاصة بطليموس وترجمة كتبه التي شاعت بينهم لثقتهم العالية بها .فانهم لم يقلدوا هؤلاء تقليداً حرفياً وذلك لتقدم معرفتهم الجغرافية شوطاً كبيراً عما كانت عليه ايام بطليموس فصححوا كثيراً من اخطائهم واضافوا اضافات جيدة اعتبرت خطوة نحو الامام وهي

١ اضاف الخوارزمي بحيرة ثالثة عند منابع نهر النيل الاستوائية عند التقاء النهرين الخارجين من البحيرة عند خط عرض °٢ شمالاً وهذه البحيرة لم توجد في خرائط بطليموس .

٢ ـ جعل نقطة التقاء النيل الازرق بالنيل الابيض عند خط عرض °١٥ شمالاً وهي اقرب الى الصواب حيث جعلها بطليموس عند خط (°١١ ٣٠) (٢)

٣ ـ قسم الخوارزمي العالم الى سبعة اقاليم موازية لخط الاستواء وهو نظام غير معروف عند بطليموس والذي جعل العالم الى ثلاث قارات هي اوربا واسيا وافريقية ورسم لها ٧٣ خارطة .

---

(١) كرلو تلينو ، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، روما ١٩١١ ص ١٥٥

(٢) د/عبد العال عبد المنعم الشامي جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط نشرة يصدرها قسم الجغرافيا والجمعية الجغرافية بالكويت رقم ٣٦ ص ١٩

١ - انها تضع الجنوب في اعلى الخريطة
١ ٢ تقسيم العالم الى ثلاث قارات هي اوربا وافريقيا واسيا وبذلك خالف الخوارزمي الذي قسم العالم الى سبعة اقاليم وعاد الى تقسيم بطليوس .
١ ٣ رسم بحيرة ارال ونهري ساردداريا موردداريا (١) (سيحون وجيحون) ينبعان في البحيرة
٤ - استعمل المسقط البسيط الذي يشمل على خطوط طول وعرض مستقيمة .
٥ - جعل البحر الهندي مفتوحاً وقارة افريقيا محاطة بالبحر من جميع اطرافها
٦ - رسم اوربا واسيا ممتدة حول نصف الكرة الاضية حوالي ١٨٠°
٧ - جعل خط الصفر يمر من جزر الكناري (الجزائر العامرة المعروفة بالخالدات او السعداء) اي انه زاد على ماجاء بزيح الخوارزمي ١٠° فبغداد تقع على خط طول ٧٠° عند الخوارزمي و٨٠° عند التباني .
١٠- سمي البحر الاسود (بنطس) وأن نهر طنايس يدخل فيه بعد ان يمر ببحيرة مايطس (ازوف) والارجح ان نهر طنايس هو نهر الدن الحالي الذي يصب في بحيرة آزوف .
١١ - رسم بحر قزوين (الخزر) مستطيلاً ويمتد عكس اتجاهه الحقيقي فقد رسمه يمتد من الشرق الى الغرب بدلاً من وضعه بشكل صحيح من الشمالي الى الجنوب .
١٢ - قام بتدقيق ماجاء بالصورة المأمونية من مواقع استناداً الى ارصادة وصحح كثيراً من اخطاءها (١)
١٣ ١ اكد على العراق الجزيرة واعالي الجزيرة اكثر من اي جزء آخر من آجزاء العالم (٢)
١٤ - عندما وضع زيجة الجغرافي للاطوال والعروض كان تأكيده بالدرجة الاولى على المدن (٣)
ورغم ان البياتي رسم خريطته على اساس القارات ، فانه اوضح الاقاليم السبعة بكل وضوح وهي كما يلي (٤)

الاقليم	خط العرض	طول النهار (ساعة)
١	٢٩- ١٦°	١٢
٢	٥- ٢٤°	١٢ر٥
٣	٤٠- ٣٠°	١٤
٤	٢٢- ٣٦°	١٤ر٥
٥	١٥- ٤١°	١٥
٦	٢٢- ٤٥°	١٥ر٥
٧	٥٣- ٤٨°	١٦ر٥

الدكتور ابراهيم شوكت . خرائط جغرافي العرب الاول . مصدر السابق ص ١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥

(٣) نفس المصدر ص١٥

(٤) س . م . ضياء الدين علوي . مصدر سابق ص ١٦٠

٢ ـ الاتجاه الثاني هو الاتجاه الجغرافي

ان خرائط هذه المرحلة رافقت الكتب الجغرافية التي ابتعدت عن الاطار الفلكي والتي اطلق على بعض منها كتب المسالك والممالك وعلى البعض الآخر صورة الارض ، وهذه الخرائط ليست منسوخة من الخرائط الاغريقية وانما هي خرائط عربية الاصل ، متقاربة من بعضها ومتشابهة الى حد كبير بحيث ان خاصية كل خريطة لاتظهر واضحة رغم انها لعدة مؤلفين

وقد اعتبر البعض ان هذه الخرائط الاقليمية ضربت بالقواعد العلمية عرض الحائط واهتمت لابالدقة الجغرافية بل بتمثيل الحقائق الجغرافية بالمصورات لذا جاءت تلك المصورات اقرب الى رسوم تخطيطية منها الى خرائط حقيقية ليس لها ربط بمرحلة الخارطة المأمونية(١)

ورغم احترامي لكل الاراء التي اعطت حكماً مخالفاً على هذه المرحلة فانني اضع لها تقديراً خاصاً ، لانها مدرسة مختلفة كل الاختلاف عن المدرسة السابقة التي اهتمت بالفلك والرياضيات . فالخارطة المأمونية وخرائط الخوارزمي وخرائط البتاني اعتمدت على الازياج والارصاد .

اصحاب هذه المدرسة فقد اعتمدوا على الدراسة الميدانية المسحية وعلى التجوال ورافقت خرائطهم الكتب الجغرافية . فاصبح المؤلف يضع خريطة للعالم في المقدمة ليوضح عليها موقع الاقاليم او المنطقة الدراسة وهو اسلوب متبع في الوقت الحاضر . ثم يشرح كل اقليم شرحاً جغرافياً ويفرد له خارطة خاصة به توضح ماورد بالمتن من المعلومات لذا فان خرائط هذه المرحلة عربية اسلامية لاعلاقة لها بخرائط اليونان . وانها خرائط مبتكرة من افكار المؤلفين لم يسبقهم اليها احد . وهي خرائط اقليمية تفسر اقاليم الاسلام وانها تعتبر بالنسبة لعلم الخرائط العربي مقياساً يعتمد عليه .

وقد اشار ميلر بان الشكل المتشابه يمكن ان يفسر بان الخرائط التي اعطت اطلساً متكاملاً رسمت لتوضيح هدف واحد وهي انها عبارة عن كتب مدرسية وذلك للاسباب التالية ؛ (٢)

١ ـ ان المظهر الاول للخرائط الاحدى والعشرين التي تكون في الواقع خارطة عالمية (غالباً تصور الكعبة) . ويظهر فيها ثلاث بحار (المتوسط ، المحيط الهندي الخزر (قزوين) وسبع عشر خارطة للبلدان الاسلامية . وتعالج هذه الخرائط نفس البلدان وبنفس التتابع ، وقد عملت خلال عدة قرون وظهرت بطبعة جديدة محسنة وحديثة . فانه من الصعب التصديق بان مختلف المؤلفين الذين تباعد بينهم اجيالاً عديدة عالجوا نفس المواضيع وبصورة متشابهة . بحيث ان الواحد منهم ينسخ عن الاخر وليست له رغبة في وضع شئٍ جديد عمن سبقه .

٢ ـ ان جميع الخرائط كانت منتشرة في كافة اجزاء العالم الاسلامي ، وهناك حوالي ٢٥ نسخة بمكن اثباتها حفظت اكثرها او اقسام منها .

(١) الدكتور شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مطبعة دار السلام بغداد ١٩٧٥ ص ١٤٧

2. Konrod Miller, MAPPAE ARABICAE I Band

I Hetl Islam. Atlas nRVi Dle Karten des Mitteleeresp 14.19

٢ – مع هذه الخرائط يوجد كتاب بشرح الخرائط ، ويحتوي على وصف بسيط على أخط المدريسي للبلاد ومسار بحيرلها وجبالها وانهارها ومنتجاتها الطبيعية ومعادنها .... الخ ان وصف محتويات الخرائط كل على حدة مرتبط بصورة وثيقة بالاطلس الاسلامي ،ة وهي اقدم بمائة عام عن الاطلس واستعملت لعشرات السنين ككتاب للجغرافية بدون خرئط تحت عنوان (كتاب البلدان) او المسالك والممالك .

٤ – محتويي الخرائط بشكل منظم ودقيق حتى يسهل على التلاميذ مراجعته ، وتفتقد هذه الخرائط النقاط التي بدونها يصعب قراءة الاسماء العزبية ، ولكن ذلك لم يكن مهماً بالنسبة للتلاميذ لانهم يعرفون الاسماء وبامكانهم قراءتها بدون النقاط وبصورة صحيحة ، فالاسماء لم تكن مهمة في الموقع والصورة .

٥ ـ ليس هناك مقياس رسم هذه الخرائـ ـ ـ مهما ـ حجمه حفض ـ صفحة كاملة والبلد الاكبر الخرطة ا ـ

ـ بوضع الجنوب في اعلى الخارطة مع الاحتفاظ بالاتجاهات الاربعة . وبذلك فانه بالامكان قلب الخارطة ا ـ

وقد اعتقد الدكتور سليمان حريبي بان وضع الجنوب في اعلى الخارطة الاسلامية هو تأثير صيني . وقد ورد هذا الرأي ورد عليه الدكتور محمدين . حيث قال بان هذه خارطة صينية يرجع تاريخها الى سنة ـ ـ محفورة على لوح حجري تبين سور الصين العظيم وامتداده بالنسبة لنهر هوانج (الاصفر) تضع ـ في اعلى الخارطة . وان الخرائط الصينية التي وضعت الجنوب في اعلى الخريطة هي الخرائط التي تأثرت بالخرائط العربية . (١) وسيبقى الاعتقاد السائد بان الناحية الدينية هي السبب في ذلك حتى نجد مايخالف ذلك في المستقبل .

ان الكتب المؤلفة مع هذه الخرائط هي كتب جغرافية ذات اهمية خاصة للعرب لانها اعطتهم مايلي :

ـ حصلوا من خلالها على كافة مايهمهم لنقل البريد والاسفار

ـ انهم استطاعوا معرفة حدود الاقاليم الادارية

ـ لاغراض الضرائب والجباية حيث الحقت بالشروح قوائم للضرائب والمكوس

ـ احتياجات المدارس والتدريس كان ينصب على جداول ـ ـ تم ـ قبل المعلم بواسطة الاشارة باليد (استعمال الاتجاهات الاربع) وفي بعض الحالات ان الرسم قد رفع قيمة التدريس

وقد احصى لنا ميللر ٢٧٦٥ خارطة في المخطوطات المختلفة التي تعود لهؤلاء الجغرافين تقع ضمن ٢١ ـ ـ خرائط تتكرر من نفس النسخة الواحدة حسب عدد المخطوطات . وهذه الخرائط هي :

---

(١) الدكتور محمد محمدين . التراث الجغرافي الاسلامي . مطبعة شريف . القاهرة ١٤٠١ هـ ص ٢٠٩ / ٢١٠

١ صورة الارض

٢ ـ ديار العرب

٣ ـ بحر فارس والصحراء العربية

٤ ـ المغرب

٥ ـ مصر

٦ ـ سوريا

٧ ـ البحر المتوسط (بحر الروم)

٨ ـ الجزيرة

٩ ـ العراق

١٠ ـ خوزستان

١١ ـ فارس

١٢ ـ كرمان

١٣ ـ السند

١٤ ـ اذربيجان



١٥ ـ الجبال

١٦ ـ طبرستان

١٧ ـ بحر قزوين

١٨ ـ الصحراء

١٩ ـ سجتان

٢٠ ـ خراسان

٢١ ـ ماوراد النهر

ويوضحها الجدول التالي

البلاد	البلخي			الاصطخري			الخرائط المترجمة الى الفارسية عن الاصطخري بعدان بحوالي ٥٠ سنة				المقدسي		احمد العلوكي	ابن سعيد	ناصر الدين الطوسي	المجموع
	هامبورك	هامبورك المكتبة الرسمية	بولونيا	كوتا	لايدن	كوتا	باريس	لندن	لينينغراد	لينينغراد	برلين	لايدن	كوتا	باريس	فينا	
صورة الارض	١	-	١	١	١	١	١	-	١	-	-	-	-	٢١,٢,١	١	١١
ديار العرب	٢	١	٢	-	-	٢	٢	-	٢	١	٣	١	٦	٤	٢	١٢
بحر فارس	٣	٢	٣	٢	٢	٣	٣	-	٣	١٦	١	-	٥	٥	٣	١٣
الصحراء العربية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٦	٦	-	-	-	٢
المغرب	٤	٣	٤	٣	٣	٣	٤	-	١	٤	-	٨	٥	-	٤	١٢
مصر	٥	٤	-	-	٤	٥	٤	٢	٥	١	٧	٤	-	٧,٦	٥	١٢
سورية	٦	٥	٩	-	٥	٦	٥	٢	٦	-	٦	-	-	-		١٠
البحر المتوسط (بحر الروم)	٧	-	١٠	٤	٦	٧	٦	٢	٧	٣	٣	-	٢	٣	٧	١٢
الجزيرة	٨	٦	١١	٥	٧	٨	٧	٥	٨	-	٥	٣	-	٨	٨	١٢
العراق	٩	٧	٦	٦	٨	٩	٨	٦	٩	٤	٤	٢	-	٩	٩	١٤
خوزستان	١٠	٨	٧	٧	٩	١٠	٩	٧	١٠	٥	١٥	١١	-	١٠	١٠	١٤
فارس	١١	-	٨	٨	١٠	١١	١٠	٨	١١	٦	١٦	١٢	-	١١	١١	١٣
كرمان	١٢	٩	١٢	٩	١١	١٢	١١	٩	١٢	٧	١٧	١٣	-	١٠	١	١٤
السند	١٣	١٠	١٣	١٠	١٢	١٣	١٢	١٠	١٣	٨	١٨	١٤	٤	١١	١١	١٤
اذربيجان	١٤	١١	١٤	١١	١٣	١٤	١٣	١١	١٤	-	١٣	٩	-	١٣	١٤	١٣
الجبال	١٥	١٢	١٥	١٢	١٤	١٥	١٤	١٢	١٥	٩	-	١٠	٣	١٤	١٥	١٥
طبرستان	١٦	١٣	١٦	١٣	١٥	١٦	١٥	١٣	١٦	١٠	١٢	-	-	١٥	١٦	١٣
بحر قزوين	١٧	١٤	١٧	١٤	١٦	١٧	١٦	١٤	١٧	١١	-	-	١	١٧,١٦	١٧	١٤
الصحراء	١٨	١٥	١٨	١٥	١٧	١٨	١٧	١٥	١٨	١٢	-	١٥	-	١٨	١٨	١٣
سجستان	١٩	١٦	١٩	١٦	١٨	١٩	١٨	١٦	١٩	١٣	-	-	-	١٩	١٩	١٢
خراسان	٢٠	١٧	٢٠	١٧	١٩	٢٠	١٩	١٧	٢٠	١٤	١١	٨	-	٢٠	٢٠	١٢
ماوراء النهر	٢١	١٨	٢١	١٨	٢٠	٢١	٢٠	١٨	٢١	١٥	١٠	٧	-	-	٢١	١٣
المجموع	٢١	١٨	٢١	١٨	١٨	٢١	٢٠	١٨	٢١	١٦	١٨	١٥	٦	٢٠	٢١	٢٧٥

ان الخرائط الاحدى والعشرين لاطلس الاسلام تنال كل تقدير من الناحية التربوية . لقد وضعت بصورة عملية وكتبها العرب كثيروا الترحال ان صورة بسيطة دائرة او نصف دائرة وخطين مستقيمين او منحنيين تكون الهيكل الذي توضح عليه المحتويات الجغرافية من مدن وجزر وانهار وبحيرات وجبال وفي حالات اخرى يكون ساحل البحر في حالة معينة يميناً ويساراً فوق وتحت وبشكل مدور ، اوله زوايا نهر او نهرين وهذا يعطي الخارطة شكلاً خاصاً . اما الحالة الملائمة فهو عندما تكون خطوط الطرق تبدأ او تنبع من عاصمة مركزية او من نقطتين بشكل مخروطي . وفي الحالة الاخيرة جرى وضع الدول الكبيرة كفارس وارمينيا في صورة طبيعية صادقة مثيرة للدهشة . مثل هذه الخارطة كان من الممكن اعطاءها في ساعتين دراسيتين . مما حفظه العرب من هذه التمارين كان له اثر الفعال والايجابي على معلوماتهم الجغرافية . والذي ساعدهم في حالات صعبة كثيرة اثناء حلهم وترحالهم ورفع معلوماتهم اكثر من الشعوب الاخرى . فمن السهولة للعربي رسم الخرائط على الورق او على الارض او على الحائط ، ولم يكن صعباً لديه تصور لاتجاهات الاربعة ، وتعيين القبلة ، اذ يعتبر هذا نجاح تربوي تم بابسط صورة مما يستوجب ان تقف امام ذلك باعجاب (١)

ان المؤلفين الاربعة لكتب البلدان مع خرائطها في القرن العاشر هم كما يلي .

١ ـ ابو زيد البلخي . ولد في سجستان مقاطعة بلخ وتوفي عام ٣٢٢ هـ ا كانت الخرائط بالنسبة اليه شيٌ مهم حيث وضع لكل منها شرطاً مختصراً ، على ان نص كتابه (كتاب الاشكال) ,وخرائطه ، لم تحفظ لنا . ويعتبر اول رسام للخرائط ذات الشكل الجيد اي الخرائط التي ليس لها علاقة ببطليموس وحتى الان يعتبر البلخي المؤلف الاول لاطلس الاسلام

٢ ـ ابو اسحاق الاصطخري ، اصدر في سنة وفاة البلخي كتاباً للبلدان مع احدى وعشرون خارطة وبنفس التتابع عند البلخي . ان تاريخ نشرها في عام ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) وهو التاريخ المثبت على اغلب النسخ الموجودة على كتابه المسالك والممالك . واشار الى خرائطه بما يلي .

قصدت في كتابي تفصيل بلاد الاسلام اقليماً اقليماً حتى يعرف موقع كل اقليم من مكانه ومايجاوره من سائر الاقاليم . ولم تتسع هذه الصورة التي جمعت سائر الاقاليم مما يستحقه كل اقليم في صورته من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث وما يكون عليها اشكالها غير قد بينا لكل اقليم مكاناً يعرف به موضعه ومايجاوره من سائر الاقاليم ، ثم افردنا لكل اقليم منها صورة عن حدة فبينا فيها شكل ذلك الاقليم وما يقع فيه من المدن وسائر مايحتاج الى عمله (٢)

---

1 Konrod miller , cit p . 16

(٢) الاصطخري (ابي اسحاق ابراهيم بن محمد) المعروف بالكرخي، المسالك والممالك . تحقيق د/محمد جابر عبد العال الحسيني دار القلم / القاهرة ١٩٦١ ص ١٩

٢ ـ ان رسام الخرائط الثالث هو ابن حرقل الذي رأى الكثير من معالم العالم المعروف انذاك وطاف حول العالم من الهند حتى اسبانيا ووصل شمالاً الى بلغاريا ونهر الفولغا . اما بشأن خرائطه فقد وضح انه قابل الاصطخري الذي عرض عليه خرائطه وقد استحسن قسم من خرائطه وصحح قسم اخر ورفض قسم ثالث يعتقد بانها بعيدة عن الصواب . ومن هنا يظهر التشابه والتطابق بين الكتابين والخرائط .

وقد اوضح ابن حرقل عمله بمايلي او وقد حررت ذكر المسافات واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره واتخذت لجميع الارض التي يشمل عليها البحر المحيط الذي لايسلك صورة واعربت عن مكان كل اقليم مما ذكرته واتصال بعضه ببعض ومقدار كل ناحية في سعتها وصورتها من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثبيت وسائر ما يكون عليه اشكال تلك الصورة وموقع كل مدينة من مدينة تجاوزها وموضعها من شمالها وجنوبها وكونها في المرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظربيان من موقع كل اقليم وموضعه ومكانه ....) (١)

٤ - الخرائطي الرابع المهم الذي سار على نهج تلك المدرسة هو محمد بن احمد المقدسي ، وقد قام برحلات طويلة وتجول في مقاطعات الاسلام من الهند الى سجستان شرقاً الى اسبانيا غرباً واقام في المدن الكبيرة فترات ليست قصيرة ، وان خرائطه لاتختلف عن اقرانه في تسلسلها وعددها ووضعها وقد ذكر عند حديثه عن مملكة الاسلام .. (وسنجتهد في تقريب الوصف وتصويره لذوي العقول والافهام ان شاء الله تعالى (٢) ثم ذكر عند نهاية كل اقليم عبارة (وهذا شكله ومثاله)

- الاتجاه الثالث هو النورماندي - العربي

والتي يتثلها جغرافي اندلسي طاف البلاد ونزل في صقلية على ملكها روجر الثاني والف كتابه نزهه المشتاق في اختراق الآفاق .

وقد امتاز الادريسي بدقة في حساب الاطوال والعروض للبلاد المختلفة فلم يكتف بما اتفق عليه العلماء في عهده او العهود التي سبقته ، بل كان يلجأ الى اساليب جديدة ليتحقق من صحة ذلك فقد احضر لوح لترسيم وهو تصميم جغرافي للكرة الارضية او مشروع خريطة للعالم التي وضعها فيا بعد . وبدأ يدقق مواقع البلدان عليه واحداً واحداً بواسطة بركار من حديد مقارناً بين ماعنده من معلومات وما اقره المؤلفون في هذا العلم من قبل محققاً بعناية ودقة المواقع المذكورة ويثبت الصحيح منها (٣)

لقد اتخذ الادريسي اطولاً جغرافية ، وجعل الخط الرئيسي هو الخط المار بجزر الخالدات في المحيط الاطلسي ، كما اتخذا خطوط العرض التي يفصل بين كل خط وآخر ٧٥ ميلاً وهو طول الدرجة ، وبعد ان رسم هذه الشبكة نزع الادريسي اوراقه وبسطها على الارض وحول الخريطة الكروية الى خريطة مسطحة مراعياً بذلك كل العمليات الحسابية والرياضية التي يقتضيها ذلك التحويل ، وهنا يبرز اهمية الادريسي كمجدد ومتبكر لانه عمل كرة ارضية من الفضة ونقش عليها معلوماته ثم حول تلك الكرة الى خريطة فجاء كل بلد جغرافي في موضعه على خريطته التي سماها لوح الترسم (١)

١ – تلتزم بمقياس الرسم

١ ٢ تحديد مواضيع خطوط لطول والعرض

١ ٣ تلتزم بالشكل الحقيقي للمنطقة لذلك اعتبرت قمة مابلغه علم الخرائط العربي من تطور .

٤ – قسم العام الى سبعة اقاليم ، وقسم كل اقليم الى عشرة اجزاء متساوية ، ابتداء من الطرف الغربي للارض من الطرف الشرقي لها لكل قسم من الاقسام الى ٧٠ خريطة خاصة به . وان مجموع هذه الخرائط تكون خريطة العالم .

٥ – استخدمت الالوان وهو تقليد معروف في كل خريطة المدارس العربية الثلاث فاعطى اللون الازرق للبحار ، والاخضر للانهار واحمر والبني والاجواني للجبال ورسم المدن على شكل دوائر مذهبه .



(١) ابن حوقل (ابي القاسم بن حوقل النصيبي) كتاب صورة الارض ، منشوارت دار مكتبة الحياة ، بيروت بدون ص ١٥

(٢) المقدس (المعروف بالبشاري ، احسن التقاسم في معرفة الاقاليم / مطبعة بريل ليدن سنة ١٩٠٦ ص ٦٢

(٣) قدري طوقان ، العلوم عند العرب . الناشر مكتبة مصر / القاهرة ١٩٠٦ ص ٧١

(١) حسين مؤنس ـ مصدر سابق ص٢٠٩ ـ ٢١٠

(٢) د/ شاكر خصباك ـ في الجغرافية العربية مصدر سابق ص١٥٩

المصـــادر

١ – الدكتور ابراهيم شوكت : – تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به وحقيقة كتاب جغرافياً مجلة الاستاذ ، مجلة ٩ كلية التربية ، بغداد ١٩٦١

٢ – الدكتور ابراهيم شوكت : – خرائط جغرافي العرب الاولى ، مجلة الاستاذ ، مجلة ١٠ كلية التربية ، بغداد ١٩٦٣

٣ – الدكتور احمد سوسة : الشريف الادريسي في الجغرافية الباب الاول ، منشورات نقابة المندسين العراقية ١٩٧٤

٤ ١ ١ . سيديو ، تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر مطبعة عيسى البابي وشركاه القاهرة ١٩٦٩

٥ – البيروني (ابي الريحان محمد ابن احمد ؟ الاثار الباقية عن القرون الخالية . ليبزك ١٩٤٣

٦ ١ الدكتور حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية مدريد ١٩٦٧

٧ ١ الخوارزمي (ابو جعفر محمد ابن موسى) كتاب صورة الارض . مطبعة ادولف هولزهوزن / فينا ١٩٢٦

٨ – س . م ضياء الدين علوي ، الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) شركة المطبعة العصرية ومكتباتها ، الكويت .

٩ – الدكتور شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مطبعة دار السلام . بغداد ١٩٧٥

١٠ – الاصطخري (ابي اسحاق ابراهيم محمد) المعروف بالكرخي ، المسالك والممالك تحقيق ، محمد جابر عبد العال الحيني . دار القلم ، القاهرة ١٩٦١

١١ – الدكتور عبد العال عبد المنعم الشامي . الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط ، نشرة يصدرها قسم الجغرافية والجمعية الجغرافية الكويتية رقم ٣٦ .

١٢ – كرانشكوفسكي (اغناطيوس يوليانوفتش) تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القسم الاول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣

١٣ – كرلو نلينو . علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى روما ١٩١١

١٤ – الدكتور محمد محمد محمدين . التراث الجغرافي الاسلامي ، مطبعة شريف ، القاهرة ١٤٠١ هـ

١٥ – المقدسي (المعروف بالبشاري) احسن التقاسيم معرفة الاقاليم الاقاليم ، ابريل بيدن ١٩٠٦

١٦ ١ المسعودي (ابي الحسن علي ابن الحسين بن علي) التنبية والاشراف ، مراجعة عبد الله اسماعيل الدادي . القاهرة ١٩٣٨

17 Konrod Miller. Mappae Araicae I Banc Heft

Isam Atlas Cnrvt Die Karten des MitreLectes

- ٧ -

تحديد أشهر المناخ المريح وغير المريح في سبعة مدن عربية خليجية

د/علي حسين الشلش

كلية الآداب/جامعة بغداد


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تحديد اشهر المناخ المريح وغير المريح
في سبعة مدن عربية خليجية

للدكتور علي حسين الشلش

استاذ الجغرافية المناخية
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم الجغرافية

المناخ وشعور الانسان بالراحة :

على الرغم من ان شعور الانسان بالراحة يعتبر مسألة نسبية يختلف من شهر الى آخر تبعاً لاختلاف حالة الشخص الصحية واختلاف العمر والجنس ، والنشاط الجسمي (العضلي والذهني) ونوع الملابس والغذاء والخليفة الحضارية(١) ، الا انه ليس هناك من ينكر بان للظروف المناخية السائدة في كل شهر من شهر السنة وفي كل فصل من فصولها الاربعة تأثير مباشر على الانسان اينما كان موطنه سواء كان يعيش في المنطقة الاستوائية او الصحراوية او المعتدلة او القطبية . ان للمناخ والطقس بدون شدة تأثيرهما المباشر في نمط حياة الفرد اليومية ، بل ويعتبر ، اهم عامل يؤثر على عاداته ونظام حياته (٢) ، وعلى راحته وسلوكه وقدراته على العمل والانتاج سواء كان يعمل في البيت او المصنع او المزرعة او المكتب .

ان المناخ احد المكونات الطبيعية للبيئة المكانية التي يشعر بها الانسان ويحس بتأثيرها يومياً ويستجيب لتغيرات عناصره وخاصة المتطرفة منها ، التي يعبر عنها باختياره لنوع معين من الملابس ، والطعام وحتى المساكن وغيرها من الامور الاخيره التي يتخذها لغرض تكييف نفسه مع مايحيط به من ظروف مناخية ، والتعايش معها ، والاستجابه لها لكي يحصل على مايعرف بالراحة (Confost) التي يمكن تحقيقها ، او على الاقل ، التقليل من تأثيراتها الى حدها الادنى(٣) ، من خلال مايرتديه من ملابس ، ومايتناوله من طعام ، ومايقطنه من مسكن ، ومايخترعه من وسائل تبريد او تدفئة .

١- د . علي حسين الشلش ، المناخ واشهر الحد الاقصى للراحة والكفاءة العمل في العراق ، مجلة كلية التربية / جامعة البصرة ، العدد الثالث ، ١٩٨٠ ، ص ٢ .

٢ - د . ادهم سفاف ، المناخ والارصاد الجوية ، منشورات جامعة حلب ، كلية الزراعة السنة الاولى ، الطبقة الثانية ، ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، ص ١٨١ .

- Jahm R. ma Thes.Climatalogy . Fundamental and olgpieatom
Mc Ginaw. Hipe BooK Co., New youK . 1974. P. 238

يقصد بالمناخ المريح بأنه المناخ المثالي gdeal climate من حيث الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح وغيرها من عناصر المناخ الآخرى التي تجعل الانسان يشعر بالراحة من الوجه المناخية بدون استخدام ايه وسيلة من وسائل التدفئه او التبريد الاصطناعية بينما يقصد بالمناخ غير المريح بأن ذلك النوع من المناخ الذي يشعر فيه الانسان بالاهاق والتعب والانزعاج نتيجة الاتفاع الحرارة المصحوبة بالرطوبة العاليه او البرودة الشديدة المصحوبة بالرياح السريعة وعليه تصبح معرفة الحالة الجوية التي تسود كل شهر من اشهر السنة في كل مدينة من المدن العربية السبعة ضرورة ملحة ، وانها مدن تتسع وتتطور بصورة سريعة و يزداد سكانها سنة بعد آخرى ، الامر الذي قد تساعد نتائج هذا البحث المخططين على وضع خطط مستقبلية تتفق والظروف المناخية السائدة في كل منها .

من هذا المنطلق يهدف هذا البحث كما يستدل من عنوانه فرز وتحديد الاشهر التي يسود فيها مناخ مريح يشعر اغلبية سكان كل مدينة بالراحة من الوجه المناخية ، وتلك التي يسود فيها مناخ غير مريح يسبب للسكان الارهاق والانزعاج وعدم الرغبة في العمل والانتاج .

ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المخطط المناخي (Ctim oyc aph) لكرفيت تيلر (Gnippith Tayean) (١) الذي تم تطبيقه على سبعة مدن عربية خليجية هي البصرة ، وميناء الاحمدي ، وراس ، والمحرق ودخان والدوحة والشارقة وجميعها تقع على الخليج العربي مباشرة ماعدا البصرة

ان استخدام الباحث للمخطط المناخي لتيلر يرجع الى ان واحصه قد سبق وطبقه على بعض المدن في استراليا وخارجها كما استخدمه من (Genaed H. BeaKe) ومالكولم واكستاف (J. maecopm) في كتابهم المشترك (الشرق الاوسط : دراسة جغرافية) على اثنتي عشر مدينة من مدن الشرق الاوسط ، هي بغداد ، استنطبول ، وانقره ، وبيروت والرياض والقاهرة والاسكندرية والكويت وطرابلس ، والبحرين وطهران وشيراز (٢)

ان اختيار المخطط المناخي لتيلر دون غيره من المعايير الاخرى التي يمكن استخدامها لتحقيق مايهدف اليه البحث لايرجع الى ماذكر اعلاه فقط وانما ايضاً يرجع الى مايتميز به من خصائص وميزات من اهمها :

١ - بساطته وسهولة استخدامه ودقة نتائجه مقارنه بالطرق التى استخدمت في تحديد اشهر المناخ المريح بواسطة المخطط البياني لسنجر (Simyen) الذي سبق للباحث استخدامه وتطبيقه

Gesald . BLake

J. maLcaLm wagotaff

Singes

1 . Gsiffith tageas, AuotsaLia, Methum and co. Ltd,

fondon, 1947, p,72

2. petes Beaumont, GesaLd H. BLake and maLeoLm

wagstaff, the mioLdLe East, AheogsafhicaL

Study, John wiLey and Sons, fondom, 1976, p77

oLgay

diacomtomt cLmate Seate

استخدام وتطبيقية بحثه الموسوم (المناخ واشهر الحد الاقصى للراحة والكفاءة العمل في العراق(٢)) والمخطط المناخي ، الحياتي لاوليكياي (2v. ~ avay) الذي استخدمه الباحث ايضاً في بحثة الموسوم (المناخ والحاجة الى تكييف الهواء في 'عراق)(٢) .

٢ - من المزايا الحسنة للمخطط المناخي لتيلر هي انه يمكن رسم مخطط مناخي لكل مدينة من مدن الدراسة ووضعها جميعاً ضمن اطار واحد ، الامر الذي يسهل من عملية المقارنة بينها بنظرة سريعة واحدة (انظر الشكل رقم ١) .

٣ - والاهم من ذلك ان استخدام هذا المخطط المناخي يمكن الباحث من ان يميز اشهر المناخ المريح وعزلها عن اشهر المناخ غير المريح التي بدورها تفاوتت فيها نسبة الراحة من اشهر ذات مناخ غير مريح (عادة) الى اشهر ذات مناخ غير مريح (غالباً) تليها اشهر ذات مناخ غير مريح (احياناً) ثم اشهر ذات مناخ (نادراً جداً) ان يكون غير مريح ، ثم اشهر المناخ الريح المثالي للشعور بالراحة بدون استخدام وسائل تكيف الهواء الاصطناعية .

لقد تم هذا التميز بين الاشهر ذات المناخ غير المريح عن طريق استخدام مايعرف بمقياس المناخ غير المريح (diacamtomt efimate Seate) الذي وضعه تيلر على الجانب الايمن للمحور العمودي للاطار وتدرجت فيه مراتب ، اومناطق الاشهر ذات المناخ غير المريح ، كما يظهر من الشكل رقم (١) ، من الاعلى الى الاسفل باتجاه اشهر المناخ المريح على اساس معدلات حرارة الحرار المبلل من جهه ومقدار الرطوبة النسبية من جهة ثانية .

٤ - بالاضافة الى كل ذلك تضمن الاطار العام للمخطط المناخي الاشهر ذات المناخ المزعج المرهق الذي لايشعر الانسان بالراحة اطلاقاً بدون ستخدام وسائل التبريد بالذات في المدن العربية الخليجية السبعة ، في اشهر الصيف ، حيث ظهرت في زواياه الاربعة خارج مناطق

د . علي حسين الشلش ، المناخ واشهر الحد الاقصى للراحة والكفاءة العمل في العراق ، ومصدر سابق ، ص ١ - ٤١

د . علي حسين الشلش ، المناخ والحاجة الى تكييف الهواء في العراق ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد ١٨ ، ١٩٨١ ، ص ٤٧ - ٦١

مقياس المناخ غير المريح حالات متطرفة جداً للمناخ المزعج الذي لايحتمل اما بسبب الحرارة المرتفعة المصحوبة برطوبة عالية واحتل الزاوية الشمالية اليمنى ، واما بسبب الحرارة المرتفعة جداً اللافحله واحتل الزاوية الشمالية اليسرى ، واما بسبب الهواء البارد الرطب واحتل الزاوية الجنوبية اليمنى او بسبب برودة الهواء اللاذعة جداً واحتل الزاوية الجنوبية اليسرى من الاطار العام للمخطط المناخي .

وقد وضع تيلر على المحور الافقي للاطار مقدار الرطوبة النسبية معبراً عنها بالنسبة المئوية ، وعلى المحور العمودي درجة حرارة المحرارُ المبلل بالمؤية ، بدلاً من درجة حرارة المحرار الجاف ، وذلك باعتبار ان درجة حرارة المحرار المبلل تحدد بدقة مدى الارتباط والعلاقة بين عنصري درجة حرارة الهواء والرطوبة النسبية ، حيث كلما ازدادت الرطوبة في لجو ارتفعت درجة حرارة المحرار المبلل ، وبالعكس كا قلت الرطوبة في الهواء انخفضت درجة حرارة المحرار المبلل ، ولهذا تعبر درجة الحرارة التي يسجلها المحرار المبلل عن نفس درجة الحرارة الحسية التي يشعر فيها جسم الانسان عندما يعرض الجلد المبلل او الرطب الى هواء ساكن بدرجة حرارة المحرار الجاف .

ونعرض تحديد مواقع اشهر السنة بدقة في كل مخطط مناخي لكل مدينة من مدن العربية الخليجية السبعة عمد الباحث على حصر منطقة كل نوع من انواع المناخ غير المريح بين خطين مستقيمين يقابلان تماماً الخطوط الفاصلة بين مناخ وآخر التي ظهرت في مقياس انواع المناخ على الجانب الايمن من الاطار (لاحظ الشكل رقم ١) وبعد اجراء هذا التعديل تم تطبيق الاحصاءات الخاصة بمعدلات درجة الحرارة للمحرار المبلل وكمية الرطوبة النسبية على المخطط المناخي لتيلر لسبعة مدن عربية خليجية هي البصرة في العراق وميناء الاحمدي في الكويت وراس الخفجي في المملكة العربية السعودية والمحرق في البحرين ودخان والدوحة في دولة قطر والشارقة في دولة الامارات العربية المتحدة . وقد اختيرت هذه المدن دون غيرها من مدن الخليج العربي ، لتوفير الاحصاءات المناخية لكل من درجة المحرار المبلل والرطوبة النسبة الازم استخدمها في المخطط المناخي لتيلر .

● الحرارة الحسية(Senaippe Tempenatcwu) هي ليست درجة الحرارة الاعتيادية التي يمكن قياسها بواسطة المحارير الاعتيادية ، اي انها تعبير عن الحرارة التي يشعر ويحس بها جسم الانسان .

كيفية استخدام المخطط المناخ لتيلر :

اما عن كيفية استخدامه في التطبيق ، فقد تم تحديد النقاط التي تلتقي عندها درجة حرارة المحرار المبلل ومقدار الرطوبة النسبية لكل شهر من اشهر السنة ولكل مدينة من المدن العربية الخليجية السبعة ، ثم وصلت النقطة التي تمثل الشهر الاول (كانون الثاني) بنقطة الشهر الثاني ، وهذه بنقطة الشهر الثالث ، الى اخره الى ان يتم توصيل النقطة التي تمثل الثاني عشر (كانون الاول) بنقطة البداية للشهر الاول من السنة . وهكذا تم توصيل النقاط الممثلة لكل شهر بهذه الطريقة اينما كان موقعها بالنسبة للمناطق المناخية المشار اليها في مقياس المناخ غير المريح ، واشير الى كل نقطة بالرقم الحسابي الذي يمثل الشهر المعني من السنة ، فالرقم (١) مثلاً يعني الشهر الاول (كانون الثاني) والرقم (٢) يعني الشهر الثاني (شباط) وهكذا بالنسبة لبقية الاشهر من السنة . وبهذه الطريقة تم رسم مخطط مناخي لكل مدينة من المدن المشار اليها سابقاً يشبه الى حد كبير شكل متعدد الاضلاع يحتوي على اثني عشره زاوية كل زاوية تمثل شهر معين من اشهر السنة .

وبهذه الطريقة ايضاً تم تحديدة موقع كل شهر في مناطق مقياس المناخ غير المريح ومن ثم حددت الحالة المناخية السائدة في كل شهر من اشهر السنة وفي كل مدينة من مدن الدراسة .

ومن هنا تظهر لنا فائدة واهمية اختيار المخطط المناخي لتيلر الذي يمكن بواسطته التعرف على الحالة المناخية . السائدة في كل شهر بسهولة والمقارنة بينها من حيث ملائمة الظروف المناخية السائدة في كل منها او عدم ملائمتها للنشاط البشري (١) .

بالاضافة للمخططات المناخية لكل مدينة من المدن العربية الخليجية السبعة ، نظم الجدول رقم (١) الذي يبين معدلات الحرارة الشهرية والرطوبة النسبية لكل مدينة من مدن البحث ، لفترات زمنية بلغ طولها ٢٢ سنة لمدينة البصر و١٢ سنة لمدينة ميناء الاحمدي ١٢سنة لمدينة رأس الخفجي و٢٨ سنة للمحرق و(٢) سنة لدخان والدوحة و(٢٠) سنة لمدينة الشارقة .

1. petes Beaumont and ohes, op. eit,p. 78

نتائج البحث .

ولكي نتعرف على اشهر المناخ المريح وغير المريح في كل مدينة من المدن الدراسة ، لابد من استعراض اشهر السنة واحدة بعد الآخر ، ونبين موقع كل منها بالنسبة لمناطق مقياس المناخ غير المريح ابتداء من شهر كانون الثاني وانتهاء بشهر كانون الاول ،

جدول رقم (١) معدل الحرارة بالمئوية والرطوبة النسبية ٪

المحطة	دائرة العرض	الارتفاع م		كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المعدل السنوي	
البصرة	٣٤َ ٣٠ْ	٢	الحرارة	١٢,٥	١٤,٦	١٨,٩	٢٤,١	٣٢,٨	٣٢,٨	٣٤	٣٣,٦	٣٠,٦	٢٦	١٩,٤	١٣,٤	٢٤,١	Bwhs
			الرطوبة النسبية	٧٧	٧١	٦٤	٥٩	٥٢	٥٠	٤٩	٤٨	٥٠	٥٥	٦٨	٧٨	٦٠	
الاحمدي	٠٤َ ٢٩ْ	١٣	الحرارة	١٣,٦	١٥,٤	١٨,٨	٢٤,٣	٣٠,١	٣٤,٤	٣٦,٦	٣٦,١	٣٣,٧	٢٨١	٢١,١	١٤,٧	٢٥,٦	Bwhs
			الرطوبة النسبية	٦٦,٦	٦٤,٤	٦٠,١	٥٧,١	٤٨,٨	٣٥,٥	٣٤,٢	٣٩,٨	٤٣,٢	٥٢,٣	٥٨,١	٦٣,١	٥٢	
رأس الخفجي	٢٦َ ٢٨ْ	١٥	الحرارة	١٣,٣	١٤,٨	١٩,٥	٢٣,٨	٢٩٠	٣٣	٣٥,١	٣٤,٧	٣١,٧	٢٦,٩	٢٠,٧	١٤	٢٤,٧	Bwhs
			الرطوبة النسبية	٦٤,٨	٦٤,٨	٥٧,٤	٥٢,١	٤٤,٢	٣١,٣	٣,٣	٣٤,٨	٤٠,١	٤٨	٥٦,٨	٦١,١	٤٨,٨	
المحرق	١٦ ٢٦ْ	٢	الحرارة	١٧,٦	١٩,٢	٢٢,٩	٢٦,٨	٣٠,٧	٣٧,١	٣٤,٥	٣٤,٨	٣٤,٩	٢٩,٥	٢٤,٨	١٩,٢	٢٧,٢	Bwhs
			الرطوبة النسبية	٧٤,٦	٧١,٨	٦٦,٧	٦٦,٧	٦٠,٦	٥٧,٩	٥٨,٨	٦٢,٦	٦٥,٢	٦٨,٣	٦٩,٣	٧٤	٦٦,١	
الدوحة	١٧َ ٢٥ْ	٨	الحرارة	١٧,٣	١٨,٩	٢٣,٦	٢٦,٧	٣١,١	٣٧,٩	٣٤,٦	٣٣,٦	٣٢,١	٢٩,٥	٢٤,٢	١٧,٤	٢٦,٥	Bwhs
			الرطوبة النسبية	٧٨,٧	٧٥	٦٩	٦٣,٧	٥٩,٣	٥٧,٢	٦٢,١	٦٧,٢	٦٧,٥	٧١	٧٢	٧٦,٥	٦٨,٣	
دخان	١٦َ ٢٥ْ	٣٣	الحرارة	١٨	١٩,٧	٢٤,٢	٢٨,٨	٣١,٩	٣٤,٩	٣٦,٥	٣٦,٩	٣٤	٣٠,٣	٢٥,١	٢٠,١	٢٨,٤	BwhS
			الرطوبة النسبية	٧٢	٦١,٣	٥٥,٣	٤٨	٤٥	٣٨	٤٠,٨	٤٨,٩	٥٣,٣	٦١	٦٠,٧	٦٤,٤	٥٤,١	
الشارقة	٢١َ ٥	٢	الحرارة	١٨,٦	١٩,٩	٢٣,٨	٢٦,٢	٢٩,٢	٣١,٦	٣٤,٢	٣٤,٣	٣١,٩	٢٧,٩	٢٣,١	١٨,٧	٢٦,٦	Bwhs
			الرطوبة النسبية	٧٤,٣	٧٥,٧	٦٨,٤	٦٦,٥	٦٤,٣	١٧,٨	٦٦,٢	٦٩,٢	٧٢,١	٧١,١	٦٦,٧	٧٠,٤	١٩,٤	

المصادر : الجمهورية العراقية ، الهيئة العامة للأنواء الجوية ، قسم المناخ ، المعدلات المناخية ، نشرة رقم ١٥ بغداد ، ١٩٧٩ .

2- Hand book of the Weather in the Gulf General climat Data Marin LTD., Landan, 1979

١ - شهر كانون الثاني :

من المخطط المناخي الشكل رقم (١) للمدن العربية الخليجية يمكن رؤية الشهر الاول (كانون الثاني) المشار اليه في المخطط رقم (١) بانه شهر مريح مناخياً في كل من مدينة البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي فقط بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية تراوحت مابين ٥ر ١٢ م و٧٧ ٪ في البصرة و٦ر ١٢مْ و٦ر ٦٦ ٪ في ميناء الاحمدي و٢ ، ١٢ مْ و٨ر ٦٤ ٪ في راس الخفجي على التوالي .

اما في المدن الاخرى فانه يعتبر شهراً غير مريح ، وذلك لانه ظهر في منطقة المناخ غير المريح (نادراً جداً) في مدينة دخان والمحرق والشارقة بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية تراوحت مابين ١٨ مْ و٧٢ ٪ في دخان و٦ر ١٧ مْ و٦ر ٧٤ ٪ في المحرق و ٦ر ١٨ مْ و٢ر ٧٤ ٪ في الشارقة ، اي بمعدلات حرارية اكثر ورطوبة نسبية اعلى من المدن السابقة وعموماً يسود مناخ جيد وقريب جداً من المناخ المريح في هذه المدن في شهر كانون الثاني ، وذلك بعكس الدوحة التي يسود فيها مناخ غير مريح (احياناً) وليس (نادراً جداً) في هذا الشهر ، وذلك يرجع الى ارتفاع معدل الحرارة البالغ ٢ر ١٧ مْ المصحوبة برطوبة نسبية عالية قدرها ٧ر ٧٨ ٪ .

٢ - شهر شباط :

ويشار اليه بالرقم (٢) في المخطط المناخي الشكل رقم (١) الذي يستدل منه على ان الحالة المناخية السائدة في شهر شباط تميزت بملائمتها للنشاط البشري والشعور بالراحة لسكان مدينة البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي حيث ظهر هذا الشهر في المخطط المناخي لكل من هذه المدن الثلاثة في منطقة المناخ المريح بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية بلغت ٦ر١٤ مْ و١ر٧ ٪ في البصرة و٤ر ١٥ مْ و٤ر ٦٤ ٪ في ميناء الاحمدي ، و٨ر ١٤ مْ و٧١ ٪ في البصرة و٤ر١٥ مْ و٤ر٦٤ ٪ في ميناء الاحمدي ، ١٤٫٨ م و٨ر٦٢ ٪ في راس الخفجي ، وهي معدلات حرارية اعلى قليلاً ورطوبة نسبية اقل مما هي عليه في شهر كانون الثاني ،اما بالنسبة للمدن الخليجية الاخرى ، فقد ظهر شهر شباط في منطقة المناخ غير المريح (نادراً جداً) مع اختلاف بسيط في موقع هذا الشهر في هذه المنطقة من مناطق مقياس الراحة حيث نجد موقعه قريباً من منطقة المناخ المريح بالنسبة لدخان ، وقريباً من منطقة المناخ غير المريح (احياناً) بالنسبة لمدينة المحرق .

ويعني هذا ان المناخ السائد في دخان خلال شهر شباط افضل من مدينة المحرق ذلك يرجع الى ارتفاع الرطوبة النسبية في المحرق عما هي عليه في الدخان ، خاصة وان المعدلات الشهرية تكاد تكون متساوية في كلتا المدينتين حيث كانت ٧ر ١٩ مْ في المحرق ، ودخان بينما كانت الرطوبة النسبية ٢ر ٦١ ٪ في المدينة الاولى و ٨ر ٧١ ٪ في الثانية ، كما يظهر ذلك من الجدول رقم (١) .

اما بالنسبة لمدنيتي الشارقة والدوحة ، فقد ظهر شهر شباط في منطقة المناخ غير المريح (احياناً) بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية بلغت ٩ر١٩ مْ و٧ر ٧٥ ٪ في الاولى و٩ر ١٨ مْ و٧٥ ٪ في الثانية على التوالي .

٣ - شهر آذار :

يسود في شهر اذار المشار اليه في المخطط المناخي في شكل رقم (١) بالرقم (٣) مناخ (نادراً جداً) ان يكون غير مريح في كل من مدينة البصرة وميناء الاحمدي ، وراس الخفجي ، بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية بلغت ١٨ر٩ مْ و١٤ ٪ في المدينة الاولى ، و٨ر ١٨ مْ وار ٦٠ ٪ في الثانية و٥ر ١٩ مْ و٤ر ٧٥ ٪ في الثالثة . وبتعبير آخر كان المناخ في شهر اذار (الشهر الثالث) اول اشهر فصل الربيع افضل في هذه المدن . من المناخ غير المريح (حياناً) الذي يسود خلال هذا الشهر في مدينة دخان والمحرق والشارقة ، وهذه مناخ افضل من المناخ غير المريح (غالباً) الذي يسود في الدوحة خلال هذا الشهر .

-٩-

٤ - شهر نيسان :

يعتبر شهر نيسان الشهر الثاني من اشهر فصل الربيع ، وفيه ترتفع درجات ارتفاعاً كبيراً من يوم الى اخر بصورة سريعة ، وبنفس الوقت تنخفض كمية الرطوبة النسبية في الجو بصورة اسرع من شهر شباط الى اذار في كل من البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي وبصورة ابطأ نسبياً في المدن الخليجية الاخرى . ان ارتفاع الحرارة المصحوبة بانخفاض في كمية الرطوبة النسبية جعل من المناخ السائد في كل من البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي خلال هذا الشهر مناخاً غير مريح (احياناً) بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية بلغت ١ر ٢٤ مْ و٥٩ ٪ و٣ر ٢٤ مْ و ١ر٥٧ ٪ ، و٨ر ٢٣ مْ و ٥٢ ٪ في المدن اعلاه على التوالي . اما في دخان والمحرق والشارقة فقد ساد مناخ غير مريح (غالباً) خلال هذا الشهر بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية بلغت ٨ر ٢٨ مْ و٤٨ ٪ في المدينة الاولى و٨ر ٢٦ مْ و٦ر ٦٣ ٪ في الثانية و٢ر ٢٦ مْ و٥ر ٦٦ ٪ في الثالثة . وبمعدل حراري ٧ر ٢٦ مْ ورطوبة نسبية ٧ر٦٣٪ كان يسود الدوحة مناخ غير مريح (عادة) خلال هذا الشهر . وهو مناخ قريب بخواصة الحرارية والرطوبة النسبية الى المناخ المرهق المزعج .

٥ - شهر مايس :

في الشهر الخامس (مايس) المشار اليه في المخطط المناخي برقم (٥) تأخذ درجات الحرارة بالزيادة السريعة في جميع مدن الدراسة بمقدار يترواح مابين ٨ر٥ مْ في ميناء الاحمدي و٣ مْ في الشارقة عما كانت علية في (الشهر الرابع نيسان ، وبذلك تصبح معدلات الحرارة اقرب الى معدلاتها في (الشهر السادس) حزيران . وفي نفس الوقت انخفضت معدلات الرطوبة النسبية في كل من البصرة وميناء الاحمدي ورأس الخفجي بشكل اكبر من انخفاضها في كل من الدوحة ودخان والمحرق والشارقة . وساد خلال هذا الشهر مناخ غير مريح في جميع المدن ولكن بدرجات متفاوته ، حيث كان مناخ غير مريح (غالباً) في كل من البصرة بمعدل حراري ٧ر ٢٩ مْ ورطوبة نسبية ٥٣٪ وفي ميناء الاحمدي بمعدل حراري ٥٣ ٪ ورطوبة نسبية ٨ر ٤٨ ٪ وراس الخفجي بمعدل حراري ٢٩ مْ ورطوبة نسبية ٢ر ٤٤ ٪ على التوالي .

وفي كل من المحرق ودخان والشارقة ساد مناخ غير مريح (عادة بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية بلغت ٧ر ٣٠ مْ وار٦٠ ٪ في المدينة الاولى و٩ر٣١ مْ و٤٥ ٪ في الثانية و٢٩ مْ و٣ر ٦٤ ٪ في الثالثة اما في الدوحة فقد كان الشهر الخامس من الاشهر المرهقه المزعجه مناخياً وذلك بسبب الحرارة المرتفعة التي بلغت ١ر٣١ مْ ، المصحوبة برطوبة عالية ، مما جعل هذا الشهر يظهر في منطقة المناخ الحار الرطب المزعج كما يظهر ذلك في المخطط المناخي الشكل رقم (١) .

٦ - شهر حزيران :

وهو اول اشهر ال الصيف ويشار اليه في المخطط المناخي رقم (١) بالرقم (٦) وفيه ساد مناخ (غالياً) مايكون غير مريح في ميناء الاحمدي ، بمعدل حراري بلغ ٤ر٣٤ مْ ورطوبة نسبية ٥ر ٣٥ ٪ و(عادة) يكون غير مريح في كل من راس الخفجي ودخان بمعدلات حرارية ورطوبة نسبية ترواحت مابين ٣٣ مْ و٣١ ٪ في المدينة الاولى و٩ر ٣٤ مْ و٣٨ ٪ في المدينة الثانية .

اما في المدن الخليجية الباقية الاخرى ، فقد كان المناخ مزعجاً ومرهقاً في كل من البصرة والمحرق والدوحة والشارقة ، ولكن مع اختلاف اسباب جعل المناخ مزعجاً في البصرة عما هو عليه في بقية المدن ، ففي البصرة كانت الحرارة العالية وجفاف الهواء هما السبب ، بينما كانت الحرارة العالية والرطوبة المرتفعة سبب المناخ المزعج المرهق خلال هذا الشهر في كل من المحرق والدوحة والشارقة .

٧ - شهر تموز (الشهر السابع) :

ويعتبر احراً اشهر السنة في كل من البصرة وميناء الاحمدي ورأس الخفجي بمعدلات حرارية بلغت ٣٤ مْ و٦ر ٣٦ مْ و١ر ٣٥ مْ وبرطوبة نسبية وصلت الى ٤٩ ٪ و٢ر٣٤ ٪ و٣١ ٪ على التوالي ، وفي هذا الشهر كان المناخ السائد في هذه المدن من النوع الحار اللافح المزعج ، وذلك بعكس المناخ الحار الرطب المزعج الذي ساد في دخان والمحرق والدوحة والشارقة بسبب الحرارة المرتفعة المصحوبة برطوبة نسبية عالية ، كما يظهر من الجدول رقم (١) . مما تقدم يظهر لنا بان المدن العربية الخليجية السبعة تعاني جميعها خلال الشهر السابع من مناخ مرهق مزعج اما بسبب الحرارة العالية وشدة جفاف الهواء واما بسبب الحرارة العالية المصحوبة برطوبة مرتفعة . وفي كلتا الحالتين يشعر الانسان في هذه المدن بالارهاق والانزعاج وعدم الراحة وتدهور القدرة على العمل والانتاج .

٨ - شهر اب :

الشهر الثامن من اشهر السنة واخر اشهر فصل الصيف ، وفيه تسجل اعلى درجات للحرارة في كل من دخان والمحرق والدوحة والشارقة ، بعكس مدينة البصرة وميناء الاحمدي ورأس الخفجي التي سجلت فيها اعلى درجات للحرارة في الشهر السابع كما بينا اعلاه . وان دل هذا الاختلاف في تسجيل اعلى درجات للحرارة في تموز في بعض المدن ، وفي اب في المدن الاخرى على شئ فانما يدل على ان مناخ كل من

البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي من النوع القاري ، ومتأثر باليابسة اكثر من البحر ، والمناخ في دخان والمحرق والدوحة والشارقة من النوع البحري ومتأثر بالبحر اكثر من اليابس .

ان تأخير تسجيل اعلى درجات الحرارة بشهر واحد بعد تعامد الشمس في شهر حزيران على مدار السرطان في الجهات التي تتاثر باليابس اكثر من البحر ، ولمدة شهرين في الجهات التي تتأثر بالبحر اكثر من اليابس تعتبر ظاهرة تأخر تسجيل اعلى درجة للحرارة لمدة ، شهر وشهرين بعد فترة تعامد الشمس على مدار السرطان من الخصائص المناخية التي تميز المناخ القاريً عن البحري ، وعلاوة على هذا ان الفرق الكبير بين احر وابرد شهر في السنة في المناخ القاريً ، والقليل في المناخ البحري ، صفه اخرى تميز النوعين من المناخ ، اذ تجد المدى الحراري الفصلي في البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي اكبر مما هو عليه في المحرق ودخان والدوحة والشارقة .

لقد بلغ المدى الحراري الفصلي في البصرة ٥ر ٢١ مْ وفي ميناء الاحمدي ٢٣ مْ وفي رأس الخفجي ٨ر ٢١ مْ ، بينما بلغ في كل من دخان المحرق والدوحة والشارقة ، ١٩ مْ ، و٧ر ١٧ مْ ، و٣ر ١٧ مْ و٧ر ١٥ مْ على التوالي . وهذا يعني ان مناخ البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي يميل نحو القارية اكثر من المناخ السائد في كل من دخان والمحرق والدوحة والشارقة الذي يميل نحو البحرية .

اي ان مناخ المجموعة الاولى من المدن العربية الخليجية يعكس تأثير اليابس اكثر من تأثير البحر الذي يظهر بشكل واضح في مجموعة المدن الثانية من المدن الخليجية .

وباستثناء مدينة البصرة ، تقع جميع هذه المدن على الساحل الغربي للخليج العربي ولكنها مع ذلك لاتتأثير جميعها بمياه الخليج العربي الذي اشبه مايكون ببحيرة داخلية تحيط بها اليابسة من جميع الجهات وذات مساحة مائية ضئيلة لم يكن لها تأثيراً بحيرياً واضحاً على المدن الساحلية اللهم الا اذا تعرضت لهبوب رياح قد مرت فوق مياه الخليج قبل وصولها الى المدن الساحلية حيث يظهر تأثيرها البحري بشكل واضح كا هو الحال بالنسبة للمحرق ودخان والدوحة الشارقة (لاحظ الشكل رقم ٢) اما التأثير البحري للخليج العربي على البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي فيكاد يكون ضئيلاً جداً ويعود سبب ذلك الى ان الرياح السائدة على هذه المدن ياتي معظمها من جهة اليابس كا يظهر من الشكل رقم (٢) .

ولو القينا نظرة سريعة على المخططات المناخية لهذه المدن جميعاً في الشكل رقم (١) لوجدنا بأن الشهر الثامن يظهر في المناطق ذات المناخ المزعج سواء اكان منها المتأثرة بالبحر او المتأثرة باليابس ، مع فرق بسيط هو ان المدن ذات المناخ القاريً يسود فيها مناخ حار لافح (مزعج) بينما يسود المناخ الحار الرطب المزعج ايضاً في المدن المتأثرة بالبحر خلال هذا الشهر . وبعبارة اخرى ان سكان المدن العربية الخليجية السبعة يعانون من مناخ (مزعج) سواء كان حار رطب او حار لافح ، في هذا الشهروكلا النوعين لهما تأثير سيً على راحة الانسان وصحته ونشاطه العضلي او الذهني .

٩ - شهر ايلول :

على الرغم من انخفاض معدلات الحراره في الشهر التاسع (ايلول) اول اشهر الخريف بدرجتين او ثلاث ، عما كانت عليه في شهر (اب) في جميع المحطات المناخية الا انها تبقى مرتفعة بحيث تجعل هذا الشهر اقرب في خصائصه الحرارية الى اشهر الصيف منه الى اشهر الخريف .

اما بالنسبة للرطوبة الجوية فانها تسجل ارتفاعاً ملحوظاً عما كانت عليه في شهر (آب) في كل مدينة من المدن السبعة ماعدا مدينة الدوحة التي تتساوى فيها الرطوبة النسبية في كل من شهر اب وايلول ، كما يظهر ذلك من الجدول رقم (١) . ان انخفاض معدلات الحرارة وزيادة الرطوبة الجوية النسبية في الجو تجعل من هذا الشهر ان يظهر في المخطط المناخي لكل من مدينة البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي ضمن منطقة المناخ غير المريح (عادة) ، ولكنه ظهر في المخططات المناخية لكل من مدينة المحرق ودخان والدوحة والشارقة ضمن المناخ الحار الرطب المزعج ، وهذا يعني ان المدن ذات المناخ المناخ القاري تسود فيها ظروف مناخية خلال الشهر التاسع افضل نسبياً من المدن ذات المناخ البحري .

١٠ - شهر تشرين الاول :

وفيه تنخفض معدلات الحرارة انخفاضاً سريعاً مع ارتفاع ملحوظ في كمية الرطوبة النسبية في جميع المدن الخليجية ماعدا الشارقة ، التي كانت الرطوبة النسبية فيها اقل في هذا الشهر عما كانت عليه في شهر ايلول ، علماً بانها مرتفعة في كلا الشهرين بحيث لم تقل عن ٧١ر١ ٪ .

ان انخفاض معدلات الحرارة وارتفاع الرطوبة النسبية جعل الشهر العاشر يظهر في المخطط المناخي لمدينة البصرة على الخط الفاصل مابين منطقة المناخ غير المريح (غالباً) وغير المريح (احياناً) ومع ذلك فان الظروف المناخية السائدة خلال هذا الشهر في البصرة كانت افضل من تلك التي تسود في مدينة ميناء الاحمدي ذات المناخ غير المريح (عادة) وكذلك في مدينة راس الخفجي ودخان .

اما فيا يتعلق بالحالة المناخية في مدينة المحرق والدوحة والشارقة خلال الشهر العاشر فقد كان من نوع المناخ الحار الرطب المزعج .

١١ - شهر تشرين الثاني :

لقد استمرت معدلات الحرارة بالهبوط في الشهر الحادي عشر (تشرين الثاني) والرطوبة النسبية في الارتفاع في جميع المحطات المناخية ماعدا الشارقة التي كانت الرطوبة النسبة اقل مما كانت عليه في الشهر العاشر (تشرين الاول) . وعموماً تباينت الظروف المناخية السائدة في هذا الشهر مابين غير مريح (احياناً) في كل من البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي ، وغير المريح (عادة) في الدوحة وغير مريح (غالبا) في كل من المحرق ودخان والشارقة .

١٢ - شهر كانون الاول :

اول اشهر الشتاء ، وفيه انخفضت معدلات الحرارة بحوالي ٨ر٥ مْ في البصرة و٤ر٦ مْ في ميناء الاحمدي ، و٧ر٦ مْ في راس الخفجي ، ٦ر٥ مْ في المحرق و٥ مْ في دخان ، و٨ر٦ مْ في الدوحة و٤ر٥ مْ في الشارقة عما كانت عليه في شهر تشرين الثاني

صاحب انخفاض معدلات الحرارة ارتفاع في مقدار الرطوبة النسبية من ١٠ ٪ في البصرة الى ٧ر٣ ٪ في الشارقة عما كانت عليه في الشهر الحادي عشر (تشرين الثاني) . ان الحالة الحرارية والرطوبة النسبية جعلت من الشهر الثاني عشر (كانون اول) من بين الاشهر المريحة مناخياً في البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي ، ومن الاشهر غير المريحة (نادراً جداً) في دخان ، وغير المريحة (احياناً) في كل من المحرق والدوحة والشارقة (انظر الشكل رقم (١)

ولكي يمكن تلخيص ماتقدم عن الحالة المناخية السائدة في كل شهر من اشهر السنة وفي كل مدينة من المدن العربية الخليجية السبعة رتب الجدول رقم (٢) الذي اعتمد ترتيبه على المخططات المناخية التي ظهرت في الشكل رقم (١) لكل من مدينة البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي والمحرق ودخان والدوحة والشارقة .

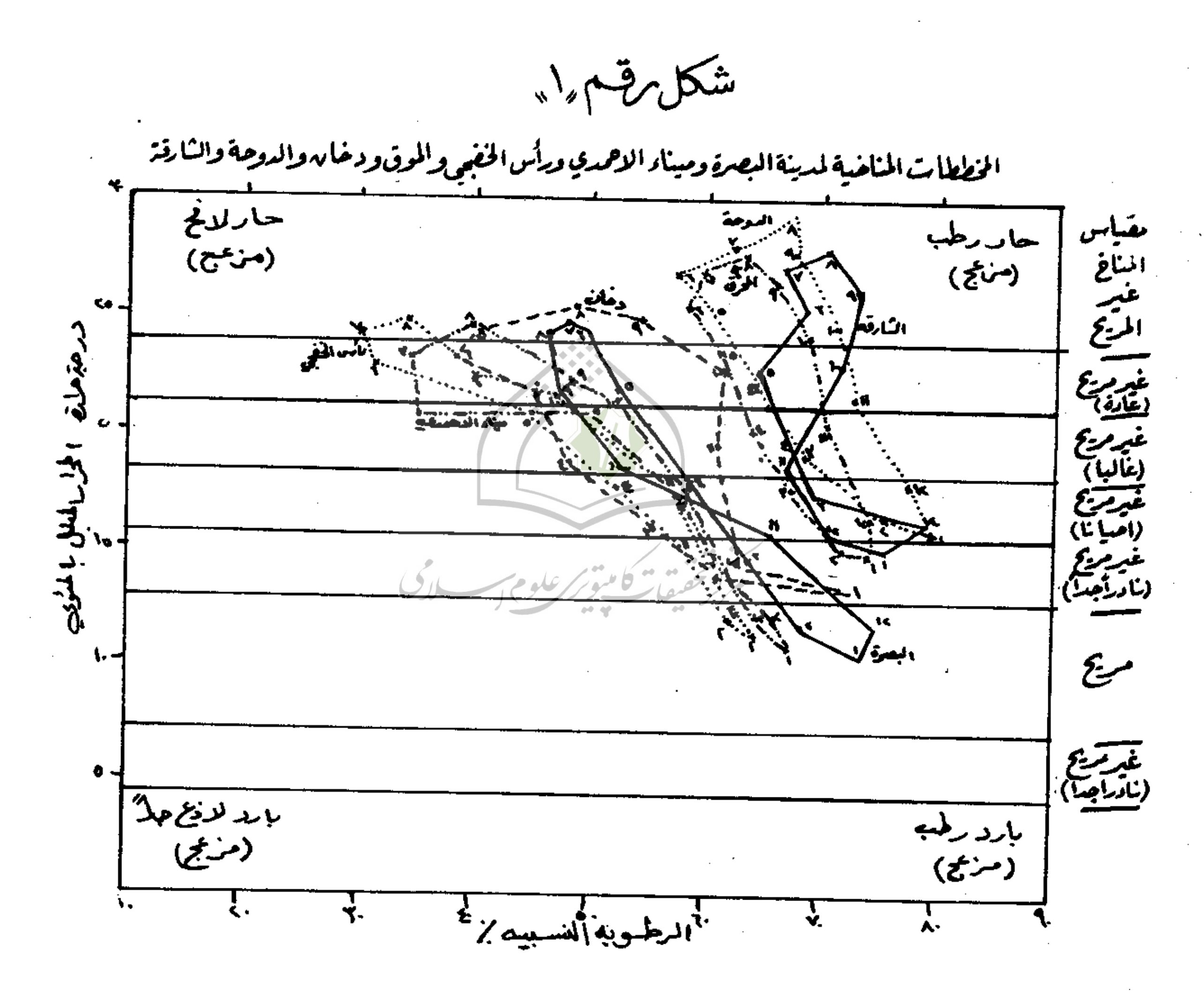
ان نظرة سريعة على الشكل رقم (١) والجدول رقم (٢) تظهر لنا الحقائق التالية : -

(١) ان نظرة سريعة على الشكل رقم (١) تظهر لنا بانه ليس هناك مدينة واحدة من المدن الخليجية السبعة تتمتع بما يمكن ان نسمية بالمناخ المريح او المثالي (Climate Ideat) للنشاط البشري في كل شهر من اشهر السنة ، وانما هناك بعض الاشهر وخاصة اشهر الشتاء ، وفي بعض المدن فقط يسود مثل هذا النوع من المناخ ولايسود في اي شهر من اشهر السنة في المدن الاخرى مثل دخان والمحرق والشارقة ، والدوحة .

(٢) يشير الشكل (١) والجدول رقم (٢) الى ان ثلاثة مدن فقط . هي البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي ، هي المدن الوحيدة من بين المدن السبعة التي تتمتع خلال ثلاثة اشهر من السنة ، هي الاول والثاني والثاني عشر (اشهر الشتاء بمناخ مريح ومثالي للشعور بالراحة و لنشاط الانسان في اداء اعماله وفعالياته الاقتصادية والخدمية دون الحاجة الى وسائل تكييف الهواء الاصطناعية ، اما المدن الاربعة الباقية ، المحرق ودخان والدوحة والشارقة فلم تتمتع في اي شهر من اشهر السنة بمناخ مريح ومثالي لنشاط الانسان وشعوره بالراحة ، ماعدا الشهرين الاول والثاني اللذين يكون المناخ فيها (نادراً جداً) غير مريح .

شكل رقم «١»

المخططات المناخية لمدينة البصرة وميناء الاحمدي ورأس الخفجي والموق ودخان والدوحة والشارقة





المصدر : Handbook of The Weather in The Gulf : Surface Wind Data, Imeos marine LTD., London, P.68

(٣) ان النصف الصيفي من السنة ، وخاصة اشهر فصل الصيف تتصف عموماً بمناخ مزعج سواء كان حاراً لافحاً كما هو في البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي، او حاراً رطباً كما هوالحال في المحرق ودخان والدوحة والشارقة ، ولكن لفترات تباينت في طولها مابين ثلاثة اشهر في البصرة وشهرين في راس الخفجي وشهر واحد في ميناء الاحمدي وثلاثة اشهر في دخان واربعة اشهر في الشارقة وخمسة اشهر في المحرق وستة اشهر في الدوحة .

وبتعبير آخر ليس هناك مدينة واحدة من المدن العربية الخليجية السبعة يشعر عالبية سكانها بالراحة خلال هذه الفترات الزمنية من السنة . ففي هذه الفترات الزمنية يحتاج جميع العاملين في مزارعهم وفي مصانعهم وفي مكاتبهم وربات البيوت في بيوتهن والطلبة في مدارسهم وكل من يعمل في داخل هذه المدن او في خارجها الى وسيلة من الوسائل التي تخفف عنهم ماتسببه الظروف المناخية السائدة من انزعاج وعدم الشعور بالراحة سواء كانت حارة رطبة ام حارة جافة لافحة ، وبهذا الصدد يمكن القول بان المناخ يكون مزعجاً ومرهقاً ليس فقط بسبب الحرارة العالية المصحوبة برطوبة عالية وانما ايضاً اذا كانت الحرارة مرتفعة جداً والهواء جافاً ، والحقيقة ان القول المألوف بين اناس بانه (ليس الحرارة وانما الرطوبة (It,s not the hewat, its thehumidity) السبب في ان يكون الجو مرهقاً ومتعباً قول غير صحيح وذلك لان الشعور بعدم الراحة والانزعاج يعود الى الحرارة المرتفعة اللا فحة او المنخفظه اللاذعة بقدر مايعود الى لرطوبة العالية المصحوبة بحراره مرتفعة (١) .

1. Howard J. Gritchfield, Generd dimatoloqy, prenticel Hall. Inc., Englewood dips. New Jersy. 1966. P. 353.

(٤) عدم وجود المناخ البارد الرطب المزعج ولاالبارد اللاذع جداً المزعج في اي شهر من اشهر الشتاء في مدينة من المدن العربية الخليجية السبعة ، وذلك بعكس المناخ الحار الرطب (المزعج) والمناخ الحار اللافح (المزعج) اللذين تمثلا في عدد من اشهر السنة وخاصة في اشهر الصيف في كل مدينة من المدن العربية التي اختيرت للدراسة بدون استثناء .

الاغرابه في لهذا اذا ماعرفنا بان الموقع الفلكي بهذه المدن ينحصر في المنطقة المدارية مابين دائرتي عرض ٢١ر ٢٠ / ٢٥ْ للشارقة و٣٤ر ٣٠ْ للبصرة شمالاً ، اي ان هذه المدن تقع في المنطقة المدارية الصحراوية الحارة صيفاً ، ويرمز لها جميعاً بالرمز المناخي Bwhs حسب تصنيف كوبن . ولكن مع انها جميعاً يسود فيها المناخ الصحراوي الحار الجاف صيفاً والمعتدل نسبياً شتاء ، اختلفت بدرجة القارية والبحرية رغم وقوعها على الساحل الغربي للخليج العربي ماعدا البصرة التي تقع بالقرب من الخليج العربي من اهوار العراق .

(٥) تتضمن فترة المناخ غير المريح (عادة) الشهر الخامس في المحرق والخامس والتاسع في البصرة والخامس والعاشر في الشارقة والرابع والحادي عشر في الدوحة والسابع والتاسع والعاشر في ميناء الاحمدي والسادس والتاسع والعاشر في راس الخفجي والخامس والسادس والعاشر في دخان . وفيما يتعلق بفترة المناخ الذي يكون (غالباً) غير مريح فقد تضمنت الشهر العاشر في البصرة والخامس في راس الخفجي والثالث في الدوحة والخامس والسادس في ميناء الاحمدي والرابع والحادي عشر في المحرق ودخان والشارقة وبانتهاء هذه الفترات ذات المناخ السيئ المزعج وغير المريح بصورة عامة وفي الغالب تأتي الفترة التي يكون المناخ فيها غير مريح (احياناً) وليس دائماً ، وتشمل الشهر الرابع والحادي عشر في كل من البصرة وراس الخفجي ، والثالث والثاني عشر في المحرق ، والثالث في دخان والاول والثاني ، والثاني عشر في الدوحة ، والثاني والثالث والثاني عشر في الشارقة .

٦) اما فيما يتعلق بفترة المناخ الذي (نادراً جداً) ان يكون غير مريح فقد تراوح طولها مابين شهر واحد (الثالث) في البصرة ، وميناء الاحمدي وراس الخفجي ، والشهر الاول في الشارقة ، وشهرين والاول والثاني في المحرق ، وثلاثة اشهر ، الاول والثاني والثاني عشر في دخان . وتعتبر هذه الاشهر في الشارقة والمحرق ودخان من افضل اشهر السنة مناخياً ، اما الدوحة فلم يتمثل فيها هذا النوع من المناخ في اي شهر من اشهر السنة ، حيث ساد فيها خلال سته اشهر مناخ حار رطب (مزعج) وفي سته الاشهر الاخرى كان المناخ مابين غير مريح (عادة و(غالباً) وغير مريح (احياناً) .

وبعد هذا الفرز لاشهر السنة وتشخيص الحالة المناخية السائدة في كل منها ظهر بشكل واضح ان المدن التي يميل مناخها نحو القارية (البصرة وميناء الاحمدي وراس الخفجي) تتميز بمناخ ملائم لنشاط الانسان وشعوره بالراحة لمده سته اشهر على الاقل ، بينما المدن الاخرى تتميز بمناخ جيد خلال شهر او شهرين او ثلاثة اشهر فقط من السنة ، والباقي من الاشهر يسود فيها مناخ مزعج بسبب الحرارة المرتفعة والرطوبة العالية .

ـ ٨ ـ

الصُنّاع ـ النجّارون ـ ومساهماتهم في بناء الحضارة العربية كما تصورها الآثار في العصر العباسي

د / صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب / جامعة بغداد


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

الصناع (النجارون) ومساهماتهم في بناء الحضارة العربية كما تصورها الآثــار في العصر العباسي

الدكتور صلاح حسين العبيدي

كلية الآداب - جامعة بغداد

اسهم اصحاب الحرف والمهن الشعبية اسهاماً بارزاً في بناء صرح الحضارة العربية الاسلامية ، من خلال ماقدموه من جهود وخدمات في مختلف الميادين، وفي شتى المجالات ، فكان منهم الفلاح والنساج والحمال والبناء والحداد والنجار وغيرهم .

ولكن الذي يؤسف له ، ان هذا الموضوع لم يحظ من عناية الباحثين في الآثار بالنصيب الذي حظيت به الموضوعات اخرى ، فالكتب العربية لاتفرد كتاباً واحداً يقتصر على دراسة هذا الموضوع ، وليس هناك فيما اعلم كتاب لباحثين حدثين يتناول هذا الموضوع ، وان كانت هناك فصول وابحاث متفرقة ، ولكن ليس فيها الا القليل النادر ، ولايتناول ابعاده كلها او يمس زواياه جميعاً ، لذلك رايت ان اسهم بجهدي في هذا الميدان ، وقد اخترت هذه المرة الكلام عن النجار في العصر العباسي ، لانه من ازهى عصور الحضارة العربية الاسلامية التي ازدهرت فيها الحرف والمهن مؤملاً ان اتناول بقية اصحاب الحرف في ابحاث قادمة .
-٢- -٣-

وقد استهوتنا هذه الشخصية الشعبية التي بقيت مع غيرها بعيدة عن تناول الباحثين والدارسين في ميدان التاريخ والآثار والفنون .

ومعلوماتنا عن النجار ، استقيناها من رافدين ، : الاول هو ماجاء في المصادر التاريخية والادبية ، اما الرافد الآخر : فهو ماجاء في المصادر الاثرية .

لقد دلت دراستنا لهذا النوع من المهن على مقدار ما للآثار من اهمية كبيرة في ايضاح كثير من الجوانب ، مما نعتمد عليه في دراستنا ، فقد كشفت رسوم الفنانين من العصور المختلفة عن كثير من الحقائق المتعلقة بهذا الجانب والتي لولاها لظلت غامضة ومجهولة علينا .

وستفيدنا هذه الرسوم من جانب آخر ، في التعرف على النجارين واسمائهم وماكانوا يستخدمونه من الالآت والادوات ووسائل العمل الاخرى ، ونستطيع ان نقف ايضاً من خلال هذه الرسوم ، على اساليب العمل ، والطرق المتبعة في النجارة فيها يومئذ ، وسوف تتوضح هذه الجوانب تباعاً عندما نمر بها ، مدعمين ذلك بالشواهد المصورة خلال البحث .

وفي اطار الحديث عن اصحاب هذه الحرف ، فان الدراسات الآثرية تشير الى وجودهم منذ اقدم العصور فقد وردت كلمة « نجار » في الاكدية (البابلية الاشورية) بلفظ يطابق العربية تقريباً بصيغة « نجار » وتكتب في نظام الخط المسماري بالعلامة المسمارية التي تعني الفأس (١) كما نجد في المخلفات الاثرية القديمة نماذج لبعض معامل النجارة ، يزاول فيها النجارون اعمالهم ، والادوات المستخدمة في عملية النجارة ، الى جانب النماذج الحية المتبقية من التحف الخشبية التي انتجها النجارون على مدى عصور التاريخ المختلفة .

واذا انتقلنا الى الفترة التي سبقت الفتح الاسلامي ، فان المعلومات التي بين ايدينا تشير الى ان العرب اهتموا اهتماماً كبيراً بصناعة الاخشاب تبعاً لحاجة الانسان الى المنتوجات المصنوعة من الخشب ، مثل السقوف والشبابيك والاثاث المنزلي .

كما كانت صناعة السفن تشكل جزءاً من صناعة النجارين في العصر الجاهلي وقد حفل الشعر العربي بذكرها وصناعتها وصناعها ،واشتهرت سفن « ابن يامن » بجودتها ومتانة صنعها بحيث اصبحت مضرباً للامثال ، فقد جاء في معلقة طرفه بن العبد :

كان حدوج المالكية غدوة

خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية او من سفين بن يامن

يجور بها الملاح طورا ويهتدي (٢)

ولما انتشرت الاسلام ، لقيت صناعة الاخشاب تشجيعاً خاصاً في الاقاليم الاسلامية المختلفة ، لاسيا تلك التي تتعلق بتوفير المستلزمات العسكرية والدفاعية ، مثل بناء السفن واقامة الجسور وغيرها .

ولقد كان لانتصار الاسطول العربي في موقعه (ذات الصواري) سنة ٣٥ هـ / ٦٥٤ م اكبر الاثر عند العرب في تأمين سلامة شواطئهم على البحر الابيض المتوسط ، وان الموقف الجديد اصبح يحتم عليهم بناء دور لصناعة الاساطيل ، ولذلك فقد بدا معاوية سياسته البحرية بتقوية الثغور البحرية في مصر والشام ، كما وجه اهتماماً خاصاً الى دور الصناعة لانتاج السفن الحربية وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن والعتاد (٣) .

وقد ذكر البلاذري : انه في سنة ٤٩ هـ / ٩٨٠ م خرجت الروم الى السواحل ، وكانت الصناعة بمصر فقط ، فامر معاويه بن ابي سفيان ، بجمع الصناع والنجارين ، فجمعوا ورشهم في السواحل ، وكانت الصناعة فى الاردن بعكا (٤) .

ولم تكن النهضة المعمارية باقل اثراً من الضرورات العسكرية ، فعمارة المساجد ، وبناء الدور ، تركت اثاراً في تطوير الصناعات الخشبية بما احتاجته من سقوف وشبابيك وابواب ومقصورات واثاث ومنابر .

وفيما يتعلق بالنجارين ، فقد اشارت المصادر التاريخية في معرض حديثها عن منبر الرسول (ص) على ان صانع المنبر ، هو رقية تميم بن اوس بن خارجة (٥) .

اما في العصر العباسي فقد شهد حركة ازدهار في الصناعات الخشبية ، فقد تقدمت هذه الصناعة يوم ذاك تقدماً عظيماً ومما شجع الصناعة ازدياد حاجة الدولة للصناعات الخشبية للاغراض العسكرية واتساع نطاق العمران ، فنبغت طائفة من النجارين ، وتمهروا في هذه الصناعة ، فخلفوا لنا تراثاً صناعياً من روائع التحف الخشبية ، وهي اما اجزاء قائمة في المباني لاتنفصل عنها مثل السقوف والقباب والابواب والشبابيك والمنابر الثابته والاعمدة والمساند والعوارض الخشبية والدواليب الحائطية . واما ادوات منقولة مستخدمة في الاستعمالات الاولياء والصالحين ، والالات موسيقية متنوعة وغيرها ، الى جانب ماكانت تفرضه ضرورات الدفاع والحماية العسكرية في توفير الخشب وذلك لبناء السفن الحربية والتجارية ومعداتها واقامة الجسور وغيرها .

ومما يذكر بهذا الصدد : انه كان في بغداد في اول عهدها « دار صناعة للجسر » وهي مؤسسة حكومية هدفها تامين صيانة دائمة للسفن التي قامت عليها جسور بغداد (٦) .

وقد استخدم النجارون لتحقيق ذلك ، طرقاً واساليب صناعة ، يمكن اجمالها في سته طرق ، هي : الحز ، والحفر ، والتطعيم ، والتلوين ، والتجميع او التعشيق والخرط .

والطريقة الاولى ، الحز ، وهي من اقدم الطرق التي مارسها الانسان في تزيين الاخشاب وزخرفتها ، الا انها تقدمت على ايدي النجارين العرب في العصر الاسلامي تقدماً ملحوظاً .

والطريقة الثانية من طرق زخرفة الاخشاب عند النجارين العرب ، طريقة الحفر ، وهي طريقة قديمة ترجع الى العصور السابقة على الاسلام ، الا انها اخذت تتطور على ايديهم ، على ان هذا التطور كان في دقة الصنعة وتطور الصناعة اذ توصلوا الى اسلوب الحفر المائل او المشطوف ، وهذه الطريقة في الزخرفه ظهرت لاول مرة في الطراز الثالث في الزخارف الجصية بسامراء ، ثم انتشرت وذاعت في ارجاء العالم الاسلامي (٧) .

والطريقة الثالثة هي التطعيم ، وهي اشبه مايكون بالتكفيت (٨) الذي يستخدم في صناعة التحف المعدنية ، والتطعيم يكون عادة بالعاج وبالصدف والابنوس وبانواع غالية من الخشب ، وهي من الطرق الصناعية التي استخدمها النجارون قبل الاسلام ، الا انها بلغت على ايدي النجارين العرب غاية في الدقة والاتقان (٩) .

والطريقة الرابعة من طرق زخرفة التحف الخشبية ، طريقة التلوين التي فاق فيها النجارون العرب غيرهم ، كما تشهد على ذلك مجموعة من التحف الخشبية الاسلامية التي تحتفظ بها متاحف العالم المختلفة (١٠)

والطريقة الخامسة من الطرق الصناعية التجميع او التعشيق ، وتقوم هذه الطريقة في الصناعة على تجميع قطع من الخشب او حشوات بعضها كبيرة الحجم وبعضها صغيرة بحيث تكون من تجمعها اشالا زخرفية بديعة .

اغلب الظن ، هذه الطريقة في صناعة الاخشاب من ابتكار النجارين العرب ، لانه لم تصل الينا تحف خشبية صنعت بهذه الطريقة من العصور السابقة على الاسلام(١١) .

والطريقة السادسة والاخيرة ، فهي الطريقة المعروفة بطريقة الخرط ، في الصنعة التي يتم بواسطتها تشكيل الخشب بخرطة بآلة مسننة او بالشفرة ، وتتجلى هذه الطريقة باروع ماتتجلى في المشربيات ، وهي تعتبر بحق ابتكاراً عربياً واضافة اضافها النجارون العرب الى ابتكاراتهم السابقة في ميدان الفنون ، والصناعات ، ويدل هذا كله على حذق النجار العربي ، وحسن ذوقه ، ومارزق من مهارة فنية سمت بصناعته الى مستوى رفيع لم تبلغه صناعة الاثاث الخشبي في اي عصر من العصور الحضارة العربية الاسلامية (١٢)

اما عن اصحاب هذه الحرفة او المهنة ، فقد جاء في كتابه المخصص النجار صاحب النجر وحرفته النجارة (١٣) ومن اسمائه النهامي (١٤) كما اطلق عليه لفظ « الفيتق » اي النجار ، وانشد :

كما سلك السكي في الباب فيتق (١٥)

وجاءت كلمة الاسكاف بمعنى النجار ايضاً قال :

لم يبق الأمنطق واطْرافْ　　　وقميص هفهاف

وبردتان وقميص هفهاف

وشعبتا ميس براها اسكاف (١٦)

لقد اسهمت هذه الطائفة من الحرفيين في العصر العباسي ، اسهاماً بارزاً في حياة المجتمع من خلال اعمالهم الجليله وابتكاراتهم الرائعة في مجال الصناعة والفن .

لقد نالت هذه الحرفة واصحابها تقدير واحترام رجال العلم والفقه والمعرفة وقد اعتبر بعضهم وجود هذه المهنة من الضرورات الاجتماعية (١٧) ، بل ذهب الغزالي الى ابعد من ذلك ، حين جعل وجودها من فروض الكفايات (١٨) .

ويتفق ابن خلدون مع الغزالي ، حيث جعل النجارة من الصناعات الضرورية بل جعلها من ضرورات العمران ومادتها الخشب ، والقائم على هذه الصناعة هو النجار (١٩) .

وعقد ابن رسته فصلاً عن صناعات الاشراف ، ذكر فيه : ان عتبه بن ابي وقاص كان نجاراً (٢٠)
كما نجد في ثنايا سطور التاريخ شذرات عن صانع محترف وعالم وملك وامير هاو زاولوا صناعات بجانب اعمالهم ، فقد كان جواد بن سلمان غالب عز الدين امير العرب اشتهر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر باجادة الخط بانواعه ، كان من اتقن الناس للصناعات ، وبرع في جميع مايعمل بيده ، عمل النجارة الدقيقة والتطعيم (٢١) .

واهتم اللغويون بالصناعة والصناع ، فافردوا للصناعات المصطلحات اللغوية ومثلهم الادباء ، فقد اهتموا بالصناع ومصطلحاتهم وادوات صناعتهم استكمالاً بثقافة الاديب ، وللجاحظ حديث مع الخليفة المعتصم بالله في هذا الشان ، بحث فيه على تعليم اولاده كل شيً ، واستشهد له بحديث فحواه : انه اجتمع قوم من اهل الصناعات فتواصفوا البلاغة ، فقال النجار : الطف الكلام ماكرم نجر معناه فنحته بقدوم التقدير ، ونشرته بمنشار التدبير ، فصار بابا لبيت البيان وعارضة لسقف اللسان (٢٢) .

ولدينا من المعلومات مايفيد بوجود التخصص في مجال الحرفة ، فكان النجارون اصنافاً فهناك نجارو الضبب (الاقفال) (٢٣) ونجارو المراكب ، او مايسمونهم بالقلافطة (٢٤) وهناك صنف آخر عرفوا بالنشارين (٢٥)

ومن استعراض النصوص المتعلقة باسماء الصناع التي وردت على الآثار يتضح انها تضمنت اشارات هامة ورئيسية في توضيح النظام الذي بنيت عليه ترتيبات العمل في المصنع الواحد ، والتي تتعلق بتحديد وظيفة النجارين والفنانين ، حيث كان المصنع الواحد يضم عدداً من الصناع لكل منهم عمله وتخصصة ، منهم النقاش والمطعم والدهان والخراط والنشار ، وعلى راس هذه القائمة الاستاذ اي « الاسطة » وهو الذي له الرئاسة في المصنع ، وله الاشراف الفني الدقيق على كل واحد من هؤلاء الذين مر ذكرهم فهو يلاحظ الشكل العام للقطعة الخشبية ودقة صناعتها والرسوم والزخارف قبل البدء في نقشها ، اي حفرها على الخشب ، وهذا عمل النقاش او الحفار (٢٧) ، وعليه ان يلاحظ قطع العاج او الابنوس او الصدف التي تستخدم في تطعيم الخشب ، وهذا عمل « المطعم » او « المكفت » (٢٨) ويتابع عملية تلوين او دهن قطع الاخشاب بالدهان ، وهو من عمل الدهان .

ومن بين واجبات الاستاذ ايضاً ، ملاحظة تشكيل الخشب وخرطة ، وهو من عمل الخراط .
واورد الجاحظ رواية يوضح فيها مبلغ التخصص الدقيق الذي وصلت اليه هذه الحرفة ، اذ جاء بنجار ليعلق الباب ، فبعد ان انهى النجار عمله ، اوصى الجاحظ قائلا : قد جودت الثقب ولكن انظر اي نجار يدق فيه الرزه ، فانه ان اخطأ بضربة واحدة شق الباب . والشق عيب (٣٠) .

وفي المغرب العربي ، استفاد النجارون العرب في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) من المعارف الميكانيكية وادخلوها في الصناعات الخشبية وهناك ثلاثة شواهد على ذلك ، اولا : كان باب منبر جامع عبد المؤمن في مراكش يفتح من تلقائه متى صعد اليه الخطيب . ثانياً : ان مقصورة الجامع ذاته كانت تسع الف شخص ، وتتحرك بواسطة عجلات تثبت في اسفلها ، ولها ستة جوانب تمت بواسطة مفاصل متحركة ، وتتحرك العجلات وتمتد المفاصل في وقت واحد ولايترتب على ذلك اقل صوت وتبدو الحركة تلقائياً حتى دخل الخليفة الجامع فتتحرك المقصورة ويخرج من داخلها المنبر الذي جعل فيها مستوراً ، ثالثاً : وضع مصحف عثمان في تابوت له باب بدفتين يفتحان بمفتاح ، ومتى مافتح خرج كرسي ، وتركب المصحف عليه تلقائياً ، و يظل الكرسي بما حمل يتحرك جيئة وذهاباً واذا رجع الى موضعه ينغلق الباب تلقائياً .

وهذه الامثلة تعكس لنا صورة ناطقة للعقلية العربية التي توصلت الى هذه الاعمال ومثيلاتها ( ) .

على انه يبدو من اقوال المورخين ان النجارين في هذا العصر لم يقفوا عند حد عمل الالواح الخشبية وزخرفتها بالحفر المائل او بالالوان بل لقد برعوا في عمل الصور المجسمه من الخشب بدليل ماذكره المقريزي في خططه من ان خماروية بن احمد بن طولون في بيت الذهب في القصر الطولوني في مدينة القطائع الذي اشرنا اليه من قبل صوراً بارزة من الخشب على مقدار قامة ونصف على صورته وصور حظاياه والقينات اللاتي كن يغنين له وذلك باحسن تصوير وابرع تزويق ، وقد جعل على روس هذه الصور الخشبية او بعبارة ادق على روس هذه التماثيل المصنوعة من الخشب اكاليل من الذهب الخالص المرصعة باصناف الجوهر وجعل اذانها الاقراط الثقال الوزن ، المحكمة الصنع وقد لونت اجسام هذه التماثيل بما يشبه الثياب وكانت الصناعات الخشبية من الصناعات التي عرفت في بغداد خلال العصر العباسي ، حتى ان سوقاً ببغداد يعرف « بسوق الخشب » يقع في جانب الكرخ ، كما كان في بغداد سوق آخر يعرف « بسوق النجارين » (٢٢) ، يقع عند باب الشام واختص بهذه الصناعة . وكانت هذه الاسواق عرضه للحرائق ، فقد حدث سنة ٣٣ هـ - ٩١٥ م حريق في سوق النجارين ببغداد فاحترق (٣٣) .

وفي مجال العلاقات التي تسود هذه الطبقة من الحرفيين ، فقد عرف عن نجاري المركب : انهم عصبة لايخالف بعضهم بعضاً(٣٤)٩

وكان للنجارين دور متميز في قضاء على صاحب الزنج بعد ان شاركا في حصاره في حملة الموفق سنة ٢٦٩ هـ / ٨٨٤ م ، وكانت مهمته محصورة في قطع القنطرة والبدود التي جعلت امامها لافساح الطريق امام السفن المحشوة بالقصب المصبوب عليه النفط ولتتمكن من الدخول في النهر المعروف بابي الخصيب ... وبعد ان شعر اصحاب المارق الخبيث بهذه الخطة حاولوا الدفاع عن القنطرة دفاعاً مستميتاً ، الا ان غلمان الموفق ازالوهم عن القنطرة وجاوزوها فقطعها النجارون والفعلة ، ونقضوها وماكان اتخذ من البدود ، وقد عانى

النجارون والفعلة من اجل تنفيذ الخطة صعوبة تعذر معها الاسراع في القطع مما دفع المواقف الى ادخال السفن وضربها بالنار وارسالها مع الماء فوافت السفن القنطرة فاحرقتها ووصل النجارون الى ...ادوا من قطع البدود فقطعوها وامكن اصحاب الشذا دخول النهر فدخلوه وقوى نشاط الغلمان بدخول الشذا (٣٥) .

ويبرز دور النجارين في الدفاع عن بغداد سنة ٥٥٢ هـ عندما هاجمها محمد شاه فقد اخرج الخليفة سبعة الاف جوشن ففرقها ونصب المجانيق والعرادات واقام اربعين شقاقاً - اي نشاراً - يعملون الخشب لعمل التراس والمجانيق والعرادات (٣٥ ب)

ولم تغفل الحكومة مراقبة اصحاب هذه الحرفة ، لذلك كانت تفرض رقابتها عليهم عن طريق موظف يدعى « المحتسب » مهمته التدخل في شؤون هذه الحرفة واصحابها وتوجيه فعالياتهم بحيث لاتترك مجالاً لمن تحدثه نفسه بالشر ان يعبث بمصالح الناس .

ونظر لعدم تخصص المحتسب في هذه الصناعة كان يجعل عريفاً من خيرة اهلها بصيراً بضاعتهم مشهورا بالثقة والامانة له دين ، فقد يوافق اكثر الصناع على اجرة معلومة كل يوم فيتأخرون عند الغد وينصرفون قبل المساء ، فينبغي ان يشترط في ذلك بما يمتنع منه ، ولاينصرفوا الامساء ، ومن النجارين من يقرب على اصحاب الاشغال مايعملونه لهم ويهونونه عليهم ويقللون مؤونته ، حتى اذا انشطوا اليه وشرعوا فيه ، طالبوهم بزيادة المؤونه عما قرروه فكان في ذلك خطر وغش ، لانه ربما افتقر وركبه دين بسببه ، فينبغي ان يتقدم المحتسب بالمنع من ذلك ، ثم منع بالايمان المؤكدة (٣٦) .

ويلزم اي المحتسب النشارين ان يعمل على كل مقص ثلاثة انفس ، احدهم يحد المنشار ، واذا تعب واحد من الاثنين ناب عنه الآخر الى ان ياخذ صاحبه راحة والاينصرفوا الى آخر النهار ، ويمنعوا من اشتراك حيمهم على الناس ، بل يكونون مثل النجارين والبنائين لايعملون الا بما قسم الله ورزق ، وان لايحرقوا شيئاً مما ينشرونه فيتلفوا الخشب ويمتحق من التجار ، فمن فعل هذا بعد الانذار ادب (٣٧) .

اما بالنسبة الى نجاري الضبب (الاقفال) فان الشروط التي فرضها نظام الحسبة عليهم هي ان يعرف عليهم عريف ثقة ، عارفاً بمعيشتهم ، بصيراً بهذه الصناعة وينشر جواسيسها وهو باب جليل يحتاج الى ضبطه لان فيه حفظ اموال الناس وصيانة حريمهم ، فينبغي مراعاة ذلك بالحلف بحضرة عريفهم بمالا كفارة لهم فيه ، وان لايعملون لرجل ولا لامرأة مفتاحاً على مفتاح الا ان يكونا شريكين مشهورين ويؤومرون ان لايثقبوا راس الابيات لطرح الاسنان ، بل ينقروا لها في روس الابيات لحفظ الاسنان ، وتكون الاسنان التي فيها مربعة الرؤوس مدورة الاسافل مبرودة مجلسة وكذلك اسنان المفتاح مبرودة مجلسة ، حتى لايخرب ذكر الغلق الامن فوقه لا من تحته ويؤمرون ان يضموا الاغلاق بالجواسيس المختلفة حتى لايعمل مفتاح على مفتاح ومن خالف آدب (٣٨) .

كما امتدت واجبات المحتسب لتشمل صنفاً آخر من اصناف النجارين ، وهم نجارو المراكب او مايسمونه بالقلافطة ، اذ ينبغي ان يعرف عليهم عريف ثقة ، لان هؤلاء النجارين يشترطون على ارباب المراكب وياخذون عما شاؤوا اجرته درهماً واحداً او خمسة دراهم ، فان امتنع عليهم احد تركوه وانصرفوا ، وحلفوا انهم لايعملونه الا بزيادة عما قرروه في الاول فيرجع الناس اليهم لانهم عصبة لايخالف بعضهم بعضاً ، فهم في هذا اول شئ خالفوه ، خالفوا سنة رسول الله (ص) لانه قد حرم شركة الابد ان فينبغي ان لايمكنوا من الشركة لانها حيف ومضرة على ارباب المراكب ، فينبغي ان يحلفوا جميعاً على ترك هذه الشركة ، ويشهر هذا الامر بالجرس في كل السواحل ، ويعملوا لسائر الناس كما يعمل نجاروا الدور وغيرهم من الصناع ، وكذلك القلافطة من غير ان يحيف على الجهتين ومن خالف ادب (٣٩) .

ولابد لنا ونحن نتكلم عن النجارين من ان نشير الى الاجور التي كانوا يتقاضونها ، ولكن المعلومات التي بين ايدينا جاءت نادرة ، فقد اشارت المصادر التاريخية الى ارزاق النجارين خمس رواتب العاملين في دار الخلافة في العصر العباسي ، حيث بلغت ارزاق الصناع والخياطين والقصارين والحدادين والرفائين والمطرزين والوراقين والنجارين والخراطين وغيرهم ، ومن في خزانة السلاح من الصناع ، وفي خزانه السروج من ذلك اليوم مئة دينار (٤٠) .

اما اسماء النجارين الذين ساهموا في اغناء الحضارة العربية الاسلامية بمختلف الاثاث والادوات ، فضلاً عن مساهمتهم بتنفيذ عشرات العمائر وكثير من المشاريع العمرانية الدينية والمدنية والعسكرية ، فان الذي يؤسف له ان المعلومات التي افاد بها المؤرخون عن هؤلاء الصناع لاتكاد تذكر الااننا نعرف مثل هذه المعلومات من الاثار العربية الاسلامية ، حيث سجل لنا النجارون اسماءهم على تلك الآثار ، فقد وصلت الينا اسماء بعض المهرة من النجارين ، نذكر من هؤلاء « محمد بن عينو » احد نجاري الجامع الطولوني المنشأ سنة ٢٦٥ هـ /٨٧٨ م ، نقش اسمه بالخط الكوفي البسيط على ظهر الواح الخشب التي تؤلف الازار (٤١) (شكل ١) ومنهم النجار « مكي بن الحاج الاخلاقي » الذي جاء اسمه منقوشاً على منبر من الخشب صنعه الى الجامع علاء الدين بقونية ، حيث فرغ منه في شهر رجب سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥م (٤٢) .

ونجار آخر من عائلة ابن معالي هو « سليمان ابن معالي » الذي ورد اسمه على منبر من الخشب ، امر بصنعة في مدينة حلب نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ونقله صلاح الدين الايوبي منها الى الجامع الاقصى بفلسطين (٤٣) .

ونجار آخر من نفس عائلة ابن معالي هو عبيد النجار المعروف بابن معالي الذي صنع مع مجموعة من النجارين تابوتاً من الخشب للامام الشافعي سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م ، وتتألف جوانب التابوت من حشوات ذوات زخارف نباتية والتابوت غني بالنقوش المكتوبة بخط النسخ والخط الكوفي من بينها كتابة كوفية تشير الى ان هذا قبر الامام الشافعي وكتابة نسخية تتضمن تاريخ صناعة التابوت واسم الصانع ونصها «عمل هذا

الضريح المبارك للامام الفقيه ابي عبد الله بن ادريس بن العباس بن عثمان بن نافع بن السائب بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه صنعت عبيد النجار المعروف بابن معالي عمله في شهور سنة اربع وسبعين وخمسمائه رحمه الله ورحم من ترحم عليه ودعا بالرحمة ولجميع من عمل معه من النجارين والنقاشين ولجميع المؤمنين (٤٤) ، (شكل ٢) .

والنص المذكور يؤكد لنا ان النقاشين يعملون جنباً الى جنب مع النجارين وغيرهم من الفنانين وبمسجد علاء الدين في انقرة منبر على احد وجهيه لوحة خشبية تشمل كتابة بخط النسخ يعود تاريخها الى سنة ٥٩٤ هـ نصها : (عمل ابراهيم بن ابو بكر النجار (٤٥) .

ونجار آخر جاء توقيعه هذه المرة على محراب المدرسة الحلوية بحلب الذي يرجع تاريخه الى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م هو : (ابو الحسن محمد بن الحراني) (٤٦) .

كما رصدنا عدداً آخر من النجارين وردت اسماؤهم على منبر جامع العمادية بالعراق يرجع تاريخه الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والمنبر معروض الآن في المتحف العراقي، وهو مصنوع من خشب الاثل . ويتضمن المنبر مجموعة من النصوص الكتابية موزعة في اشرطة على جانبيه من بينها نص يتضمن اسماء النجارين الذين قاموا بصنعه وذلك على الجهة اليسرى من المنبر يقرأ كالآتي :

(هذا عمل علي ابن ابو النهى وابراهيم ابن جامع وعلي ابن سلامة الجزريين) (شكل ٣)

فالنص كما واضح يمدنا بثلاثة من اسماء النجارين الجزريين هم :

١ . علي ابن النهي

٢ . ابراهيم ابن جامع

٣ . علي ابن سلامة (٤٧) .

ومن النجارين المشهورين نجار اسمه « محمد بن علي » الموصلي الذي صنع منبراً للجامع الكبير لمدينة حلب ، حيث ورد اسمه منقوشاً بالخط النسخي على تاج المنبر نصها : (عمل العبد الفقير الى الله محمد بن علي الموصلي) (٤٨)

كما وصلنا من الموصل باب يمثل مدخل حضرة ابن الحسن الموصلي مغطى بصفائح من النحاس مزينه باشرطة حديدية على هيئة اشكال هندسية وفوقه لوح من خشب التوت مزين بتخريمات دقيقة تلف جزء كبير منها ، وعلى الباب نجد اسم الصانع الذي قام بعمل هذا الباب يقرا كالآتي : (عمل عمر بن الخضر ولي آل محمد) .

ويحتفظ متحف – برلين – بكرسي مصحف من الخشب يرجع الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وفي وسط الجزء العلوي من هذا الكرسي زخرفة بالخط الكوفي ذى الزخارف المجدولة وحولها كتابة بخط الثلث تضم آية الكرسي والكتابتان على مهاد من رسوم الرقش العربي او التوريق وبين القسمين العلوي السفلي من الكرسي حشوات صغيرة مستطيلة ، على اثنتين منها توقيع صانعه ونصه : (عمل عبد الواحد بن

سليمان النجار) (شكل ٤) .

وإذا انتقلنا الى الادوات والآلات التي كان النجارون يستخدمونها في اعمالهم ، فان المصادر التاريخية والمعاجم تعطينا قائمة باسماء الادوات . من هذه الادوات ، الفاس ، والفاس آلة من الحديد لها مقبض من خشب ولها نصاب يقال له الفعال يضرب به وفيه ثقب يسمى الخرت ، يسمى القبقب .

وتهوى اذا العيس العتاق تفاضلت

هوى قدوم القين جال فعالها (٥١) .

لقد اورد المؤخون لهذه الآلة عدة انواع وكان يطلق على كل نوع بالنسبة لاشكالها ولهيئتها اسم او لفظ معين ، فالحداة الفاس ذات الراسين وجمعها حدا ، فاذا كان لها راس واحد فهي فاس ، والحداة التي لها راس واحد يتخذها منضد الشجر ، وهو شبه الطبرزين تقديرها عتبه ، وروى ايضاً : الحداة الفاس لها راساً والجميع حدايا . بالفتح الفاس ذات الراسين ، وقيل الحداة الفؤوس لها راسان واحدتها حداة (٥٢) .

ويقال لنوع آخر من الفؤوس القدوم ، وهي الفأس ذات الحد الواحد ، مثل فاس النجار ، والجميع القدم والقدائم وانشد :

يابنت عجلان مااصبرني على خطوب كنحت بالقدوم (٥٣)

وهي انثى ، قال الاعشى :

اقام به شاهبور الجنو د حولين تضرب فيه القدم (٥٤)

ويقال لهذا النوع من الفؤوس الخلف ، والخلف فاس ذات خلف اي ذات راس واحد والجميع الخلوف ، والخلف حد الفأس والموس (٥٥)

ومن ا سمائها ايضاً ، وهي الفأس ذات الحد الواحد ، وقيل الخصين الفاس الصغيرة يمانية والجميع خص (٥٦)

اما الكرزن فهي الفاس ، ابو حنيفة الكرزم ، والكرزيم وانشد :

ان الدهور علينا خلف كرزيم

والكرزيم فاس مغلولة الحد ، والكرزين فاس ليس لها حد نحو المطرقة ، والكرتيم نحوه .(٥٧)

ويقال للفاس العريضة الرأس الفنداية ، قال الراجز يحمل فاساً معد منداية (٥٨) كذلك ورد للفاس اسم آخر يعرف بالسفن ، والسفن الفأس ومنه سميت السفينة لانها تعمل بالفأس (٥٩)

والمسفن قدوم تقشر به الاجذاع ، والمسفنماينحت به الشئ ، والمسن مثله قال :

وانت في كفك المبراة والسفن (٦٠)

يقول : انك نجار ، وانشد ابن برى لزهير :

ضرباً كنحت جذوع الاثل بالسفن (٦١)

ومن اسماء الفاس الاخرى ، البرت ، والبرت فاس بلغة اهل اليمن (٦٢) كما عرف للفاس اسماء اخرى مثل المعبله (٦٣) ، والمكشاح والخنزرة الفأس العظيمة لفظ الغطيس (٦٥) .

كما عرف من ادوات النجارين البلط ، والبلط المخراط وهو الحديدة التي يخرط بها الخشب ويملسونه وانشد :
والبلط يبري حبر الغرفار (٦٦)
اما المنقار فهو حديدة كالفأس ينقربها (٦٧) .
ويمكن ان نضيف الى قائمة ادوات النجارين الكوس ، وهي خشبة مثلثة تكون مع النجار يقيس بها تربيع الخشب (٦٨) ، يقال : قاس النجار العود بالكوس (٦٩) .
وستعان النجارون في اعمالهم باداة تصرف، الدوارة وهي من ادوات النقاش والنجار ، لها شعبتان تنضمان وتنفرجان لتقدير الدارات (٧٠) .
وعرف من ادوات النجارين ايضاً : المسخن ، والسحن ان لذلك الخشبة حتى تلين من غير أن يؤخذ من الخشبة شيٌ وقد سحنتها (٧١) .
كما عرفت لديهم اداة اخرى ، تعرف بالمثقب ، وهي الآلة التي يثقب بها الخشب ، والمثقاب عبارة عن مقبض خشبي ينتهي بسلاح (٧٢) رفيع يثبت راسياً على قطعة من الخشب ويلف بواسطتها وتربط نهايتي المقبض (٧٣) .
ومن ادوات النجارين ايضاً : اداة يقال لها العتلة ، وهي الهراوة الغليظة من الخشب وقيل : هي المجثات وهي الحديدة التي يقطع بها فسيل الكرم والنخيل ، وقيل : هي بيرم النجار (٧٤) .
اما المحفر فهي الاداة التي تستخدم لحفر الاخشاب (٧٥) ومن ضمن ادوات النجارين الاخرى المئشار او المنشار ، والاول كما يقول العسكري : افصح . يقال : اشرب الخشبة ونشرتها ... قال الشاعر :
لقد عيل الايتام طعنة ناشرة انا شر لازالت يمينك اثرة (٧٦)
والمئشار او المنشار على انواع ، والشائع منها النوع الصغير ، ومنها النوع الكبير الذي يعرف بمنشار الشقاق ، ويستعمل بشكل خاص في معلتها الواح الخشب وشرحة ، ويشترك في عملية النشر شخصان ، وقيل تفصيل الخشبة معلا ، شققتها (٧٧) .
والمقلع الذي يقلع به المسامير ، والمزرف المثقب ، وهو من آلات النجارين (٧٨)
وهناك الكلبتان وهي آلة يجذب المسمار من الخشب (٧٩ قال جرير :
وجد الكتيف ذخيرة في قبره
والكلبتان جميعة والميشار(٨٠)
ومن الادوات الاخرى المسن بالكسر، وهو الحجر الذي يسن به او يسن عليه اي يحدد (٨١) .
ويمكن ان نضيف الى ماتقدم من الادوات المسجج ، وهو المبراة يبري بها الخشب ، وسحجت العود قشرته (٨٢) .
وهناك الازميل : وهي آلة من حديد محددة الرأس تنقر بها الحجارة والخشب فصيحها المنقار ، وقيل المنقار حديدة كالفاس بنقر بها وقيل حديدة كالفأس مشككة مستديرة لها خلف ، ويتم ذلك برشق الازميل في الخشب ثم يدق بمطرقة .

كما عرف لدى النجارين الملزم بالكسر مشدودة اوساطها بحديدة تجعل في طرفها قناحة فتلزم ما فيها لزوما شديدا تكون مع الصياقلة والابارين .«٨٣»

وجاء في كتاب الآلة والاداة ان الملزم خشبتان تشد اوساطها بحديدو ونحوها تجعل في طرفها قناحة وهي تكون مع الصياقلة والابارين ومجلدي الكتب وغيرهم . وفي الاساس : يقال هذا ملزم الصيقل لخشبته التي يصقل عليها قلت : وهو ما تقول له العامة عندنا (منكنة) ، فالملزم آلة اللزم تلزم السيً اذا علقت به فتجعله ثابتا امام الصانع ليصنع منه ما شاء ، وهي مؤلفة من خشبتين في طرفي كل منها ثقب يدخل فيه لولب من الخشب (هو البرغي) وحينئذ يكون قد انتظم الخشبتين لولبان من جانبيها فتكون احداهما مطبقة على الاخرى اطباقا محكما فاذا اراد الصيقل او المجلد ان يصقل السيف او يجلد الكتاب فتل اللولبين فتلا معكوسا الى الوراء فتنفرج الخشبتان فيضع بينها السيف او الكتاب ثم يفتل اللولبان الى الامام فتنطبق الخشبتان وتعضان على ما بينها من السيف او الكتاب ، وحينئذ يأخذ الصيقل بصقله .«٨٤»

والى جانب ما تقدم . . فقد استعان النجارون في بداية الامر لربط اجزاء قطع الخشب اوتادا من الخشب ، ثم عرفوا بعد ذلك المسامير من المعدن ، ويظهر ان التسمير استعمل في العراق في الالف الثالث ق.م. ويعرف المسمار في المصادر العربية بالسكي وانشد :

كما سلك السكي في الباب فيتق (٨٥) .

وعرف ايضاً باسم آخر هو الدسار ،(٨٦) ، بينما يطلق على مسمار الخشب اسم الخابور (٨٧) كما كان يطلق على المسمار لفظ الكوكب (٨٨)

واخيراً المدماك ، خيط النجار والبناء (٨٩)

لقد رصدنا مجموعة من صور النجارين والادوات والالات التي جاء ذكرها في المصادر والمراجع والمعاجم ، نذكر منها صورة بالنحت البارز من العصر البابلي القديم على لوح من الفخار ، محفوظ في متحف اللوفر بباريس . والصورة تمثل نجاراً وقد جلس على مقعد وامامه قطعة من الخشب يحاول نجرها وتشذيبها بواسطة اداة تعرف بالقدوم يقبض عليها باليد اليمنى (٩٠) (شكل ٥)

كما وصلت الينا من العراق القديم نماذج من الادوات والالات التي كانت تستخدم في اعمال النجارة مثل الفؤوس والبطات والمناشير والزوايا والمثاقب (٩١) (شكل ٦ ، ٧)

ومن مصر وصلت الينا صوراً اخرى للنجارين منها صورة يرجع تاريخها الى عهد الدولة الوسطى محفوظة في المتحف المصري ، تريناه نموذجاً لمعمل نجارة يبدو فيه مجموعة من النجارين يؤدون اعمالاً نجارية مختلفة موزعين هنا وهناك ، منهم من يقوم بنشر الخشب ومنهم من يقوم بتشذيبه بالمقشر ، ومن يسوى الواحة بالمعقل ومن يثقبها بالازميل ويتوسط المعمل صندوق صغير يضم نماذجاً لالات النجارين .

وتفيدنا صورة اخرى لمشغل النجارين يرجع تاريخها الى عهد الدولة الحديثة بمصر محفوظة في المتحف المذكور عليها رسم لمجموعة من النجارين يقومون بصنع الاسرة والكراسي والمقاصير . ونرى بين ايديهم ما كانوا يستخدمونه من الادوات والالات منها الفؤوس والازاميل والمثاقب والمقشر .(٩٢) (شكل ٨) .

وللمناظر النجارين رسوم مصورة على الآثار العربية الاسلامية . نذكر منها صورة تزين قصير عمرة الذي يعود تاريخه الى النصف الثاني من العصر الاموي . وربما كان من الابنية التي شيدها الوليد بن عبد الملك ٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٥ م . حيث نشاهد في الرواق الايسر من القصر المذكور صوراً تمثل بعض اصحاب الحرف والمهن من بينها صورة يظهر فيها اثنان من النجارين ينشران لوحاً من الخشب بواسطة منشار الشقاق .

ويسترعي زى هذين النجارين انتباهنا ، اذ يظهر كل منهما بازار يصل في طوله الى الركبتين تقريباً وقد ثبت في وسط كل من النجارين بما يعرف بالمنطقة او البند (٩٣) . (شكل ٩)

وتصادفنا صورة النجارين في بعض المخطوطات الاسلامية . منها صورة تعود الى مابعد العصر العباسي وهذه الصورة على الرغم من كونها متاخرة عن العصر المذكور الا اني وجدت من الضروري الرجوع اليها لاستكمال الصورة الكاملة لموضوع البحث .

وتضم الصورة فضلاً عن التفصيلات الوافية لادوات النجارة والاتها صورة لاحد النجارين . وقد جلس على مقعد واطئ وامسك بآلة المزرف (شكل ١٠) والنجار في الصورة منهمك في عمله . وقد اخذت ساقه اليسرى وضعا يتناسب وحركة الجسم واليدين التي يتطلبها عمله . وقد اخذت ساقه اليسرى وضعها يتناسب وحركة الجسم واليدين التي يتطلبها عمله . بينما تنتشر امامه مجموعة من الادوات والالات التي يستخدمها في النجارة ، ويظهر المئشار او الميشار واضحاً من بين تلك الادوات (شكل ١٠ – أ)

والى جانب الميشار او المئشار نلمح اداة اخرى تعرف بالملزم (شكل ١٠ – ب) والى جانبها ظهر البلط والى الاعلى من البلط ظهر نوع من الفؤوس تطلق عليه المصادر التريخية لفظ الفاس والقدوم السفن والسفن . وهذه الالة تكون ذات خلف واحد او راس واحد (شكل ١٠ –ب ً)

كما هدتنا التصويره نفسها رؤية اداة اخرى تعرف بالعتله (شكل ١٠ – هـ) وعند الزاوية اليسرى آلة اخرى تعرف بالمسن (شكل ١٠ – ز)

والى جانب ماتقدم ، فقد ظهرت الاداة المعروفة بالمسحل وتدلنا الصورة ايضاً : على اداة اخرى من ادوات النجارين تعرف بالمسحج (شكل ١٠ - ك) والى جانب الادوات التي تقدم ذكرها هناك نوع آخر منها تستخدم في حفر الخشب وهي المعروفة بالمحفرة (شكل ١٠ - ل)

والى جانب الانواع المتقدمة ، فقد ظهرت الآلة المعرفة بالكلبتان ويتوسط تلك الادوات مقعد واطي يبدو انه من نفس المقعد الذي يجلس عليه النجار ، وربما يعبر عن نموذج من الاعمال الخشبية التي انجزها هذا النجار بواسطة تلك الادوات . (شكل ١٠ - س)

وعلى العموم : فالصورة تعكس مشهدا مهما يستطيع المرء من خلالها ان يكون في ذهنه فكرة بصورة تعتبر فريدة من نوعها ، وتكاد تكون الوحيدة من بين الآثار الاسلامية التي تجمع مثل هذه الالآت والادوات في وقت واحد .

وكذا نخرج من هذه الرحلة العلمية بصورة واضحة المعالم بينه القسمات عن النجار وعن مهنة النجارة ووسائلها وادواتها عبر مرحلة مزدهرة من عصورنا الذهبية حيث كان العالم العربي الاسلامي مركز اشعاع لجميع العالم .

وارجو ان اكون قد وفقت الى جمع النماذج المتوفرة ومقارنتها بماورد من اخبار عن هذه المهنة محاولا ان استعين بالنظرة العلمية موفقاً بينها وبين ماورد في كتب الادب والشعر عن مهنة البناء .

الهوامش

١ . **باقر ،طة :** من تراثنا اللغوي القديم ، مايسمى في العربية بالدخيل مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص ١٤٧ .

٢ . **ديوان طرفة بن العبد :** شرح الاعلم الشنتمري . اعتنى بتصحيحه مكس سلفون شالون ، مطبعة برطرند ١٩٠٠ م ص ٦

٣ . **ماهر ، سعاد :** البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ص ٣١٣

٤ . **البلاذري :** احمد بن يحي بن جابر : كتاب فتوح البلدان . مطبعة الموسوعات مصر ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م ص ١٢٤

٥ . **العسقلاني ،بن حجر احمد بن علي :** سبل السلام في شرح بلوغ المرام . دهلي ١٣٠٢ هـ - جـ ٢ ص ٢٨١ ، وابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله الاستيعاب في معرفة الاصحاب . حيدر آباد ١٣٣٦ هـ - جـ ١ ص ٧٢ .

٦ . **الصابي ، الوزراء اوتحفة الامراء في تاريخ الوزراء** : بعناية عبد الستار فراج : القاهرة ١٩٥٨ ، دار احياء الكتب العربية ص ٢٤ ، وسعد بعد الرزاق فهمي : العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين . الاهلية للنشر والتوزيع . بيروت ١٩٨٣ ص ١١٦ .

٧ . **مرزوق ، محمد عبد العزيز** : الفن الاسلامي ، تاريخه وخصائصه ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٦٥ ص ١٤٧

٨ . استخدم التكفيث او التطعيم في زخرفة المعادن وهو اسلوب قوامه حفر رسوم على سطح معدن تم مل تلك الزخارف المحفورة بمادة اخرى كالذهب والفضة والنحاس الاحمر . انظر : العبيدي ، صلاح : التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي . مطبعة المعارف - بغداد ١٣٨٩ - ١٩٧٠ م ص ١٦٢

٩ . مرزوق ، الفن الاسلامي ص ١٤٨

١٠ . مرزوق ، الفنون الزخرفية ص ١٦٥

١١ .مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ١٦٦ وانظر ، مرزوق : الفن الاسلامي ص ١٤٩ .

١٢ . **مرزوق** ، الفن الاسلامي ص ١٥٠

١٣ . **ابن سيده** ،ابي الحسن علي بن اسماعيل ، المخصص ، دار الفكر جـ ١١ ص ٢١

١٤ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٥٨

١٥ . **ابن سيدة** ،المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٦١

١٦ . **ابن منظور** ،جمال الدين محمد بن كرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت جـ ٩ ص ١٥٧

١٧ . **اخوان الصفا** :رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء (بيروت ١٩٥٧) جـ ١ ص ٢٨٠ ٢٨٢١ . ونظر ، الشيخلي : صباح ابراهيم سعيد ، الاصناف في العصر العباسي ، نشاتها وتطورها ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ ص ٢٩

١٨ . **الغزالي** ، ابو حامد محمد بن محمد ، احياء علوم الدين ، مطبعة احمد البابي الحلبي القاهرة ١٢٩٦ هـ . جـ ٢ ص ٨٣ - ٣٠٨

١٩ . **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون . تحقيق أ . م كاترمبرج مكتبة لبنان

٢٠ . **ابن رسته** ، الاعلاق (النفيسة) بعناية دى غوية (ليدن ١٨٩٢ م) ص ٢١٤ - ٢١٥

٢١ . **عبد الوهاب - حسن** . توقيعات الصناع على اثار مصر الاسلامية . مجلة المجمع العلمي المصري المجلد ٣٦ (١٩٥٣ - ١٩٥٤) ص ٥٣٨

٢٢ - **عبد الوهاب - المصدر السابق** ١٤٨

٢٣ . ابن بسام ، المحتسب ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه وعاق عليه حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٩٦٨م ص ١٤٧ .

٢٤ . ابن بسام ، المصدر السابق ص ١٤٨

٢٥ . ابن بسام ، المصدراف

ابن بسام ،المصدر السابق ص ١٤٤

٢٦ . **الباشا** ، **حسن** ، **الفنون الاسلامية والوظائف** على الآثار العربية - دار النهضة العربية جـ ٢ ص

٢٧ . **مرزوق** ، الفنون الزخرفية ص ١٦٥

٢٨ . **انظر هامش رقم ٨**

٢٩ . **مرزوق** ،الفنون الزخرفية ص ١٦٦

٣٠ . **الجاحظ** ،ابو عثمان عمر بن بحر ، الحيوان . بعناية عبد السلام محمد هارون - القاهرة (١٩٤٧ -١٩٦٩) جـ ٣ ص ٢٧٦ - سعد العامة ص ٦٢

٣١ . **موسى** ،عز الدين احمد ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري دار الشروق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ ص ٢٣٥

٣٢ . **ابن الجوزي** ،ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دار المعارف العثمانية (حيدر اباد . الدكن ١٣٥٧ هـ) جـ ٦ ص ١٣٠ . والكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي . منشورات وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية ١٩٧٥ ص ١٤٠ .

٣٣ . **الهمداني** ،محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد : تكملة تاريخ الطبري تحقيق : البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (١٩٦١) جـ ١ ص ١٦ والكبيسي ، المصدر السابق ص ٢٨٧ .

٣٤ . **ابن بسام** ،المصدر السابق ص ٩٤٨

٣٥ . **الطبري** ، ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٩ . دار المعارف جـ ٩ ص ٦٢٩

البرادات في القتب شبه مخلاتين يحشيان ويشدان بالخيوط الى ظلفات القتب واحنائه ، ويقال لها الابدة ، والبداء لبد يشد به ، ويبدو ان البدود تعني الحبال . انظر ابن منظور : ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . دار صادر – دار بيروت (بيروت ١٩٥٥ م –١٢٧٤ هـ) جـ ٣ ص ٨٠

٣٦ . **ابن بسام** ،المصدر السابق ص ١٤٤

٣٧ . **ابن بسام** ، المصدر السابق ص ١٤٤ –١٤٥

٣٨ . **ابن بسام** ، المصدر السابق ص ١٤٧

٣٩ . **ابن بسام** ،المصدر السابق ص١٤٨

٤٠ . **عواد** ، ميخائيل : صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي . منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية (١٩٨١) ص ٦٢

٤١ . **عبد الوهاب** ، المصدر السابق ص ٥٤٦

٤٢ . **حسن** ،زكي : فنون الاسلام (١٩٤٨) ص٤٨١

٤٣ . **حسن** ،زكي : المصدر السابق ص ٤٦٣ – ٤٦٤

٤٤ . **حسن** ، زكي : المصدر السابق ص ٤٦٢ وانظر : عبد الوهاب ، حسن توقيعات ص ٥٤٦

٤٥ P 165. no. 4248. P. 262 Xl. p. Repettoire .4

٤٦ . **حميد** ، **عبد العزيز** ، العبيدي صلاح ، قاسم احمد : الفنون الزخرفيةالعربية الاسلامية مطبوعات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بغداد ١٩٨٢) ص ٣٩ – ٤٠

٤٧ . **حلمي** ، **هشام** ، الاثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة (١٩٦٨) ص ٤٥ وانظر **متاب**امل : المنابر العراقية حتى نهاية العصر العباسي . رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة (١٩٧٥) ص ١١٠

٤٨ . ديوه جي، **سعيد** :اعلام الصناع المواصلة ، مطبعة – **الجمهور** الموصل ١٣٩٠ هـ) ص ١٩٦

٤٩ . **ديوجي** ، **سعيد** ،الموصل في العهد الاتابكي ص ٦٢.

والباشا ، **حسن** :الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية (دار النهضة العربية) ١٩٦٦ جـ ٣ ص ١٢٧١

٥٠ . **حسن** ، **زكي** : اطلس الفنون الزخرفية (شكل ٣٨٩)

٥١ . **ابن سيده** المخصص جـ ١١ ص ٢٥

٥٢ . **ابن سيدة** ،المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٤

٥٣ . **ابن سيدة** ،المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٥٤ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٥٥ . **ابن سيده** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٥٦ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٥٧ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٥٨ . **ابن سيده** ،المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٥٩ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٥

٦٠ . **ابن منظور** : لسان العرب جـ ١٣ ص ٢١٠

٦١ . **ابن منظور** :المصدر السابق جـ ١٣ ص ٢١٠

٦٢ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٦

٦٣ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٦

٦٤ . **حلمي** ، **هشام** : الاثار الخشب ص ١٢٩

٦٥ . **ابن منظور** : المصدر السابق جـ ٦ ص ١٦٥

٦٦ . **ابن سيدة** ، المصدر السابق جـ ١١ ص ١٤

وتسمى العامة في العراق هذه الآلة (رنده) ويشتقون منها فعلاً يقولون :
رندج الخشبة ، فهي مرندجه ، وذلك اذا قشرنا بالرنده وملسهـا انظر الرصافي معروف / الآلـة والاداة ومايتبعها من الملابس والمرافق والهنات . تحقيق وتعليق : عبد الحميـد الرشودي . مطبوعات وزارة الثقـافـة والاعلام العراقية (١٩٨٠) ص ٣٤٠ والفرفار مشجب والحب جمع حبه وهي العقدة من الشجر تقطع وتخرط .

٦٧ . **ابن سيده** المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٦ . **وابن منظور** : المصدر السابق جـ٥ ص ٢٢٧

٦٨ . **ابن سيدة** : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٦١

وابن منظور :المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٦١

٦٩ . **الرصافي** :الآلة ص ٣٠٨

٧٠ . ابن **منظور** : المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٩٧

والرصافي : **الآلة** ص٥٠٩.

٧١ . **ابن سيده** : المصدر السابق جـ ١١ ص ١٥

٧٢ . **ابن منظور** : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٠

٧٣ . هشام ص ١٣٤ وتسمى هذه الآلة في الوقت الحاضر (البريمة)

الرصافي : الآلة ص ٣٣

٧٤ . **ابن سيده** : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢٥٦

٧٥ . **العسكري** : **ابن الهلال** : كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء . تحقيق الدكتور عزت حسن (دمشق ١٣٨٩ هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق جـ ١ ص ٢٨٢

٧٦ . **العسكري** : المصدرالسابق جـ ١ص ٢٨٢

٧٧ .**ابن سيده** : ١١ / ٢١ وانظر :

حلمي : **هشام** ، الآثار ص ١٣٧ – ١٣٨

٧٨ . **العسكري** : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٨٢

٧٩ . **ابن منظور** : المصدر السابق جـ ١ ص ٧٢٥

٨٠ . **ديوان جرير** : دار صادر بيروت ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م ١٥٦ وانظر : حلمي ، هشام : الآثار ص ١٣٣.

٨١ . **الرصافي** :الآلة ص ٣٦٠

٨٢ . **ابن سيده** : المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٢

٨٣ . **ابن منظور** : المصدر السابق جـ ١٢ ص ٥٤٢

٨٤ . **الرصافي** : الآلة ص ٣٢٣

٨٥ . **انظر هامش رقم ١١**

٨٦ . **ابن منظور** : الما سدر السابق جـ ٤ ص ٢٨٥

٨٧ . **الرصافي** : الالة ص ٥٠٨

٨٨ . **الرصافي** : الالة ٣٠٨

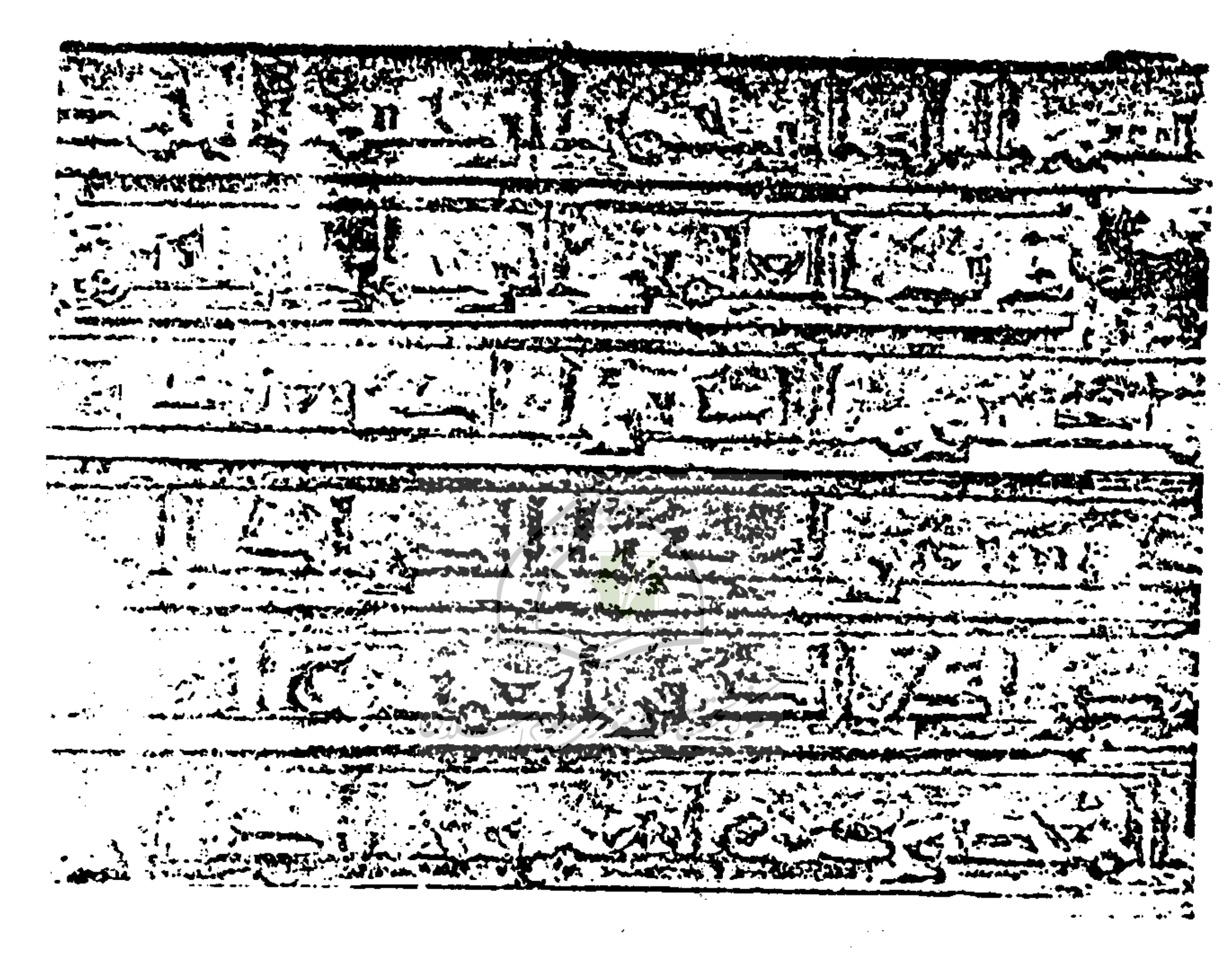
٨٩ . **ابن منظور** : المصدر السابق ج ١٠ ص ٤٢٩

٩٠ . 901 Armas Saionen, Dio Mobel Des alten Mesopotamien , HelsinKi , 1968, tatel 14P 2.

٩١ . **الجادر** : **وليد** ، الازياء والاثاث ، حضارة العراق بغداد (٩١٩٨٤ جـ ١ ص ٨٢٠ – ٨٢١ مركز تسجيل الآثار المصرية – صور الاثاث في مصر القديمة – طبع بمطابع دار النشر للجامعات المصرية – القاهرة ص /

مارتين ماغرو :خوان تسوثايا ، لويس كاباليبرو خوان تسوثايا ، انطونيو الماغرو ، قصير عمره ، سكنى وحمامات اموية في بادية الاردن . مدريد ١٩٧٥ صورة (٣٨ . أ)



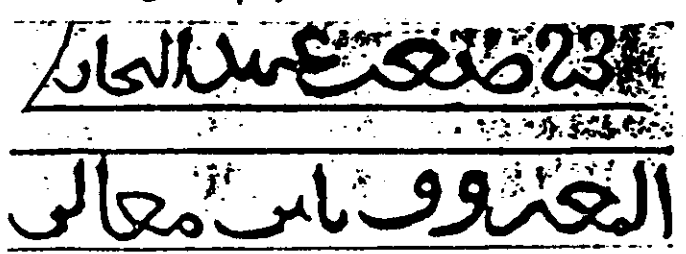


محمد

علي

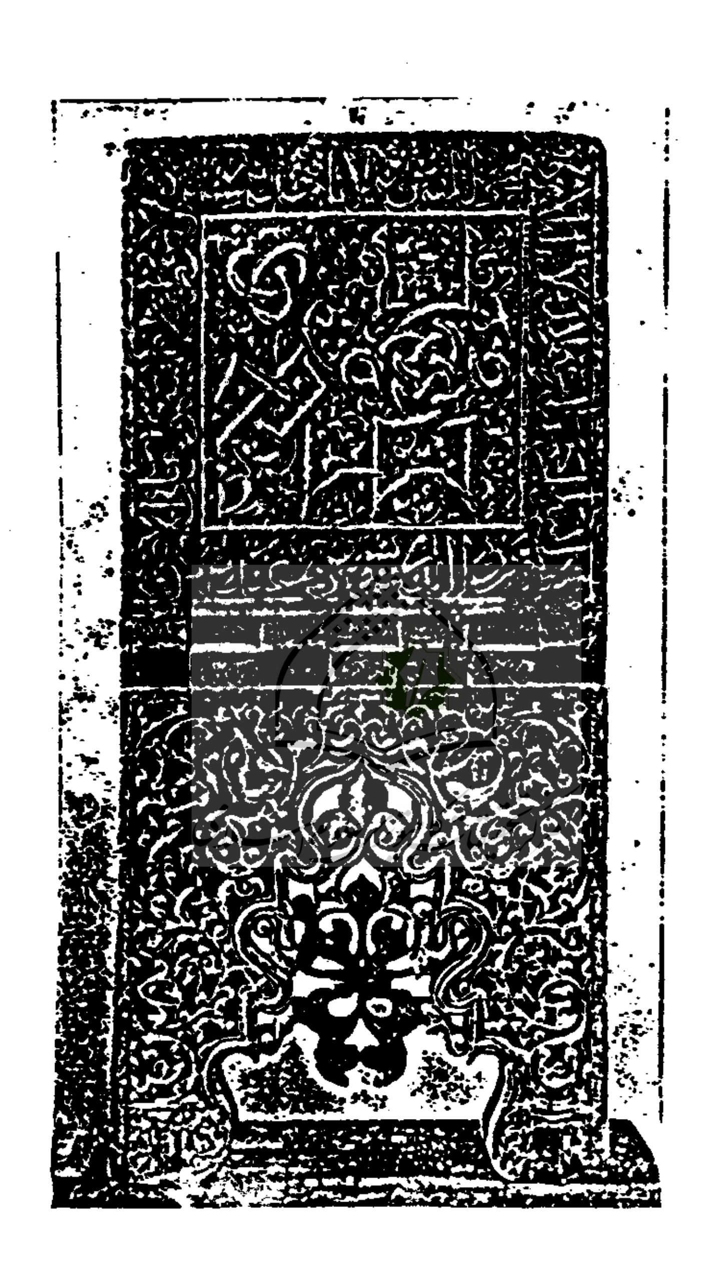
(شكل رقم ١)

تفاصيل من تابوت الإمام الشافعى



(شكل رقم ٢)

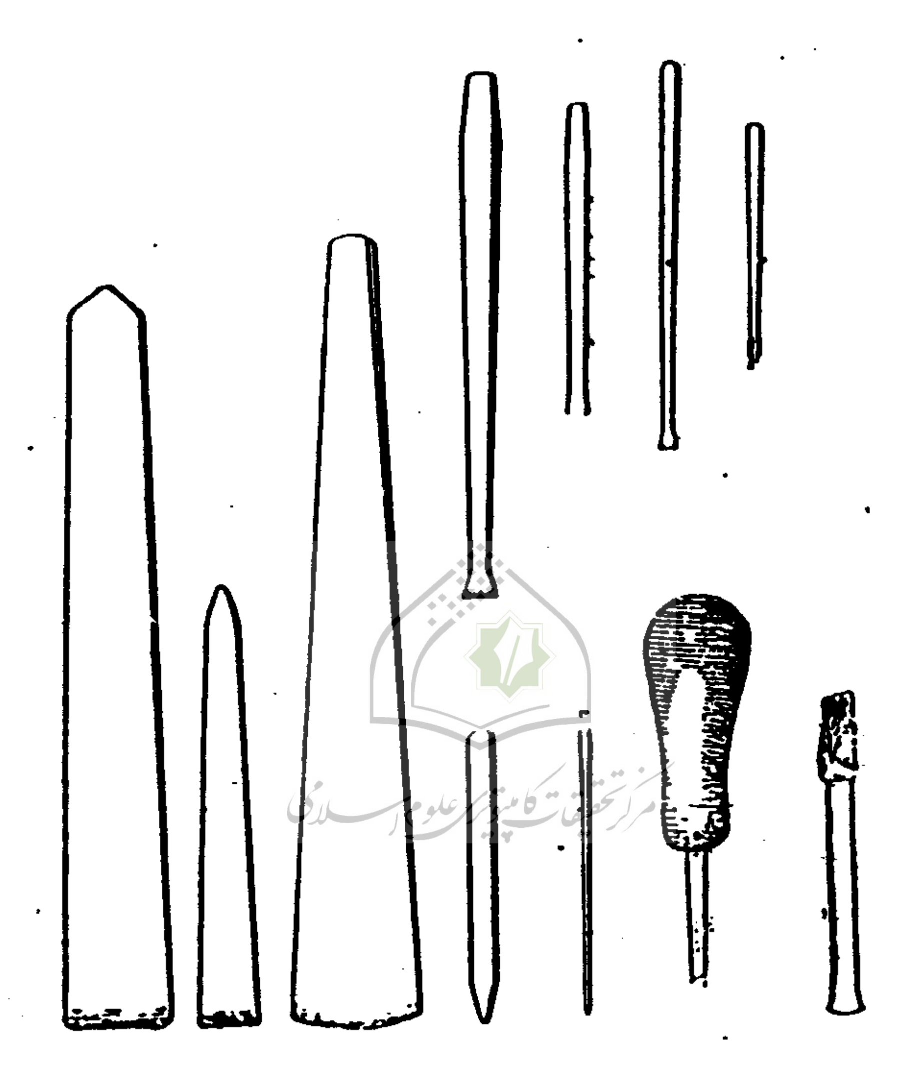
(شكل رقم ٢)



(شكل رقم ٤)



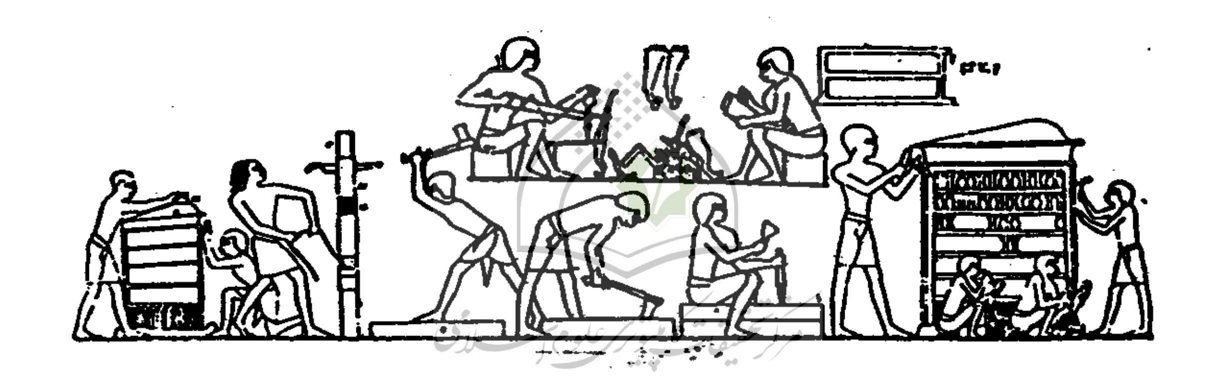
(شكل رقم ٥)



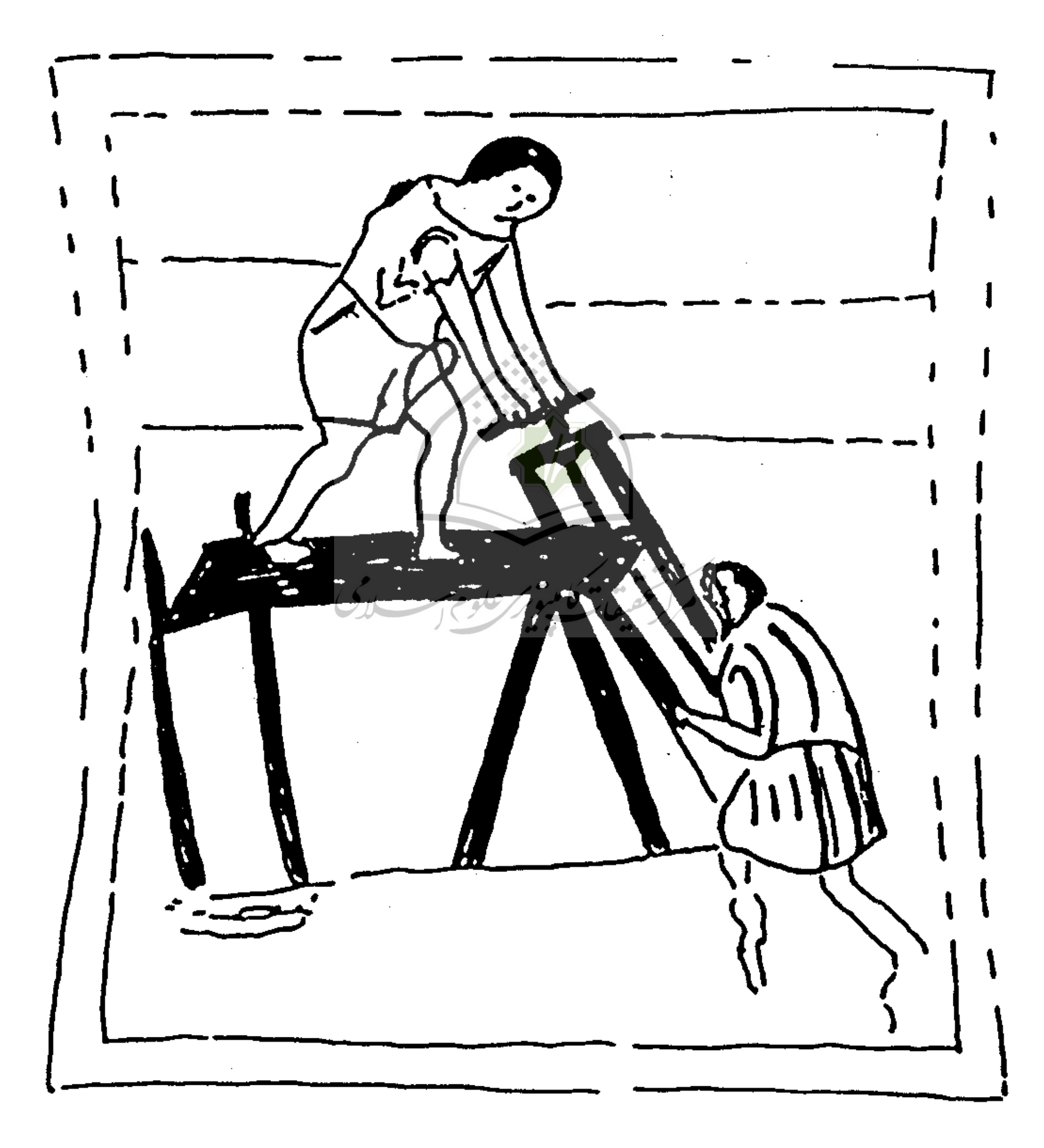
(شكل رقم ١)



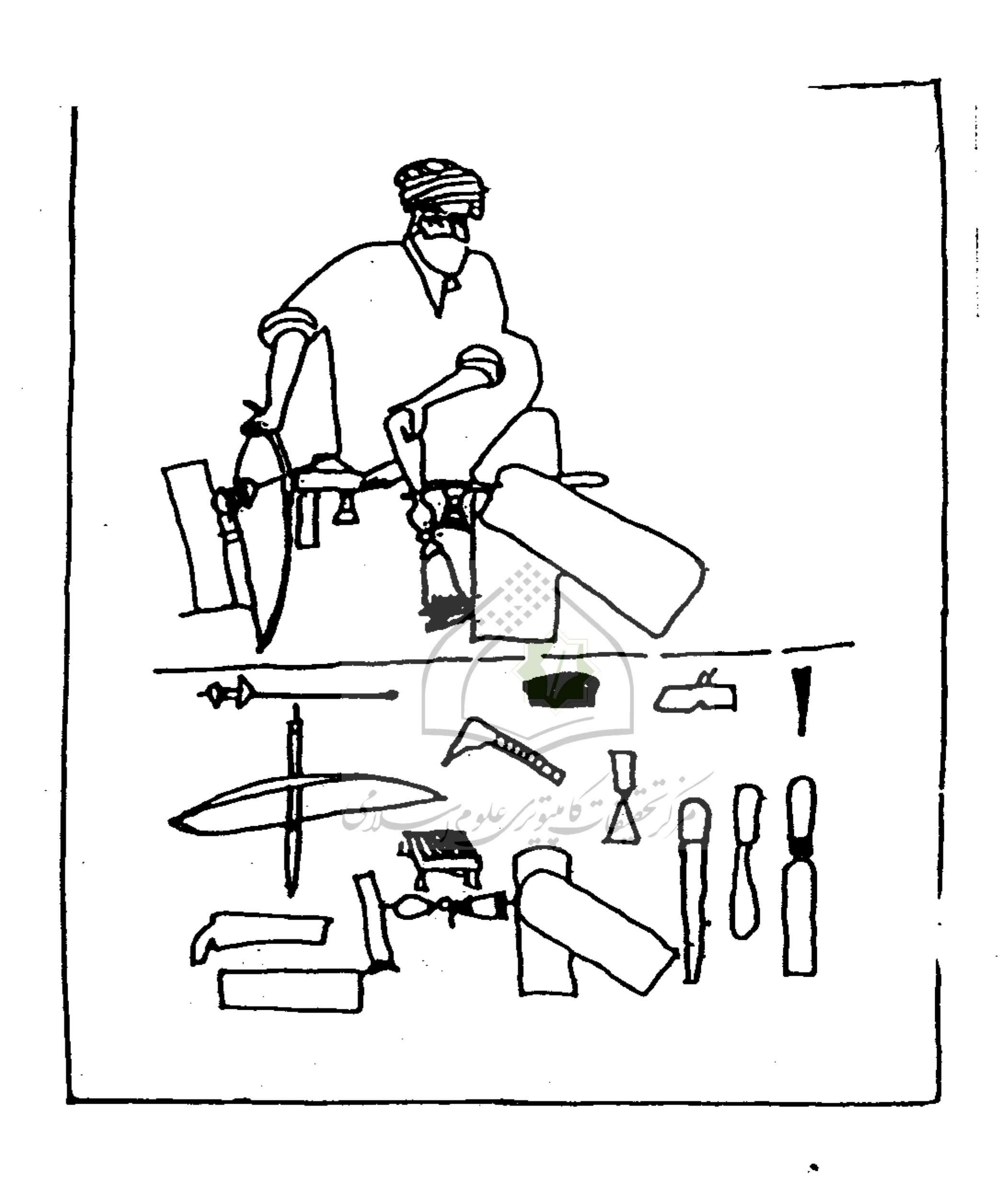
(شکل رقم ۷)



(شكـل رقـم ٨)



(شكل رقم ٩)



(شکـل رقم ۱۰)

- ٩ -

ملابس نساء قبل الإسلام

د/ عبد العزيز حميد صالح
كلية الآداب/ جامعة بغداد


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

((ملابس نساء العرب قبل الاسلام))

الدكتور عبد العزيز حميد صالح
الاستاذ في كلية الآداب / جامعة بغداد

ان المخلفات الاثرية المكتشفه حتى الآن في شبه جزيرة العرب والتي تعود الى العصر السابق للاسلام قليله جداً ان لم تكن نادرة ، ويعزى السبب في ذلك بشكل اساس الى قلة الحفائر الاثرية ، هذه الحفائر التي لم تأخذ طابعها الجدي الا في السنوات الاخيرة . ولم تجر التنقيبات الاثرية ، باستثناء هضبة اليمن الا في مواقع محدودة جداً من شبه الجزيرة العربية (١) . ونتيجة لذلك يمكننا القول بأن الموضوع الخاص بملابس العرب قبل الاسلام ، اي التي تعود الى الحقبة الزمنية القريبة من عصر الرسالة النبوية الشريفة هو من الموضوعات غير اليسيرة بسبب قلة الوثائق المادية . فلابد للباحث هنا من الرجوع الى المصادر الادبية خاصة الشعر الجاهلي حيث نجد من حسن الحظ الكثير من الاشارات الى ملابس العرب .

ان من تمحيص ما وصلنا من الشعر وغيره من النصوص التي ترجع الى تلك الحقبة الزمنية يمكن الجزم بأن الاشارات الى ملابس المرأة عصرئذ هي اكثر من تلك التي لها علاقة بملابس الرجل . وربما السبب في ذلك يعود الى طبيعة القصيدة في الشعر الجاهلي التي تبدأ عادة بالغزل والتشبيب . فكثيراً ماكان الشاعر يجنح الى وصف حبيبته وما كانت ترتديه من ملابس او تستعين به من حلي . لقد كانت المرأة توحي للشعراء دوماً بالخيال والمرجال بالطموح .

ويمكن القول من دراسة النصوص ان المرأة قد شاركت الرجل في كثير مما كان يرتديه من ملابس ، وان كانت الملابس النسائية تتسم في معظم الاحيان بما يتلاءم مع ذوقها وطبيعتها الانثوية سواء كان ذلك في رقه تلك الملابس او في الزخرفة او الاصباغ المختلفة.

---

(١) ان من اهم تلك الحفائر الاثرية تلك التي تقوم بها جامعة الرياض في الوقت الحاضر في موقع (الفاو) التي تقع في النهاية الشمالية للربع الخالي على بعد خمسين كيلومتراً جنوب المنطقة التي يخترق فيها وادي الدواسر جبل طويق . وقد تبين نتيجة الحفائر انه كان مركزاً قديماً من مراكز التجارة الهامة في شبه جزيرة العرب . وقد كشفت الحفائر ان للمدينة اسوار منيعة مشيدة بالحجارة الصلدة .

ان من الملابس التي شاركت المرأة الرجل فيها الازرار او المئزر . وهو قطعة مربعة او مستطيلة من نسيج سميت مئزرا ان لف المرء بها القسم الاوسط أو الاسفل من البدن (٢) ، او ازارا ان وضعه على كتفيه او اتشح به . ولاشك ان اكثر الازر النسائية شيوعاً ، سواء كان ذلك في العصر الجاهلي او ماتلاه من العصور ، الازر المتميزة ببعض ضروب الزخرفة او التي كانت تتسم بالالوان اي المصبوغة غير البيضاء والتي لم يكن الرجل يستسيغها . كذلك اتسمت ازر النساء في كثير من الاحيان بالاستحداثات او الاضافات فكثيراً مايذكر ان بعض تلك الازر كانت تنتهي في حواشيها السفلية باهداب طويلة .

كذلك اشتركت المرأة مع الرجل باستعمال ضروب مختلفة من البرود . والبرد قطعة من نسيج صوفي اصغر قليلا من الازار كان يستعمل نفس استعمال الازار اي يؤتزر او يتشح به . وكان غالباً ما تغزله ربات البيوت لكسوة بعض افراد الاسرة او قد يباع في السوق ان تطلبت الضرورة ذلك او ان كان فائضاً عن الحاجه .

وشاركت المرأة الرجل ايضاً في الاستعانه ببعض انواع الجباب خاصة الرقيقة النسج منها . والجبه كساء خارجي مقطع ومخيط مفتوح من جهته الا مامية تشد لفقتاه في العادة بالازرار . وكثيراً ماكانت الازرار تصنع من الخشب ، وقد وردت اشارة الى ذلك في ان بعض ثياب ابي بكر الصديق (رض) كانت

---

(٢) يقول امرؤ القيس : -

وهي اذاك عليها مئزر والابيت جوار من لعب

تثبت ببعضها بعيدان خشب (٣) . غير اننا لاندري شكل تلك الازرار الخشبية ، . كما انه ليس من المستبعد ان بعض الازرار كانت تصنع من الخيوط القوية المبرومه المعقودة ، تخاط خياطة محكمة في حافة احدى لقفتي الجبة لتثبت عن طريق ثقب صغير في حافة اللقفه الاخرى . حيث ان لدينا الكثير من الامثلة على جبب ذات ازرار من هذا الطراز وصلتنا صور لها في بعض منمنمات المدرسة العربية في التصوير الاسلامي والتي ترجع الى العصر العباسي منها في منمنة من منمنات مخطوطة مقامات الحريري والمؤرخة في سنة ٦٣٤ هجرية (١٢٣٧ م) المحفوظة في المكتبه الوطنية بباريس (شكل -١-) (٤) .

كما ان كثيراً ماكانت للجبه بطانه وبشكل خاص الجبال الثقيله المستعمله في فصل الشتاء . (٥)



---

(٣) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ١ / ٢٤٩ .

(٤) عكاشة ، ثروت ، فن الواسطي ، ظهر الورقة ٦٣ .

والعبيدي ، صلاح ، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي ، شكل ١١٥ .

(٥) يرى الدكتور صلاح العبيدي ان مايرتديه الرجل هنا هو قميص وليس جبه .

(العبيدي ، صلاح ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣) .

(٦) نمرود واسمها القديم (كالحو) والذي ورد في التوراة بصيغه (كالح) . وهي ثاني العواصم الاشورية . اسست ايام الملك الاشوري شيلمنصر الاول (١٢٧٣ - ١٢٤٤ ق . م) .

(باقر ، طه ، سفر ، فؤاد ، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، الرحلة الثالث ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٩) .

7. Rogers, Cuneiform Paralles to the oed Testament, pp. 357 359.

ومهما يكن من امر فقد مثلت السيدة العربية في المنحوته الجدارية وقد ارتدت جبه قصيرة او عباءة فوق قميص او درع نسوي يصل في الطول الى منتصف الساقين تقريباً وينتهي في اسفله باهداب طويلة وتتلفع السيدة كذلك بخمار سميك يحيط بعنقها ورأسها و جزءا من ظهرها وصدرها مضفياً شيً من الاحتشام على مظهرها العام (شكل - ٢) . ولاشك ان الفنان الاشوري الذي قام بنحت تلك الجدارية لم يكن قد جنح به الخيال او تجاوز حد المعقول في اضفاء جانب الاحتشام على مظهر السيدة العربية بل استلهم الموضوع من واقع حال حرائر نساء العرب عصرئذ بدليل ان الاشوريين قد خلفوا لنا ضمن منحوتاتهم ورسومهم العشرات من رسوم النساء فلا نجد بين تلك المنحوتات نساء يتلفعن بالخمر سوى في المنحوته موضوع البحث . والواقع ان الخمار كان شائعاً جداً بين نساء العرب في مملكة الحضر والذي يشهد على ذلك العديد من تماثيل النساء المكتشفة في الحفائر الاثرية التي تمت في موقع مدينة الحضر والمحفوظة اليوم في المتاحف العراقية . منها على سبيل المثال تمثال الاميرة دشفري (شكل - ٣) وآخر لابنتها سمي (شكل - ٤) . فيلاحظ ان السيدتين في كلا التمثالين ترتديان الملابس الطويلة وتضعان على راسيها خمراً تهبط الى اسفل الظهر (٩) ويلاحظ الامر نفسه في تمثال اخر يعد من اجود واروع نماذج النحت المكتشفه في الحضر وهو تمثال السيدة (ابوبنت دميون) حيث نجد ان خماراً ينسدل من فوق قلنسوتها او تاجها ليصل الى أسفل ظهرها (شكل - ٥) (١٠) . كذلك نجد في تمثال آخر وهو للسيدة سمي بنت عجا ان خماراً كبيراً ينسدل من اعلى قلنسوتها ايضاً ليصل الى اسفل ظهرها . ويبدو من الدف الذي تحمله السيدة سمي في يدها اليمنى انها كانت احدى مرتلات المعبد الاول لمدينة الحضر الذي وجد تمثالها هذا مودعا فيه (شكل - ٦) ، ومهما يكن من امر فان هذا التمثال ، كذالك التماثيلالنسوية الثلاث الاخرى التي سبقت الاشارة اليها ، يرتقي من الزمن الى القرن الثاني او مطلع القرن الثالث الميلادي . (١١) .

---

(٨) وكان رسول الله (ص) قد غزا بنفسه (دومة الجندل) في السنة الخامسة للهجرة وذلك قبل معركة الخندق بامد وجيز (الطبري ، التاريخ ، ٢ / ٥٦٤) وفي السنة التاسعة للهجرة ارسل اليها غازياً الصحابي خالد بن الوليد (رض) على رأس جيش من المسلمين فاق بملكها اكيدر بن عبد الملك وكان نصرانياً فصالحه رسول الله على الجزية (محمد علي قطب ، مختصر السيرة النبوية لابن كثير ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣) .

(٩) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر ، شكل ٢٤١ .

(١٠) المصدر السابق ، شكل ٢١١ .

(١١) المصدر السابق ، شكل ١٧٤ .

ومن القرن الثاني والثالث الميلادي ايضاً كشفت الحفائر الاثرية في مدينة عربية عريقة اخرى تسبق الاسلام وهي مدينة تدمر الواقعة خرائبها اليوم في منتصف المسافة تقريباً من مدينة دمشق ونهر الفرات عن العديد من تماثيل النساء العربيات . (١٢)

ومما تجدر ملاحظته ان الفنانين قد وضعوا على رؤوس بعض هذه التماثيل خمراً تنسدل من فوق قلنسوة عالية ولتهبط الى اسفل الظهر حيث تمسك المرأة بطرف منه او بطرفيه ليكون شبيهاً بالعباءة الخليجية القصيرة المستخدمة في الوقت الحاضر . من الامثلة على ذلك تمثال للسيدة المسماة (امات) الذي اكتشف في مقبرة مدينة تدمر والذي يعود في نحته الى الحقبة الزمنية الواقعة بين القرنين الثاني والرابع الميلادي والمحفوظ اليوم في متحف اللوفر بباريس (شكل – ٧) (١٣) . او ان الخمار ينسدل من فوق عصابة كما هو الحال في تمثال نصفي للسيدة شابا والذي يعود في صناعته الى القرن الثاني الميلادي والمحفوظ كذلك في متحف اللوفر بباريس (شكل – ٨) (١٤) .



(١٢) يعتبر غالبية سكان مملكة تدمر من العرب على الرغم من انهم كتبوا بالارامية حيث ان القلم العربي ، والذي يعرف بالقلم العربي الشمالي ، لم يكن قد اخترع بعد . فالتدمريون شأنهم شأن الانباط قبائل عربية نزحت الى المناطق الواقعة شرق ارض كنعان بعد سقوط الدولة البابلية الحديثة بأمد وجيز والذي ساعد على تقدم دولة تدمر انها كانت تقع على اهم الطرق التجارية عصرئذ ، فكانت على اتصال باسواق العراق وما يتصل بها من اسواق الهند والخليج . كما كانت على اتصال باسواق حوض البحر الابيض المتوسط . ومن اشهر ملوكها الملك اذينه الذي استطاع ان يلحق هزيمة منكرة بجيوش الملك الساساني شابور الاول عند نهر الفرات في حدود سنه ٢٥٠ م حيث ولى الملك الساساني من ارض المعركة مذعوراً تاركاً امواله وحرمه غنيمة للملك اذينة وجيشه . ومن مشاهير عظماء هذه الدولة ايضاً الزباء التي كانت وصية على ابنها وهب اللات اعتباراً من تاريخ ٢٦٧ م والتي اظهرت مقدرة فائقة في ادارة شؤون المملكة فخاف منها الرومان فارسلوا جيشاً لمحاربتها واستطاعت بقواتها ان تهزم الجيش الروماني مما شجعها على ارسال جيش لفتح مصر فانتزعتها من ايدي الرومان . انتهت هذه الدولة الشجاعة على يد الرومان في سنة ٢٧٢ م بعد ان جندوا لمحاربتها جميع قواتهم .

(عبد العزيز حميد ، صلاح العبيدي ، الفنون العربية الاسلامية ، ص ٣٦ – ٣٨)

13. Ghirshman, R., Iran, Parthian and Sassanian, P. 82, PL. 94.

14. Igid., P. 80, PL. 92.

واذا انتقلنا الى شبه جزيرة العرب قبل الاسلام نجد الكثير من الاشارات في المصادر الادبية وبشكل خاص في الشعر الجاهلي فالخمار ، كما جاء في المعاجم اللغوية العربية القديمة ، لباس حشمة استخدم لستر الرأس والعنق والجزء العلوي من الصدر حيث تغطي به المرأة شعر الرأس وتلف ذيله على الانف والفم (١٥) . وجاء في المعاجم ايضاً انه حجاب لستر الوجه من جذر الانف ويشد الى الرأس ا على الجبين من كل جانب (١٦) . ويذكر ابن سيدة في (المخصص) ان الخمار « اية قطعة قماش استخدمتها المرأة لستر راسها وعنقها حيث ان اللفظة في اللغة تعني الستر، فيقال خمرت المرأة راسها اذا غطته فكل ماغطته فقد سترته » (١٧) .

لقد كان الخمار شائعاً جداً بين نساء العرب في العصر الجاهلي في شبه جزيرة العرب والواقع ان الحرائر من النساء ابان ذلك العصر كن يتسترن بالخمر عند مقابلة الغرباء ، وقد روى ان النبي محمد (ص) راى نساء قريش يوم فتح مكة يلطمن وجوه الخيل بخمرهن . (١٨) واذا كان الخمار شائعاً جداً عند نساء العرب القريب من عصر النبي علية السلام فقد كان شائعاً كذلك في فجر الاسلام عند المسلمات ايضاً .

(١٥) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خمر .

(١٦) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١٧) نفس المصدر ، والجزء والصفحة

(١٨) وكان قد قال في هذا المعنى شاعر النبي حسان بن ثابت (رض) في قصيدة يهجو بها المشركين قريش منها هذين البيتين : –

عزمت بنيتي ان لم تراها   تثير النقع موعدها جزاء

ينازعن الاعنة مسرجات   تلطمهن بالخمر النساء

(القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ٣ / ٦٢) .

هذا ومن المعروف انه قد وردة اشارة واضحة الى الخمار كلباس حشمة في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى : قل للمؤمنات ليغضضن من ابصارهن ، ويحفظن فروجهن ولايبدين من زينتهم الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ... (١٩) الى آخر - الاية الكريمة . والجيب في الآية الكريمة تعني فتحة الرقبة من قميص المرأة او درعها . ويروي عن عمر بن الخطاب (رض) عن ام المؤمنين عائشة (رض) عن رسول الله (ص) قوله : اذا وضعت المرأة خمارها في غير بيت زوجها هتكت مابينها وبين الله (٢٠) . ويكتب الامام مالك عن عائشه (رض) كانت تصلي في الدرع والخمار . وان حفصة بنت عبد الرحمن دخلت على عائشة « وعلى حفصة خمار رقيق فشقته وكستها خماراً كثيفاً (٢١) ولاشك ان الخمار قد استمر قيد الاستعمال كلباس احتشام خاص بحرائر العرب في فجر الاسلام فلم تكن المرأة المسلمة لتكشف راسها الا للحرم منها . فقد ذكر المدائني ان معاوية بن ابي سفيان دخل ذات يوم على امرأته ومعه خصي ، وكانت مكشوفة الرأس فلما رات معه الخصي غطت رأسها .(٢٢) ويروي عن عمر بن عبد العزيز (رض) قوله : ولعمري مارخص للنساء في وضع خمرهن منذ امرن أن يضربن بهن على جيوبهن . (٢٣)

ومع ذلك فيبدو ان الخمار كان خاصاً يلبس الحرائر من نساء العرب . فقد ذكر عن عمر بن عبد العزيز انه كتب لولاته في الامصار « ان لاتلبس امه خماراً ولايتشبهن بالحرائر » (٢٤) ومن طريف مايروي بشأن الخمار في العصر الاموي قصة ذلك التاجر العراقي الذي قدم المدينة المنورة من الكوفة بخمر ليبيعها فباعها كلها الا الخمر السوداء اللون التي لم يجد لها راغبات فشكا امره الى الشاعر مسكين الدرامي فنظم ابياتاً منها : -

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا صنعت براهب متعبد
ردي عليه صلاته وصيامه لاتقتليه بحق دين محمد

فلم تبق في المدينة المنورة ظريفة الاابتاعت خماراً اسود حتى نفذ ماكان مع التاجر العراقي منها . (٢٥)

---

(١٩) صورة النور ، آية ٣١ .

(٢٠) الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣ / ١٩٢ .

(٢١) الليثي ، الموطأ ، ص ٦٥٥ .

(٢٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤ / ٢٤٧ .

(٢٣) عبد الله بن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٨ .

(٢٤) ابن سعد ، ٥ / ٢٨١ .

(٢٥) الاصبهاني ، الاغاني ، ٣ / ٤٥ .

ولدينا من هذا العصر صورة جدارية لامرأة ترتدي خماراً بشكل واضح وذلك ضمن الرسوم الجدارية لقصير عمره في بادية الشام (٢٦) ، كما يلاحظ في بعض تزاويق المخطوطات التي ترجع الى العصر العباسي ان من بينها رسوماً لنساء عليهن خمر مثبته برؤوسهن عن طريق شريط من قماش ملون او حبل (شكل - ٩) (٢٧) . فليس من المستبعد والحالة هذه ان المرأة العربية في العصر الجاهلي كانت تستعين احياناً في تثبيت الخمار على الرأس بحبل شأنها في هذا شأن الرجل الذي كان يعقل المنديل او الكوفية على رأسه بحبل مبروم والذي صار يعرف فيما بعد بالعقال . ونستدل من النصوص ايضاً ان بعض النساء كن يعتجرن بالخمار على رؤوسهن (٢٨) . والاعتجار يعني لفها على الرأس في شكل ضرب معين من ضروب العمائم .

ان الخمر المتداولة في العصر السابق للاسلام كانت مختلفة في احجامها واشكالها وذلك حسب طبيعة الاستعمال ، اي في الوسيلة التي تستر بها المرأة الرأس او الوجه حتى صار لكل ضرب من ضروبها اسم مميز خاص به . فمن انواع الخمر التي كانت شائعة عصرئذ (البرقع) والتي تعني في اللغة الغطاء او الستر . فبرقع الشيء يعني غطاء اي ستره . (٢٩) والبرقع ، كما جاء في المعاجم اللغوية ، قطعة مربعة او مستطيلة من القماش يلف بها الرأس والوجه . وليس من المستبعد ان يكون فيها ثقبان عند موضع العينين (٣٠) . واذا كان البرقع صغيراً سمي (وصواص) . ويتميز هذا الضرب من البراقع بان له خيطان تشدهما المرأة في قفا رأسها . (٣١) ومن انواع البراقع ايضاً ماكان يعرف بـ (البخنق) . والذي قيل فيه بانه « خرقة تلبسها المرأة فتغطي راسها ماقبل منه ومادبر غير وسط راسها » (٣٢) . وذكر ايضاً انه « خرقة تتقنع بها المرأة وتخيط طرفها تحت حنكها وتخيط خرقة على موضع الجبهة » (٣٣) . ومايزال العديد من النساء في بعض دول الخليج العربي يستعملن هذا النوع من البرقع وان اختلفت التسمية .

(٢٦) قصر صغير ينسب للخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ ٧٠٥ - ٧١٤ م) يقع على بعد خمسين ميلاً شرق مدينة عمان يتميز بالرسوم الجدارية الرائعة التي زينت بها جدرانه الداخلية .

27. Ettinghausen, R., Arab Painting. P. 91.

(٢٨) الزمخشري ، محمود بن عمر ، ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، ٣ / ٣٥٧ .

(٢٩) ابن سيده ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٨ .

(٣٠) صلاح العبيدي ، المصدر السابق ، ص١٧٦

(٣١) ابن سيده ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٨ .

(٣٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣٣) ابن سلام ، الغريب المصنف ، مخطوط في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ١٦٢٨ ، ورقة ٧ .

ومن الاشكال الاخرى لاغطية الرأس عند النساء العربيات قبل الاسلام (النقاب) والذي يختلف عن البرقع في كونه شفافاً او مخرماً حيث يمكن ان يرى ملامح الوجه من خلاله . (٣٤) وقد وصف بانه قطعة من قماش مربعة او مستطيلة تضعه المرأة على وجهها بعيداً بعض الشيء عن العينين . اما اذا لفته حول الفم فيسمى عندئذ باللثام . (٣٥)

ومن اغطية الرأس الاخرى(القناع) و (المقنعة) ، ويقول اصحاب المعجم فيها بانها الثوب الذي تقنع به المراة راسها . ويذكر صاحب المخصص بأن المقنعة كالقناع الا ان الاخير اوسع قليلاً (٣٦) . وكثيراً ماكانت حرائر العرب من النساء يتقنعن عند مقابلتهن الغرباء (٣٧) .

(ابن سكيت ، شرح ديوان عروه بن الورد ، ص ١٥٥) .

كذلك كان العديد من فرسان العرب في المواسم والجموع وفي اسواقهم الشهيرة كسوق عكاظ يتقعون ايضاً ، ليس اسوة او تشبهاً بالنساء وانما لم يكونوا يريدون ان يتعرف عليهم خصومهم (٣٨) . لقد استمر القناع او المقنعة قيد الاستعمال حتى نهاية العصر العباسي على الاقل (٣٩) . ومع ذلك فنحن لانجد وصفاً شافياً للقناع او المقنعة في المعاجم اللغوية ، غير انه يترأي لنا من رسوم ترجع الى العصر العباسي ان قناع المرأة عصرئذ كان عبارة عن قطعة من النسيج الناعم تغطي به المرأة الرأس وجزءا من الصدر . (شكل – ١٠) (٤٠) .

واعتبر الجلباب ايضاً من ملابس الحشمة عند المرأة العربية في الجاهلية وفي فجر الاسلام . وقد وصف بانه « ثوب اوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة ظهرها وصدرها (٤١). ويبدو ان المراة كانت تغطي بالجلباب ايضاً راسها زيادة في الاحتشام عند خروجها من منزلها .

---

(٣٤) ابن سيده ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٩ .

(٣٥) المصدر السابق ، ٤ / ٣٩ .

(٣٦) نفس المصدر والصفحة ٤ / ٣٨ .

(٣٧) قال عروه بن الورد : فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع

(٣٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣ / ١٠١ .

(٣٩) ان من طريف مايروي بشأن القناع او المقنعة ان ابراهيم بن المهدي خرج من منزله عند فشل حركته او عصيانه ضد المأمون في بغداد سنة ٢١٠ هجرية (٨٢٥ م) في صحبه امراتين وفي زي امرأة متقنعاً بمقنعة محاولاً الهرب من وجه المأمون وقد قبض عليه بسبب العطر الفواح الذي يستعمله ويعرف به (الطبري ، التاريخ ٨٥ / ٦٠٣) .

40. Ettinghausen, R. AraLPainting, P. 126.

(٤١) ابن سيده ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٩ .

فنحن نجد ان استخدام الجلباب لم يكن مقتصراً تماماً على النساء في العصر الجاهلي او في فجر الاسلام ، اذ يذكر لنا بعض اصحاب السير ان الكثير من المهاجرين من الصحابة صاروا يلتحفون او يأتزرون بجلابيب نسائهم بعد هجرتهم الى المدينة المنورة ، وقد يعزي السبب في ذلك الى الحاجة والعوز ثم الى طبيعة شكل الجلباب نفسه . فالجلباب قطعة كبيرة مستطيلة او مربعة من قماش غير مقطع يمكن للرجل اذا شاء ان يستعين بها كأزار او رداء او ربما حتى عمامة . والواقع ان الجلباب لايختلف عن الازار او الرداء الرجالي الا وكما يبدو في انه اكثر رقة ونعومة من ازر واردية الرجال اضافة الى الالوان المختلفة التي تضفي عليه مسحة نسائية خالصة . ولهذا السبب نجد ان المنافقين في المدينة قد نعتوا المهاجرين من الصحابة عموماً بـ (اهل الجلابيب) وذلك من باب التشهير بهم (٤٦) .

ومن الملابس الاساسية عند المرأة في العصر السابق للاسلام سواء كان ذلك في الهلال الخصيب او في شعبة جزيرة العرب الكساء المعروف بالدرع او الدراعة لقد كان هذا الكساء شائعاً جداً بين نساء العرب على اختلاف طبقاتهن قبل الاسلام مكسوه من جمال الحسن جلباباً والدرع من مقطعات الثياب وصف بأنه « ثوب تجوب المرأة وسطه وتجعل له يدين فرصية » . (٤٧) وقيل فيه ايضاً انه يقابل القميص الذي يرتديه الرجل ، وقد سمي احياناً بقميص المرأة ، كما سمي في بعض الاحيان بالمدرع (٤٨) . والدرع يهبط في العادة الى مادون اخمص القدم وليمسح وجه الارض في بعض الاحيان (٤٩)



---

(٤٦) الواقدي ، المغازي ، ٤ / ٤١٦ .

(٤٧) ابن منظور ، مادة درع .

(٤٨) قال في ذلك كعب بن زهير ضمن قصيدته الشهيرة التي مدح فيها رسول الله (ص) قال في ذلك كعب بن زهير ضمن قصيدته التي مدح فيها رسول الله (ص) :

تفري اللبان بكفيها ومدرعها

مشقق عن تراقيها رعابيل

مشق عن تراقيها رعابيل تفري اللبان بكفيها ومدرعها

(ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ١٦٠) .

(٤٩) قال امرؤ القيس :

دخلت على بيضاء جم عظامها تعفي بذيل الدرع اوخت مودتي

(مختارات من الشعر الجاهلي ، ص ٩١)

ومن الامور المعروفة ان الجلباب لباس نسوي عربي معروف تماماً منذ العصور القديمة ، فقد كشفت الحفائر الاثرية في مدينة تدمر عن العديد من المنحوتات التي تصور لنا مجاميع من النساء العربيات يرتدين الجلابيب منها في منحوته جدارية ترجع الى القرن الاول او الثاني الميلادي لمجموعة من النساء وقد ارتدين القمص الطويلة ومتلفعات بالجلابيب تماماً ، وقد ادنين الجلابيب على وجوههن حيث غطت الراس والصدر والظهر ، فلم يعد يظهر منهن شيٌ في المنحوته سوى الملابس الخارجية المحتشمة (شكل - ١١) (٤٢) . والواقع انهن في مظهرهن هذا يذكرننا بالآية الكريمة :« ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » . (٤٣) وقد فسرت الآية القرانية الكريمة بان الجلابيب - جمع جلباب - « هي الملاءة التي تشتمل بها المرأة اي يرخين بعضها على الوجوه اذا خرجن لحاجتهن الاعينا واحدة وذلك ادنى الى ان يعرفن بانهن حرائر فلا يؤ ن
-١٣- -١٤-

ومن الامور المعروفة ان الجلباب لباس نسوي عربي معروف تماماً منذ العصور القديمة ، فقد كشفت الحفائر الاثرية في مدينة تدمر عن العديد من المنحوتات التي تصور لنا مجاميع من النساء العربيات يرتدين الجلابيب منها في منحوته جدارية ترجع الى القرن الاول او الثاني الميلادي لمجموعة من النساء وقد ارتدين القمص الطويلة ومتلفعات بالجلابيب تماماً ، وقد ادنين الجلابيب على وجوههن حيث غطت الرأس والصدر والظهر ، فلم يعد يظهر منهن شيٌ في المنحوته سوى الملابس الخارجية المحتشمة (شكل - ١١) (٤٢) . والواقع انهن في مظهرهن هذا يذكرننا بالآية الكريمة :« ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » . (٤٣) وقد فسرت الآية القرانية الكريمة بان الجلابيب - جمع جلباب - « هي الملاءة التي تشتمل بها المرأة اي يرخين بعضها على الوجوه اذا خرجن لحاجتهن الاعينا واحدة وذلك ادنى الى ان يعرفن بانهن حرائر فلا يؤذين بالتعرف لهن بخلاف الاماء فلا يغطين و جوههن (٤٤) . وعلى الرغم من ان الجلباب لباس نسوي واضح كما تشهد بذلك الاثار المكتشفة في البتراء او في غيرها ، او كما جاء في القران الكريم اوفي الشعر الجاهلي (٤٥) .

---

42 1 chirshman, R., OP. cit. P. 85, PL. 96.

(٤٣) سورة الاحزاب ، آية ٥٩ .

(٤٤) تفسير الجلالين ، ص ٥٦٣ .

(٤٥) من ذلك قول الاعشى : -

هركولة مثل دعص الرمل اسفلها

(الصبح المنير ، ٢٢٨) .

ومن الامثلة الواضحة على الدرع في الآثار العربية التي ترجع الى العصر السابق للاسلام مانجده في تماثيل السيدات في مدينة الحضر حيث ان معظم السيدات في هذه التماثيل عليهن الدرع الفضفاض والذي يهبط ليتجاوز اخمص القدم . من ذلك مانلاحظه في تمثال السيدة ابو بنت ديمون الذي سبقت الأشارة الية ، فنجد ان درعها يتصل بالارض كما انه له كان يصلان الى الرسغين (شكل - ٥) . ونجد الامر نفسه في تمثال الامير دشفري وابنتها سمي وهما التمثالان اللذان سبقت الاشارة اليها ايضا في هذا البحث . كذلك فان معظم تماثيل النساء التي وصلتنا من حفائر مدينة تدمر عليهن الدرع ايضاً . منها في تمثال لسيدة مجهولة يرتقي الى القرن الثاني او الثالث الميلادي والمحفوظ اليوم في متحف دمشق (٥٠) .

هذا وقد زادت المرأة المسلمة في طول الدرع ايام النبي محمد عليه افضل الصلاة والسلام حيث يروي لنا صاحب المسند الامام احمد بن حنبل (رض) انه اذا ارادت امرأة ان تتخذ درعاً ارخت شيئاً منه فجعلته ذيلاً له مستندا في ذلك على رواية عن ام سلمة زوج النبي (ص) انها سالت رسول الله عن سبل المرأة ازارها او ثوبها فقال لها انه عليها : « ان ترخية شبراً وان خشيت ان يتكشف عنها ارخت ذراعاً (٥١) . وليس من المستبعد ان بعض دروع النساء في فجر الاسلام كانت لها حلول من جهة الظهر التي كانت تغلق بازرار او خيوط خاصة مثبته في جانبي من جهة الظهر ، اذ يذكر الواقدي روايته مفادها ان امرأة عربية مسلمة من اهل يثرب قدمت الى سوق بني قينقاع فجلست عندصائغ في حلي لها ، فجاء رجل من يهود قينقاع من ورائها ولاتشعر فحل درعها الى ظهرها بشوكة فلما قامت انحل الدرع » . (٥٢)

50 chirshmann, op. cit., p. 80. pl. 92.

(٥١) احمد بن حنبل ، المسند ، حديث رقم (٥٦٣٧) .

ومن طريف مايروى بشان الدرع ان بعض المغنيات والقيان في العصر الجاهلي كن يوسعن جيب درعهن - اي فتحة الرقبة - لسبب ذكره لنا الشاعر طرفة بن العبد في قوله : -

رحيب قطاف الجيب منها رقيقة

بجس الندامى بضه المتجرد (٥٣)

كما عملت بعض الغواني اوالقيان عصرئذ على فتق جزء من اكام درعهن لنفس الغرض الذي اشار اليه طرفة بن العبد حيث ينشد في ذلك الاعشى :-

ودارعة بالمسك صفراء عندنا

بجس الندامى في يد الدرع مفتق

اذا قلت غني الشرب قامت بمزهر

يكاد اذا دارت له الكف ينطق (٥٤)

وكثيراً ماكان الدرع يزين بالاصباغ والزخارف المختلفة فهناك اشارات الى دروع صفراء (٥٥) ، او مورسة (٥٦) ، او موردة (٥٧) .



(٥٢) الواقدي ، المغازي ، ص ١٧٦ .

(٥٣) الانباري ، القصائد السبعة الطوال ، ص ٦٨

(٥٤) الصبح المنير ، ص ١٤٧ .

(٥٥) الاصفهاني ، الاغاني ، ١١ / ١٧١ .

(٥٦) نفس المصدر ، ٢ / ٢٨٦ .

(٥٧) ابن سعد ، ٨ / ٣٥٨ .

لقد كانت المرأة ترتدي اضافة الى الدرع او فوق الدرع في بعض الاحيان كساءاً صغيراً بلا كمين كان يسمى (الصدار) . وقد عرفه بعض اصحاب المعاجم بأنه « كساء تلبسه المرأة على صدرها » اوانه « برد او ثوب يؤخذ فيشق في وسطه ثم تضعه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين » (٥٨) . وقد وردت اشارات له في الشعر الجاهلي . (٥٩) وليس من المستبعد ان الكساء القصير الخالي من الكمين الذي كان يستعمل في العراق حتى امد ليس بالبعيد والذي يعرف بـ (الصديري) هو الصدار القديم نفسه او قريباً منه .

لقد كان الدرع يرتدي في العادة من قبل المرأة البالغة المتكاملة النمو اما الصغيرات في السن اللواتي لم ينضجن بعد فكن يرتدين دريعاً خفيفاً يسمى (المجول وقد قيل فيه ايضاً انه قميص من غير اكام . (٦٠) وقد سمي الدريع ايضاً (البقيرة) والذي عرف انه « برد يشق فيلبس بلا كمين ولاجيب » (٦١) .

ومن الالبسة النسائية الاخرى الكثيرة الاستعمال ابان ذلك العصر (الملاءة) والتي وصفت في المعاجم اللغوية بانه « الريطة وهي الملحفة » (٦٢) وانها قطعة كبيرة نسبياً مع النسيج تتألف من لقفتين ترتديها النساء في العادة فوق الدرع عندما كن يرمن الخروج من بيوتهن . والملاءة النسائية على الاغلب كساء طويل قد يصل في الطول الى اخمص القدم او اكثر من ذلك ، ولها احياناً مايشبه الذيل تسحبه المرأة عند السير (٦٣) او



(٥٨) لسان العرب ، مادة (صدر) .

(٥٩) قال فيه عروة بن : -

ترى كل بيضاء العوارض طفلة

تعزي اذا شال السماك صدارها

(ديوان عروة ، ص ١٣١) .

(٦٠) لسان العرب ، مادة (جول) .

(٦١) ابن منظور ، اللسان ، ١ / ١٥٥) .

(٦٣) انشد في هذا امرؤ القيس : -

فعن لنا سرب كأن نعامة عذارى دوار في الملاء مذيل

(ديوان امرؤ القيس ، المعلقة) .

تنتهي في اسفله باهداب طويله تمسح وجه الارض ، (٦٤) وكذلك يبدو لي ان الملاءة كساء قريب في شكله وطريقة استعماله من الكساء المعروف بالقباء او ربما قريب ايضا من الجبة . وقد يكون الفرق الاساس بين الكسائين ان الملاءة رقيقة ناعمة ومزينة بالزخارف والاصباغ المختلفة في حين ان الجبة او القباء اكثر سمكا واقل زخرفة . ومع ذلك استخدمت الملاءة من قبل الرجال ايضا في فجر الاسلام حيث تشير النصوص التي بين ايدينا الى استعمالها من قبل عدد من مشاهير الصحابة وغيرهم . وربما لهذا السبب ذهب استاذنا الدكتور صالح احمد العلي الى الاعتقاد بان الملاءة كانت من البسة الرجال في الحجاز والكوفة والشام (٦٥) .



(٦٤) وانشد امرؤ القيس لنا هذا المعنى ايضا : ـ

فبينا نعاج يرتعين خيلة   كمشي العذارى في الملاء المهدب

(الصعيدى ، مختارات من الشعر الجاهلي ، ص ٣٤٧) .

(٦٥) من النصوص التي اوردها الدكتور صالح احمد العلي والتي يتضح منها ان الرجل قد استعمل الملاءة في فجر الاسلام وفي العصر الاموي : « كانت على عثمان ملاءة صفراء (انساب الاشراف ٤/٥) وكان لابراهيم النخعي ملاءتين صفراوين يخرج فيهن الى المسجد الجامع ويجمع فيها (سعد ١٩٧/٦) » وكان سعيد بن المسيب يلبس ملاءة شرقية (سعد ٩٧/٥) وكان على الوليد الثاني ملاءة مطيبة (اغاني ٥٢/١) . (العلي ، صالح احمد ، الالبسة العربية في القرن الاول الهجري ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦ ، ص١٤) .

ومن قطع الملابس الاخرى التي استعانت بها المرأة في العصر السابق للاسلام (المرط) . وعلى الرغم من شيوع هذا اللباس بين نساء العرب في العصر الجاهلي وفي فجر الاسلام (٦٦) ، فاننا نجد صعوبة بالغة في تحديد شكله او نوع القماش الداخل فيه او في طريقة استعماله حيث ان وصف المرط في المعاجم العربية القديمة مضطرب وغير واف ، لقد اكتفت بعض المعاجم بالقول انه كساء خز او صوف يؤتزر به (٦٧) ، او انه كساء خز او صوف او كتان وقيل هو الثوب الاخضر (٦٨) او انه اي كساء او مطرف يشتمل به كالملحفة . او انه مجرد ازار خز . كما ذكر ايضاً ان اللفظة يمكن ان تطلق على جميع الثياب غير المخيطة (٦٩) . وعلى ذلك فقد نستطيع الجزم بان المطرف من قطع الملابس غير المقطعة التي كانت النساء تشتمل او تتلفع او تتوشح به شأنه في ذلك شأن الازار او الرداء . فقد روى عن رسول الله (ص) انه : « كان يغلس بالفجر فينصرف النساء متلفعات بمروطهن مايعرفن من الغلس » .(٧٠)

ويمكن القول ايضاً ان المرأة كانت تسبل المرط اذا ائتزرت به شأنها في هذا شأن الازار حيث كان يصل في الطول الى اخمص القدم او يزيد حيث يروي ان النساء احياناً كن يتعثرن عند مشيهن بمرطهن « (٧١) من ذلك مايذكر من أن بثينة قد جاءت وهي تتعثر بمرطها » (٧٢) . وبثينة هذه هي الشاعرة بثينة بنت حبا بن ثعلبه العذري المتوفاة سنة ٨٢ هجرية (٧٠١ م) والتي اشتهرت بحب الشاعر جميل العذري لها والمتوفي سنة ٨٢ هجرية وذلك قبل وفاة بثينة ببضعة اشهر . والمرط مثل بقية ملابس النساء كثيراً ما كان يزين بالالوان او بضروب مختلفة من الزخرفة (٧٣) .

(٦٦) لقد شارك الرجل المرأة في استعمال هذا اللباس في بعض الاحيان (ابن منظور ، مادة (مرط) .

(٦٧) الثعالبي ، فقه اللغة ، ص ٢٤٦ .

(٦٨) نفس المصدر السابق .

(٦٩) نفس المصدر ، مادة (لفع) .

(٧٠) الالتفاع والتلفع هو الالتحاف بالثوب وهو ان يشتمل به المرء حتى يجلل جسده ، اي غطاء . وتلفعت المرأة بمرطها اي التحفت به .

(نفس المصدر ، مادة « لفع ») .

اماما يتعلق بالملابس الداخلية للمرأة في العصر السابق للاسلام ، ونعني بذلك الثياب التي كانت ترتديها المرأة تحت ثيابها الاساسية مما يلي جسدها ، فقد اتسمت تلك الثياب على العموم بالرقة والنعومة . وقد اطلق على تلك الثياب احياناً بالشفوف وذلك لما تتميز به من رقة وشفافية وقد انشد في ذلك الاعشى :

-خاشعات يظهرن اكسية الخز ويبطن دونها بشفوف (٧٤)

وقد سميت ملابس المرأة الداخلية في بعض الاحيان بلباس المتفضل ، اي مافضل او بقي من لباس المرأة عند خلعها لملابسها الرئيسة فلم يبق الا ثوب واحد لتنام فيه ، وقد انشد في ذلك امرؤ القيس : -

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل

ومنها ايضاً لباس (الجسد) والذي يكتب عنه ابن سيده بانه الثوب الذي يلي جسد المرأة وتعرق فيه ، وقد سمي بالجسد لانه « اجسد بالزعفران واشبع بصبغته » . (٧٥)

ومما له علاقة بملابس المرأة الداخلية في العصر الجاهلي ماكان يعرف بالوشاحين . وهما شريطان منظومان في العادة بالاحجار الكريمة اوشبه الكريمة تشدهما المرأة على جسدها احدهما بين عاتقها الايمن وكشحها الايسر ، وتشد الثاني بين عاتقها الايسر وكشحها الايمن بشكل متقاطع . ويقول في الوشاحين ابن سيده بانهما « خيطان من جوهر منظومان مخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر ... ، اوشحة ووشح » (٧٦) .

---

(٧١) عساف ، احمد محمد ، خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر ، ص ٢٤٠ .

(٧٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ٨ / ١٥٤ .

(٧٣) يروي عن النبي (ص) انه خرج ذات يوم من منزله وعليه مرط مزخرف (ابن منظور ، اللسان ، مادة مرط) .

(٧٤) الصبح المنير ، ص ٢١١ .

(٧٥) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٧٦) ابن سيدة ، المخصص ، ٤ / ٣٧ .

وكثيراً ماوردت اشارات الى الوشاحين في الشعر الجاهلي (٧٧) ،وورد ايضاً ماكان يعرف بالوشاح المفصل والذي فسره لنا الاعلم الشنتمري بأنه الوشاح الذي حشيَ بين خرزه بالذهب او الجوهر . (٧٨) ويبدو لي من غربلة الشعر الجاهلي ان المرأة العربية لم تكن لترتدي الوشاحين الا في المناسبات السعيدة المفرحة وبشكل خاص في حفلات الزواج . ومن البديهي والحالة هذه ان العروس بشكل خاص كانت تزين نفسها بالوشاحين ليلة عرسها ان كانت ميسورة الحال حتى ان سمي الوشاحان في بعض الاحيان ابان ذلك العصر برداء العروس .

(٧٩)



(٧٧) يقول علقمة الفل :

صفر الوشاحين ملئ الدرع

كأنها رشأ في بيت ملزوم

(الصعيدي ، مختارات في الشعر الجاهلي ، ص ١١٦) .

(٧٨)يقول امرؤ القيس في معلقته : —

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضت اثناء الوشاح المفصل

(الاعلم الشنتمري ، اشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ١ / ٣٢) .

ولاشك ان المرأة العربية قد استمرت في الاستعانة بالوشاحين عبر العصور الاسلامية المتلاحقة ، سواء كان ذلك في فجر الاسلام او في العصر الاموي حيث وردت اشارات واضحة له في الشعر عصرئذ . كذلك وصلتنا نماذج مصورة منه في رسوم وتماثيل بعض السيدات من العصر الاموي وعليهن الوشاحان بشكل واضح ، منها في تمثال من الجص اكتشفته البعثة التنقيبية التي حفرت في الموقع المعروف بقصر هشام في خربة المفجر والذي يعتقد انه شيد ابان حكم الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣) . (٧٩) كذلك استمر الوشاحان قيد الاستعمال من قبل المرأة في العصر العباسي حيث نجد كثيراً من الاشارات الادبية والتاريخية اليه في المصادر الادبية والتاريخية الخاصة بذلك العصر ولاندري مايدعو الى الدخول في تفاصيلها في هذا البحث .

ومع ذلك فان الوشاحين ، كما يبدو ، لم يعودا مقتصرين في العصر العباسي على السيدات فقط ، اذ صرنا نقرأ انه بات يكرم بها ايضاً القادة العسكريين الكبار كضرب من ضروب انواط الشجاعة . فمن اقدم الاشارات الى ذلك مايكتبه المسعودي في حوادث سنة ٢٥٢ هجرية (٨٦٦ م) من ان الخليفة العباسي المعتز بالله (٢٥١ – ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ – ٨٦٩ م) توج ووشح بوشاحين اخاه القائد العسكري المعروف ابا احمد الموفق اثر فتحة بغداد وانتصاره على جيش المستعين بالله المتواجدة هناك في تلك السنة (٨٠) ومع ذلك فنحن لانجد في المعاجم اللغوية العربية القديمة تعريفاً للوشاح مغايراً لما يكتبه ابن منصور وابن سيده والزبيدي او الفيروز ابادي والذي يكتب عنها بانها « كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر واديم وعريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها » (٨١)

HamiLton, Khirgat aL, Mifjar, Oxtoyd, 1956

---

(٧٩) يقول الاعشى : –

وبرد برد رداء العروس وفرقت بالصيف فيه العبيرا

وقد جاء في تفسير البيت من قبل ابي العباس ثعلب بان المقصود برداء العروس هنا هو وشاح المرأة .

(الصبح المنير ، ص ٦٩) .

(٨٠) كشفت ، طلال هذا القصر دائرة الاثار الفلسطينية في سنة ١٩٣٥ ، ويقع على مقربة من مدينة اريحا في فلسطين ويتميز هذا القصر بالتماثيل الجصية الكثيرة المكتشفة فيه كذلك بفسيفساء الارضيات والتي تعتبر من اروع ضروب الفسيفساء الاسلامية المكتشفة حتى الآن .

(٨٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤ / ١٦٤

(٨١) الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ١ / ٣٥٥ ، مطبعة مصر ماد (وشح)

((مراجـــع البحـــث))

١ - ابن حنبل ، احمد : مسند الامام احمد بن حنبل ، خالي من مكان وزمان الطبع .

٢ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن : المنتظم ، طبعة حيدر اباد ، ١٣٥٧ .

٣ - ابن الجوزي ، بعد الرحمن : صفوة الصفوة ، طبعة حلب ، سنة ١٩٦٩ / ١٩٧٣ م.

٤ ١ ابن سعد ، محمد : الطبقات الكبير ، ليدن سنة ١٩١٧ م .

٥ - ابن السكيت ، يعقوب بن اسحق : شرح ديوان عروة بن ورد العبس ، طبعة الجزائر سنة ١٩٢٦ م.

٦ - ابن سيدة ، علي بن اسماعيل : المخصص ، طبعة بيروت .

٧ - ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صابر ، بيروت ، ١٣٧٤ هـ .

٨ - ابن هشام ، عبد الملك : السيرة النبوية ، طبعة مصر ، ١٩٣٦ م .

٩ - الاصفهاني ، ابو الفرج : الاغاني ، طبعة مصر ، ١٣٤٥ - ١٣٨١ هـ .

١٠ - الانباري ، محمد بن القاسم : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، طبعة مصر ١٩٦٣ م ،

١١ - الثعالبي ، عبد الملك بن محمد : خاص الخاص ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

١٢ - الجاحظ ، عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، مصر ، ١٩٤٨ م .

١٣ - العبيدي ، صلاح حسين : الملابس العربية الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي ، بغداد ١٩٨٠ م .

١٤ - الصعيدي ، عبد المعتال : مختارات من الشعر الجاهلي ، مصر ١٩٦٨ م .

١٥ - العلي ، صالح احمد : الالبسة العربية في القرن الاول الهجري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣ ، ١٩٦٦ م .

١٦ - الواقدي م محمد بن عمر : كتاب المغازي ، طبعة جامعة اكسفورد ، ١٨٦٦ م .

١٧ - باقر ، طه . فؤاد : المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، الرحلة الثالثة ، بغداد ، ١٩٦٦ م .

١٨ - حميد ، عبد العزيز صور من البسة العرب في العصر الجاهلي ، مجلة سومر ، المجلد ٣٨ ، ١٩٨٢ م .

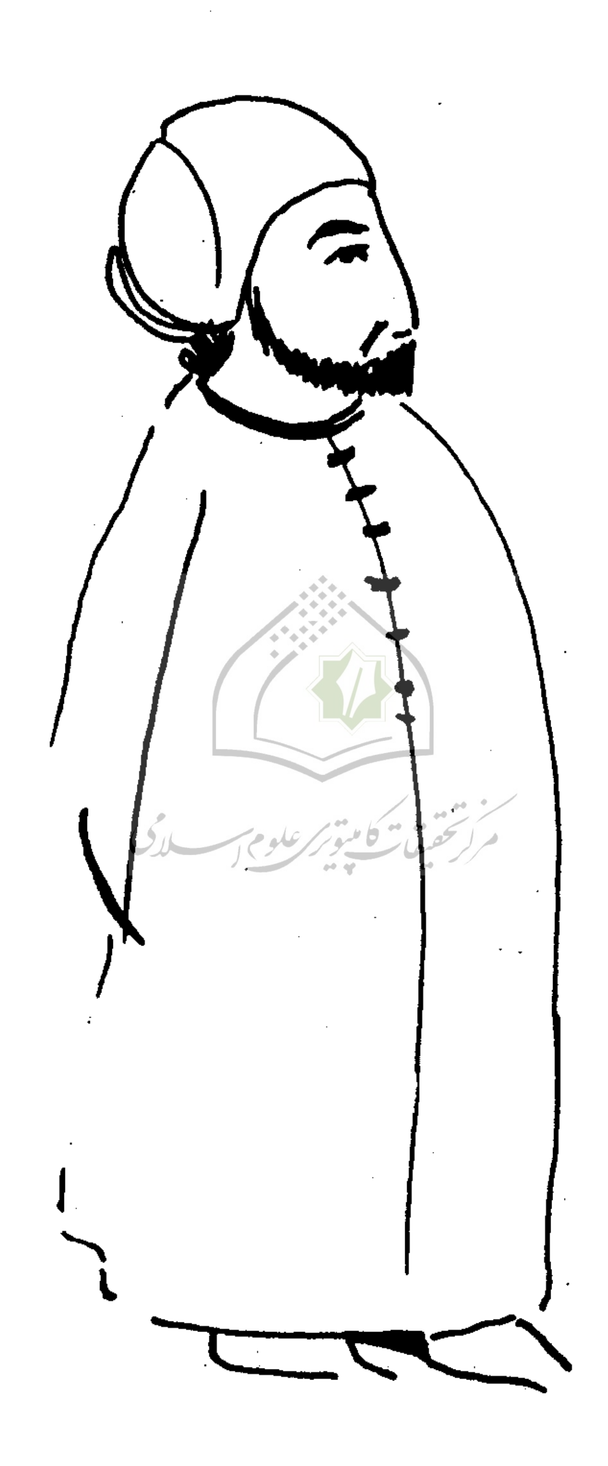
١٩ - حميد ، عبد العزيز والعبيدي ، صلاح حسين : الفنون العربية الاسلامية بغداد ، ١٩٧٩ م .

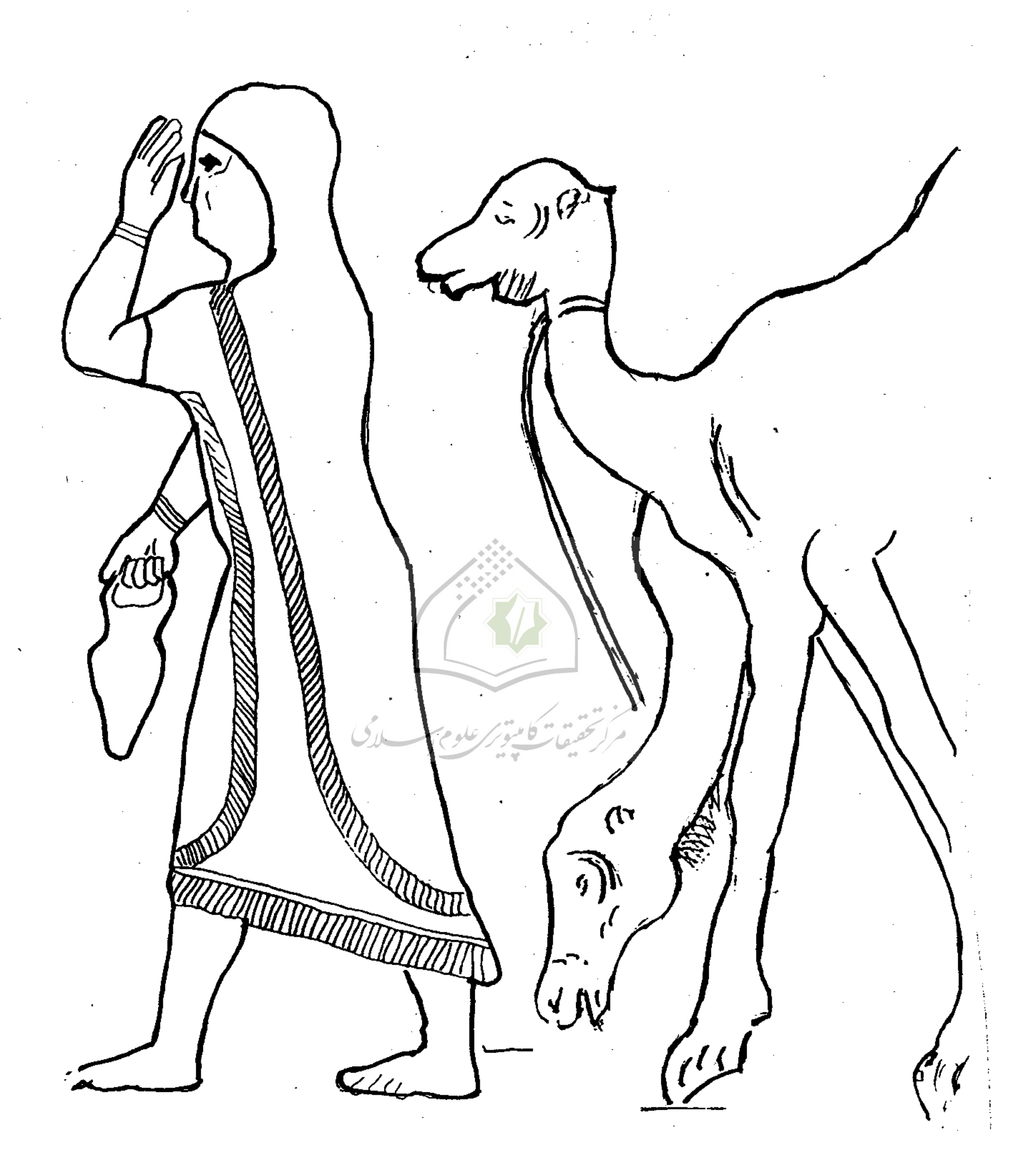
٢٠ - ديوان الاعشى ، الصبح المنير في شعر ابي نصير ، تحقيق رودلف كير ، طبعة بيانه ، ١٩٢٧ م .

٢١ – ديوان امرو القيس ، طبعة بيروت ، ١٩٧٦ م .
٢٢ – ديوان اوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
٢٣ – دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة اكرم علي بغداد ١٩٧١ م .
٢٤ – سفر ، فؤاد ومصطفى ، محمد على : الحضر ، بغداد ١٩٧٤ .
٢٥ – عساف ، احمد محمد : خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر ، ١٩٨٦ م .

26 - Barnett, R. D., Assyrian Palace Reliefs.
27 - Chirshman, R., Iran, Parthian and Sassanian. Iondon, 1962.
28 - Ettinghausen, R., Arab Painting, Shira, 1962.
29 - Rogers, cuneiform Parallels to the old Testament.
j





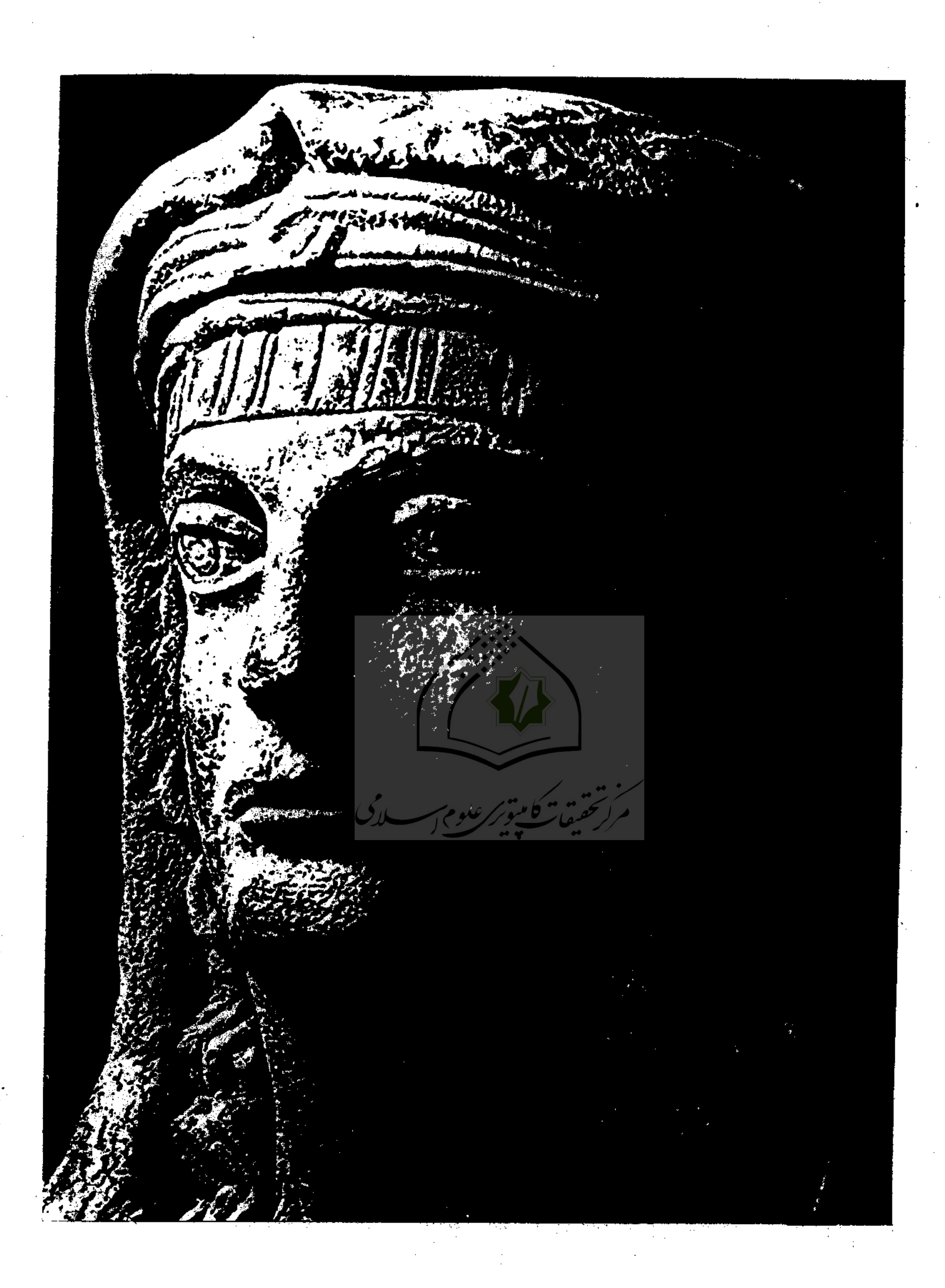


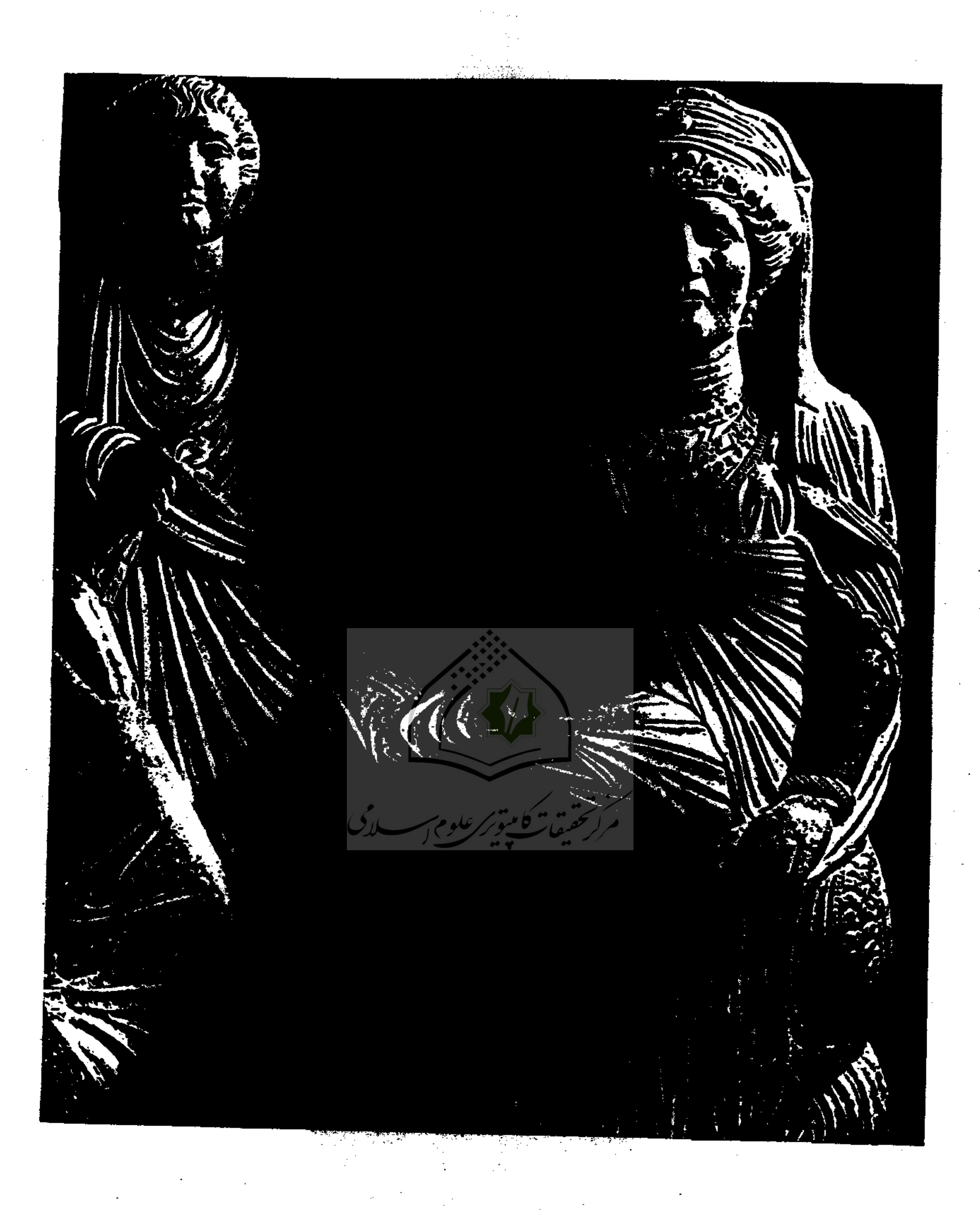









مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

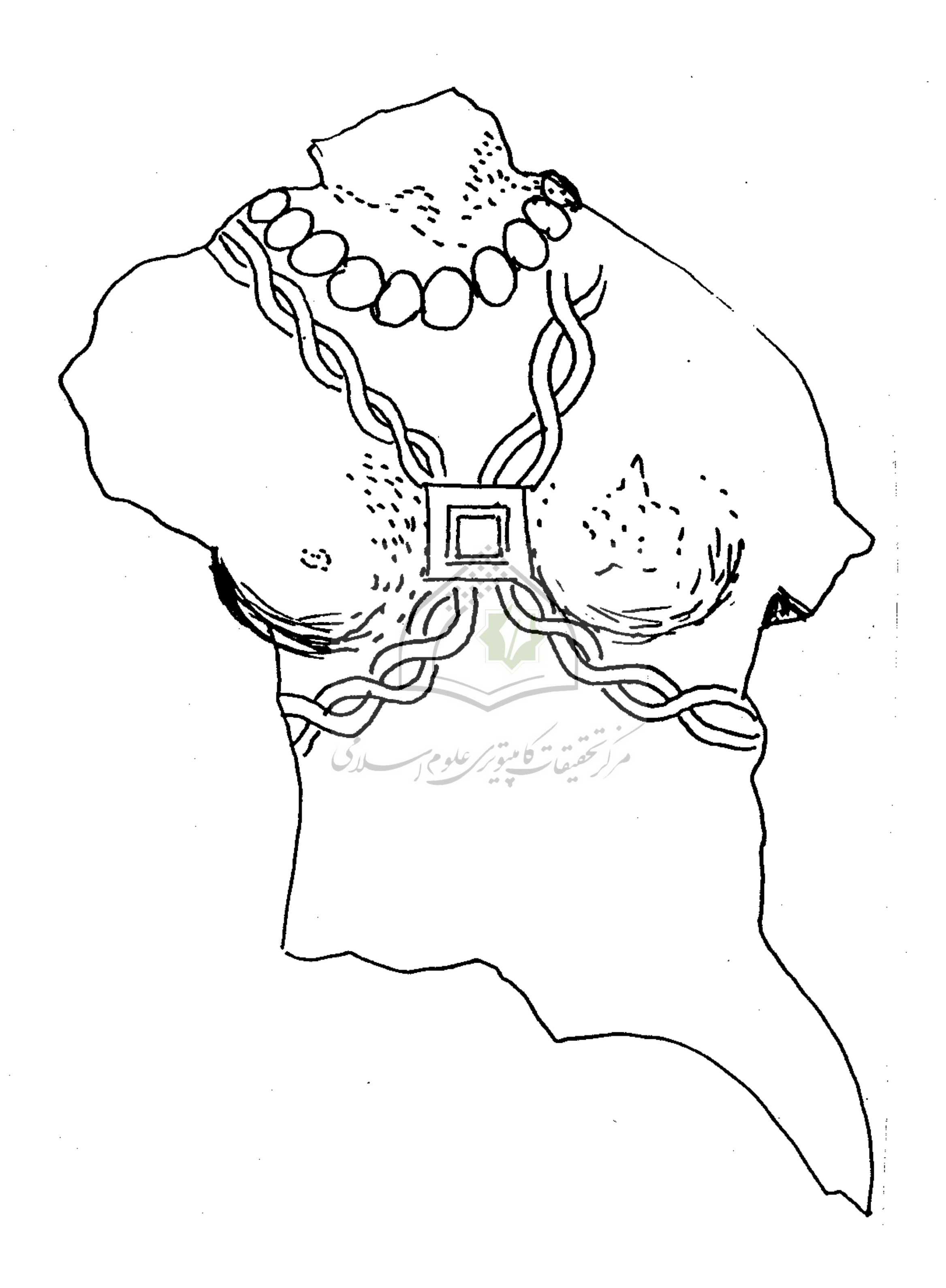












- ١٠ -

دور الشباب العربي في التنمية الأجتماعيّة والأقتصاديّة

د / عادل عبد الحسين شكارة

كلية الآداب / جامعة بغداد


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

المحتويات

﴿ دور الشباب العربي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ﴾(١)

الفصل الاول

التكامل الاجتماعي والأقتصادي والحضاري العربي

من المعروف ان الوطن العربي من اقصاه الى اقصاه يمثل وحدة اقتصادية واجتماعية وحضارية متكاملة تتوافر فيها مقومات التكامل والتكامل لهذه الوحدة ، ونسلم ايضاً بأن الوضعية الأجتماعية الحرجة التي يمر بها المجتمع العربي تستلزم من الناحية النظرية والعملية الأخذ بالخطة التكاملية الأرتقائية لتحقيق اهداف الامة وفق مخطط عربي شامل يساير مظاهر التقدم في جوانبه المختلفة ونسلم ايضاً بأن العمل السياسي والنشاط الداخلي في الحقل الثقافي والأجتماعي ان يتساندا ويتكاملاً على نحو يمكن تفادي الآثار الأجتماعية والنفسية للسياسات التجزيئية والتيارات الأنعزالية والدعوات والانفصالية وعلى صورة يمكن معها النظر في تحقيق المصالح المحلية باعتبارها جزءاً من المصالح العربية القومية .

وفي يقيننا ان محاولة الألتقاء من رسم ابعاد المخطط العربي الذي يضمن توجيه الطاقات البشرية والأمكانات المادية والحاجات الاجتماعية بطريقة علمية نحو تحقيق وحدة الامة وحريتها وكفايتها ورفاهيتها هي المشكلة الجذرية للوضعية الاجتماعية للامة العربية .

ومن الواضح ان تحديد ابعاد هذا التكامل ومجالاته يرتكز اساساً على مدى شعور المجتمع بكيانه في اطار مايرسمه من سلم ارتقائي ومايمثله من اعداد نفسي وتربوي ووعي جماعي بتراثه وحضارته في مجالات التكامل التالية :


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

١) التكامل الأقتصادي

التكامل الاقتصادي هو وضع الموارد الاقتصادية للامة العربية البشرية منها والمادية في خدمة اهداف الآمة العربية بحيث تكون كل خطة شاملة ومدروسة لكل قطر من الاقطار العربية والاستفادة من امكانات الاقطار الاخرى والافاده من امكاناتها لأنجاز عملية التنمية التي تساعد على تغيير واقع المجتمع من حلقة التخلف الى افاق التقدم (٢) .

ان هذا التوجه يتطلب تكثيف العمل المشترك في وقت يسري الاضطراب الاقتصادي والتقدمي لدول العالم ويصحبه المزيد من استنزاف ثروات الدول النامية من قبل سياسات الدولة الصناعية ومما يزيد من خطورة الوضع العربي هو مايواجهه من سلبيات تشكل بالاساس تحديات مصيرية امام التكامل العربي وهي مايلي :

١) التجزئه التي فرضها وكرسها الاستعمار وحدد مجالات العمل العربي المشترك .

٢) وجود ثغرات عميقه من التخلف الاقتصادي والاجتماعي واحياناً تكون عميقة مما يساعد على تعميق الفجوه التنموية الداخلية والخارجية والتفاوت الاجتماعي .

٣) الوجود الاستعماري الذي يهدد كيان الوطن العربي المتمثل في الاستعمار الاستيطاني الصهيوني .

٤) الغزو الفكري الهادف الى طمس الشخصية العربية وانعكاساته على الذاتية العربية لهياكل وانماط السلوك الاقتصادي .(٣)

ان التصدي لهذه التحديات التي تواجة الوطن العربي لابد من تكامل العمل العربي لنمكن من مجابهتها وفق اللاساليب المناسبة والاتية :

١) الوحدة رداً على التجزئه

٢) التنمية الاقتصادية والاجتماعية رداً على التخلف .

٣) التحرير الشامل رداً على الاحتلال الاستيطاني والاستعماري .

٤) الأصالة العربية رداً على الغزو الفكري .

ومما يعزز هذا التصدي للتحديات التي تواجه الوطن العربي وجود مقومات تمكن هذه الامة من تحقيق التكامل الاقتصادي والعمل العربي المشترك تتمثل فى :

١) وحدة الانتماء والتراث الحضاري المشترك وجود العديد من المصالح الامنية والاقتصادية والاجتماعية .

٢) العمل العربي المشترك اكثر جدوى وفاعلية من جزئياته القطرية التي تعمل كل منها على حدة .

٣) ان تعظيم القدرات الذاتية من علمية وتكنووجية وانتاجية لايكون الامن خلال العمل العربي المشترك .

٤) الأمن العربي ضرورة مصيرية وهو بحاجة لقاعدة اقتصادية وبيئة احتماعة لاتوفرها الا التنمية الشاملة

ومن خلال هذا الواقع فان اهداف العمل العربي المشترك ياخذ المسارات التالية : -

١) تحرير الانسان العربي وتحديد قدراته المبدعة للمشاركة في عملية التنمية .

٢) التاكيد على الامن القومي بما فيه الأمن الفكري والامن العسكري والامن الغذائي والأمن التكنلوجي .

٣) التصدي للوجود الصهيوني ذى الطبيعة الاستعمارية واي من المخططات الهادفة الى امتصاص الوجود العربي في بعض مناطقه .

٤) تقليص الفجوه التنموية داخل الوطن العربي .

٥) تسريع التنمية الشاملة المتسعة بتحقيق اكبر قدر من الاعتماد القومي على الذات والمحققة لاكبر قدر من التناسب بين القطاعات والاقاليم .

ولكن بالرغم من اهمية التكامل الاقتصادي والعمل العربي المشترك لابد من الاشاره الى وجود التحديات التالية التي تجابه عملية التكامل وهما : -

١) الاول يتعلق بطراز التنمية العربية تطلعاً . وهو في جوهره حضاري فلسفي ، في كيفية تحقيق الانسجام بين طراز التنمية ومتطلباتها وبين روح التراث العربي ومعطياته ، وبمعنى اخر ان سجل التنمية العربية انصب على تحقيق التقدم المادي دون الالتفات الى تناقض هذا التطلع المادي مع جوهر التراث ، وبذلك اصبح الانجاز مادياً ولكنه يفقد قيمة الروحية .

٢) والتحدي الثاني يتركز على طبيعة الثروة النفطية وطرق استخدامها . بحيث تصبح وسيلة فعالة وجدية من اجل تحقيق الوحدة الاقتصادية .

٢) التكامل الاقتصادي والحضاري :

تعزز المقومات الاجتماعية والحضارية من عملية تكامل الوطن العربي اضافة الى تكاملة الاقتصادي حيث ينتظم المجتمع العربي في صورته الراهنة مجموعة سكانية متجانسة وبوحدة اتنولوجيا (تاريخ الشعوب والقوميات) تتمثل بصفة العروبة ، واللغة العربية والتراث الاجتماعي والحضاري المشترك والسنن والمتواضعات الأجتماعية وماتنطوي عليه من عادات وتقاليد واعراف اجتماعية (٦) . والحضارة تمثل (مثلاً مركباً) يعبر عن صورة الحياة المتميزة للجماعة اما الكونات الحضارية فهي :

أ / المحتوى التكنوجي - المرتبط بالوسائل التي يستغل بها الانسان العالم المادي .

ب / المحتوى الاجتماعي - الخاص بالنظام الأجتماعي وبالانشطة والمؤسسات الاجتماعية والمعتقدات والقيم والاهداف المستقبلية .

جـ / الروابط والعلاقات التي تسبب التحولات الحضارية باعتبار الحضارة نتاجاً عقلياً الى كونها (نتاج) وحركة ابداع وخلق (٧) .

فالحضارة العربية هي طريقة التي تميز المجتمع العربي عن المجتمعات الاخرى وبما يسود بها من تيارات دينية وروحية واداب وتراث شعبي او موروثات شعبية ومايتشر منه من ميول واذواق ومعايير اخلاقية وجمالية .

علاقة الشباب العربي بالتكامل الاقتصادي والاجتماعي

قد يبدو من المتعذر في بداية الامر ان نتحدث عن صلة ما الشباب بموضوع التكامل الاقتصادي والحضاري العربي ، ولكن الامر يظهر خلاف ذلك بالنسبة لاولئك الذين يؤمنون باهمية دور الشباب في التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي .

فليس هناك احد يستطيع ان ينكر دور الطلبة والشباب في مقارعة الاستعمار وانجاز مهمة التحرير السياسي لمعظم الاقطار العربية وليس هناك من ينكر دور الشباب في وعي الجماهير العربية .

فعلى صعيد الممارسة الفعلية فلقد كان الطلاب هم المبادرون في التصدي للاستعمار والقوى الغاشمه وهم الفئه التي تتحمل اعباء النهوض واليقظة ثم تحاول تعميمها على بقية الفئات والشرائح الاجتماعية الاخرى .

وقد يرجع دور الشباب في المساهمة والمشاركة الفعالة في بناء المجتمع والتصدي الى كونهم اكثر تحسساً بمظاهر الفساد التي انتابت وتنتاب مجتمعنا لانهم لم يتكيفوا بعد هذه المظاهر ولم يعتبروها قدراً لابد منه ، فاذا كانت الشرائح الاجتماعية الاخرى من غير الشباب تتكيف مع واقع مريض فان الشباب لايتكيف مع هذا الواقع انما يعانيه وان الشباب لاتلهيه مشاغل الحياة اليومية ومشاكلها عن التأمل في واقع مجتمعه ورصد سلبياته ومحاولة معالجته . والامر الثالث هو ان الشباب يكون دائماً سباقاً في اخذ الجديد والتعاطف مع الحداثه (٨) لهذا كان دوره فعالاً في بناء التكامل الاقتصادي والاجتماعي ومشاركاً فعالاً نتيجة لاحاسية بالواقع وطموحه في التطلع الى مستقبل افضل .

---

١ – من بحوث اللجنة الوطنية للسنة الدولية للشباب / مؤتمر الشباب الجامعي العربي المنعقد في بغداد ٧ – ١١ – شباط /

الفصل الثاني

الشباب والتنميـة

تمهيد :

الشباب في المجتمع يكون الغالبية من النسب المئوية فهم يمثلون في العراق مثلاً نسبة ٥٥ ٪ من الفئة العمرية ٩ – ٤٠ سنة خلال عام ١٩٨٤ من مجموع السكان العام البالغ عدده (١٥٠٧٧٩٧١) نسخة (١٩) ، وان اكثر من ٥٠ ٪ من سكان الوطن العربي من الشباب وبمعنى اخر فأن نصف الموارد البشرية تقريباً تعتمد عليهم لتنفيذ برامج التنمية الاجتماعيـة والاقتصـادية ، ولاريب انهم يستطيعون الأسهـام في عمليـة التنميـة بنصيب وافر اذا توفرت لهم البرامج التي تستخدم في اعدادهم لتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم ومن المعروف ان المجتمع الـذي تقع الكثرة من سكانة من الشباب بصورة خاصة هو المجتمع الـذي يتميز بـالحيويـة وقوة الانتـاج بخلاف المجتمع الذي تقل فيه هذه النسبة .

اضافة الى ان للشباب دوراً في القدرات والامكانيات الانتاجية للمجتمع باعتبارهم القوة الفاعلة والمؤثر ، وان قلتهم في المجتمع بالنسبة لبقية فئات المجتمع العصرية يؤدي الى خلل في طبيعة الحياة الاجتماعية .

وبالنظر لاهمية الشباب في التنمية والسلام والمشاركة فقد قررت الجمعية العامة في دورتها الرابعة والثلاثين عـام ١٩٧٩ تسمية عام ١٩٨٥ السنة الدولية للشباب واصبح موضوع الشباب محور اهتمام المنظمات الدولية والاقليميـة استعداداً للاحتفال بهذا العام وابراز دور الشباب في بناء المجتمع وتقدمة وتاكيداً لهذا الـدور وابراز لاهميتـه في التنمية سنؤكد على النقاط الآتية : –

١) دور فاعلية الشباب في التنمية

٢) الابعاد الواجب التعرف عليها لقياس دورهم في التنمية

٣) المبادئ والأسس التي يستند عليها دور الشباب في التنمية.

اولاً : دور فاعلية الشباب في التنمية :

لقـد اجمعت تقـارير الامم المتحـدة (١٠) على ان التنميـة الرشيـدة لابـد ان يشترك فيهـا الشبـاب على جميـع المستويـات ، بحيث ان لانعتبر الشبـاب بمثـابـة مواطنين منتجين في المستقبـل او اهـدافـاً ينبغي تطـويعهـا لمقتضيـات التكيف الاجتماعي ، بـل العمـل على اتـاحـة الفرص لهم للتعرف على ذواتهم بـاعتبـارهم فئـة [illegible] تمثل ثروة [illegible] تشكل عاملاً هاماً في عملية التنمية الاجتماعية .

ان مشاركة الشباب في التنمية ينبغي اعتباره جزءا لايتجزأ من المشاركة العامة في عملية التنمية ، وليس المقصود ان يكون هناك برامج محددة للشباب بل ان تكون مشاركتهم في كامل الحياة المحلية والقومية والدولية وينبغي ان تكون جزءاً من فلسفة المجتمع وسياسته تجاه الشباب وفي اطار هذه النظرة الشاملة يمكن وضع المشاريع العملية والنافعة ، والمشاركة بدون انخراط كامل لامغزى لها وبمعنى آخر لابد من ايجاد الفرص الملائمه لانخراط الشباب الكامل في جميع المجالات ذات الصلة بالتنمية (١١) .

اما بالنسبة لطبيعة التنمية الكفيلة باستيعاب مشاركة الشباب بشكل فعال ومجدي فلابد من ان تتمثل فيها بعض المقومات الرئيسية التي يمكن ايجازها كما يلي : -

١) التنمية عملية ارادية لصياغة بناء حضاري واجتماعي متكامل ومتوازن في اهدافه ونشاطاته ويتم ذلك من خلال التأكيد على كرامة الانسان وقدرته على الابداع وابراز هويته الحضارية العربية .

٢) التوظيف الامثل للموارد المتاحة ليصبح اعتماد التنمية بالاساس على الموارد الذاتية ، وتجعل الشباب هنا قطاعاً هاماً في مجال تنمية الموارد البشرية .

٣) العمل على اصلاح نظم وتوزيع الدخول وتوزيع الخدمات بما يحقق مزيداً من فرص العدالة الاجتماعية .

٤) السعي الى توفير متزايد لما تستلزمه تلبية الحاجات الاساسية للشباب في اطار خطة التنمية الشاملة من اجل اشباع الحاجات الاساسية للمواطنين .

٥) اعتماد التنمية الشاملة على اسس من التعاون والتكامل الاقتصادي في الاقطار العربية ، ولاريب ان مثل هذا الاتجاه نحو تحقيق التكامل الانمائي العربي له انعكاساته على اعداد الشباب وتهيئتهم لممارسة دورهم من وعي وادراك للاهداف والمصالح المشتركة .

ثانياً : المؤشرات والواجب التعرف عليها لقياس دورهم في التنمية :

ان تفحص مكانة الشباب في المجتمعات النامية ودورهم في التنمية واهمها يرتكز على توفر بعض المؤشرات المهمة لتكشيف هذا الدور في التنمية واهمها : (١٣)

١) فرص التعليم التي اتيحت للشباب ، لقياس ابعاد المشاركة لابد والتعرف على فرص التعليم التي اتيحت للشباب ، وبالتالي تطور دورهم في التنمية باعتبار ان بنائهم معرفياً وعلمياً يعني انهم اصبحو جزءاً اساسياً من طاقة العمل الاقتصادية .

٢) اتجاه الشباب : بحكم تكوين الشباب النفسي والاجتماعي وموقفهم ورفضهم بعض المعايير والمستويات التي يمارسها الكبار احياناً فانهم يتخذون موقفاً سلبياً ، وقد يؤدي ذلك الى تناقض بين طموح الشباب والواقع وما يساعد على عدم استقرار الشخصية الشبابية ، وان يتجه اتجاهاً مثالياً في تحقيق غاياته .

٣) النشاط والحيوية : يتسم الشباب باعلى درجة من النشاط والحيوية ، ويتجاهل احيانا بانه نتاج المجتمع الذي يعيش فيه ، ومثل هذه النظرة تساعد على التناقض بين الاساليب التقليدية للحياة والاساليب التي يسعى الشباب الى تأكيدها .
٤) النسق الثقافي المتميز : يميل الشباب الى تشكيل نسق ثقافي خاص بهم يعبر عن رغبتهم في التغيير ورفض كل ماهو تقليدي ، وقد لايتفق هذا مع النسق الثقافي العام للمجتمع مما يخلق تناقضاً بينهما .
٥) ابعاد سرعة معدلات التغيير الاجتماعي : ان التغير السريع يساعد احياناً على الفصل بين الماضي والحاضر ويجعل المستقبل بعيد المنال ، ويعزل هذا التغيير الكبار عن الشباب ، مما يزيد من اغتراب الشباب واللامبلاة بالتيارات الرئيسية للحياة .

ثالثاً : المبادئ والأسس الرئيسية لدور الشباب في التنمية

١) اعتبار الشباب مستقبل المجتمع مما يوجب مشاركتهم الفعالة في عملية تعزيز السياسات واتخاذ القرارات وتوفير الشروط الملائمة لهم .
٢) ان الهدف من مشاركة الشباب في عملية التنمية لاينبغي ان يفهم بانه مجرد محاولة لحل مشاكل الشباب ، وانما محاولة لظم جهودهم وطاقاتهم الى جهود وطاقات الجماعات الاخرى في المجتمع .
٣) اعداد استراتيجية لتحقيق اقصى قدر من مشاركة الشباب في المجتمع بحيث تقوم على اساس احتياجات الشباب ومطامحه خاصة لاولئك الذين لاتتاح لهم فرص التعليم والعمل .
٤) تعتمد الاستراتيجية مبدا التوسع في اقامة المؤسسات القاعدية ودعمها وهي تهدف الى تشجيع المشاركة الذاتية بدلاً من المشاركة القسريه.
٥) ينبغي ان يشارك الشباب مشاركة مباشرة في عملية صنع القرار في الوحدات الاساسية (القاعدية) للمجتمع والاسرة والمدرسة والعمل
٦) ينبغي ان تقام منظمات الشباب او المنظمات ذات الصلة بهم لخدمتهم والعمل على تحسين انشطتها القائمة والتوسيع في هذه الانشطة عن طريق المساعدة التقنية والمالية .
٧) دعم وتنمية الروابط بين منظمات الشباب على المستوى القومي والاقليمي والدولي من اجل تبادل الخبرات والمعلومات .
٨) اعتماد مبدا الدورات التدريبية في توعية الشباب باوضاعهم لكي يصبحو مدركين للحقائق المحيطة بهم .
٩) ينبغي الاعتراف بحق الشباب في الصحة والتعليم والعمل كأساس لمشاركتهم الكاملة والفعالة في التنمية .
١٠) العناية بالقيادات الشبابية ودورها في المشروعات المقامة في المجتمع المحلي .

الفصل الثالث

دور الشباب العربي في التنمية الأقتصادية

اولاً : النمو الاقتصادي واثر القوى العاملة المؤهلة (من الشباب) في هذا النمو : -

ان القوى العاملة المؤهلة بصورة عامة والشباب منها بصورة خاصة لها اثرها في طبيعه النمو الاقتصادي ويتمثل ذلك في :

١)الناحية التعليمية : فالقوى المؤهلة التي لها من الوسائل التعليمية من المعارف والمعلومات تمد الانسان بطاقة من العمل والانتاج .

٢) من الناحية التدريبية : القوى ذات المؤهل التدريبي تعطي احسن الطرق العلمية بسبب تأهيلها على العمل .

٣) من الناحية الفنية : حيث تمنح الانسان خبرات نضافة ومهارات ذاتية تمد حقل قدراته ومهاراته واليدوية بامكانات متقدمة .

٤) من الناحية السلوكية : فهي تعيد تشكيل سلوك الفرد وتصرفاته المادية والادبيه ، وتمنحه الفرص لاعادة النظر في مسلكة في العمل وتصرفاته في الوظيفه وعلاقاته مع زملائه ورؤوسائه ومرؤوسه .

يتضح من هذا اهمية هذه النواحي للقوى العاملة المؤهلة واثرها في النمو الاقتصادي ، ولاريب ان هذه النواحي ستصيب الشباب باعتبارهم الشريحة الاجتماعية الواسعة التي لها فرص التعليم والتدريب والاستعداد لتغير السلوك اكثر من غيرها وبالتالي يكون اثرها في الاداء في العمل والانتاج والنمو الاقتصادي بصورة عامة .

ثانياً : طرق تأهيل القوى البشرية (الشبابية) اللازمة للتنمية :

من الضروري ان يسير التدريب والتأهيل في خط متوازي مع النظام المدرسي من اجل اعداد الملاكات اللازمة من الشباب القادرين على القيادة والعمل .

ويسير التدريب والتأهيل في الوطن العربي بعدة اتجاهات منها : -

١) التأهيل المهني من خلال النظام العام للتعليم :

ويكون بحسب الظروف الموضوعية لكل قطر ومن خلال هذا النظام العام يجري اختيار القادرين على مواصلة التعليم المهني العالي المعدة في البرنامج الدراسي الاختصاصي ويجري هذا على ثلاثة صور وهي :

أ / صورة التعليم الرسمي في المعاهد الفنية سواء كانت علياً او متوسطة وتتمثل هذه في مجالات عدة تخدم التنمية منها المعاهد الزراعية والصحية والطبية والصناعية والتعليمية ، حيث الاهتمام في هذه المعاهد ينصب على الجوانب الفنية والعملية .

ب / التدريب خلال الدراسة حيث اخذت بعض الكليات الاهتمام بالجانب التدريبي خلال مراحل الدراسة سواء بالعطل الصيفية او خلال السنة الدراسية وبهذا يكون التأهيل والتدريب يسير جنباً مع التعليم في بعض الاقطار العربية .

جـ / التدريب بعد التخرج : حيث يتدرب الشباب خاصة الفنين منهم بعد الانتهاء من الدراسة الفنية (الصحية والزراعية والطبية وغيرها) وتعتبر هذه الدورات استكمالاً للدراسة النظرية حيث تمكن المتخرج من التأهيل للعمل في الميدان ومن امثلة ذلك الدورات الخاصة للالتحاق بمهنة التعليم او الاخصائيين الأجتماعيين او ممارسة العمل الطبي والزراعي وغيرها (١٤) .

٢) التدريب خلال الخدمة

ياخذ هذا التدريب عدة مستويات وهي : -

أ / تدريب العاملين من الشباب والذين لم يسبق لهم اي لون من التدريب المتخصص في ميادين عملهم ولكي تضمن وصولهم الى مستوى معين من المهارة والدراية في العمل ، او قد يكون الشباب قد تلقي قدراً معيناً من التعليم خلال الدراسة ولكن بحاجة الى تدريب وتأهيل لأمور فاتهم تعلمها.

ب / دورات تجديدية : وهي تستهدف تبصير العاملين على تطوير نشاطاتهم وجهودهم وتجديد معلوماتهم وتزويدهم بالاتجاهات والافكار الجديدة .

جـ / برامج تأهلية : و يقصد بها تأهيل الاختصاصيين للأنتقال الى ممارسة عمليات اخرى في نفس الميدان من امثال ماتقوم به وزارة التربية من تأهيل بعض المعلمين والمدرسين لاستكمال ثقافتهم من الناحية العلمية والمهنية والارتقاء بمستواهم الى مستوى المعلم اللائق .

٣) توزيع القوى البشرية حسب الأنشطة الأقتصادية :

أ / توزيع الاختصاصات ذات الأنشطة الرسمية : حيث ان تخرج القوى البشرية من الشباب من الجامعات او المعاهد المختلفة التي تخدم مسيرة التنمية الاقتصادية قد لاتفي بالغرض اذا كان التوزيع لها بدون تخطيط مسبق لحاجات المجتمع من الانشطة الاقتصادية المختلفة من زراعية وتجارية وخدمية وغيرها .
ان حسن ترزيع القوى البشرية حسب الانشطة الاقتصادية تخدم عملية التنمية ، ولهذا تجد الدولة الحاجة ماسة الى توزيع مركزي لهذه القوى البشرية من الشباب على مجالات التنمية ومناشطها المختلفة ، وهذا مانجده بالفعل في وزارة التخطيط حيث تقوم الوزارة في القطر العراقي بتوزيع خريج الكليات والمعاهد المختلفة على المرافق الاقتصادية والاجتماعية لكي تساهم هذه المرافق من تأدية خدمتها ضمن مسيرة التنمية خاصة اذا ما جاءت لها القوى البشرية المؤهلة والمتدربة .
ب / التدخل في توزيع الانشطة الاقتصادية الجماهيرية ، قد يكون هناك تركيز لدى الشباب في مرحلة معينة او لوقت قد يطول على بعض الانشطة الاقتصادية الخاصة ذات الطابع الجماهيري بالنظر للمنافع المادية المتراكمة لهذه الانشطة ، وهنا يكون مبرر تدخل الدولة عن طريق (توجيه) توزيع القوى العاملة على الانشطة معينة وتشجيعها وحمايتها وقد يكون انذاك تخطيط تأشيري لهذه الانشطة خاصة في في الاقطار التي لم تأخذ بعد بالنهج الاشتراكي في تخطيط القوى البشرية .

ثالثاً : قطاعات التنمية الأقتصادية ودور الشباب في تغطيتها : -

ليس المهم التأكيد على المردودات الاقتصادية من مشاركة الشباب في قطاعات التنمية الاقتصادية خاصة اذا ماعلمنا ان فئة كبيرة منهم يقع قبل سن ٢٤ سنة وهم على الغالب في المراحل الدراسة ليس التركيز على استغلال الموارد الاقتصادية والمادية بالنسبة للشباب دون ان نفسح المجال لتطوير الشخصية الشبابية نفسها لكي تأخذ دورها بعد التخرج وممارسة عملها في الانشطة الاقتصادية .

ان مساهمات الشباب في قطاعات التنمية تأخذ ثلاثة اتجاهات هي : -

١) المشاركة في القطاع الصناعي :

يظهر مساهمة الشباب في هذا القطاع بنسب متفاوته تبعاً لتغير العمر ففي المراحل الدراسيه للشباب قد يساهمون في عمليات الانتاج عن طريق العمل الطوعي (العمل الشعبي) في المصانع والمرافق الصناعية من اجل اثارة اهتمامهم نحو العمل وغرس القيم المتعلقة بالوعي الاقتصادي وتنمية روح العمل الجماعي وتنشئهم على معالجة الفراغ الاجتماعي ، اضافة الى تنمية المواهب والقابليات لديهم .(١٦)

اما بالنسبة للشباب خارج المراحل الدراسية سواء من العمال او المختصين او الاطر الوسطي في القطاع الصناعي ، فان مجالهم في المشاركة اوضح من ناحية استثمار الطاقات الانتاجية للموارد المادية من اجل الرفاهية الاجتماعية-التي هي بالاخير لها مردود اخلاقي على طبيعة الشاب نفسه او تساعده ظروفه هذه الى الذخول الى مجالات العلم والتخصص من اجل الارتقاء بالمهنة المتخصص فيها .

٢) المشاركة في القطاع الزراعي :

تمثل قطاع الزراعة نسبة كبيرة من اقتصاديات الوطن العربي ويتطلب النو في هذا المجال ضرورة تكاثف الجهود الرسمية والشعبية لانجاز مهماته سواء عن طريق العمل الطوعي او عن طريق قوانين الاصلاح الزراعي في بعض الاقطار العربية التي لها مردودات اقتصادية واخلاقية في آن واحد لخلق علاقات اجتماعية جديدة من حيث التعاون المشترك وتطوير الممارسة الديمقراطية .(١٧)

وتكون مساهمة الشباب في هذا الجانب عن طريق مزاولة مهنة الفلاحة في الريف او عن طريق المشاركة الشعبية للطلبة والشباب خلال العطل الصيفية او المناسبات الاخرى في الحصاد والبذر وغيرها في مجالات الانتاج الزراعي والثروة الحيوانية .

والملاحظ ان مايؤثر على هذه المشاركة الفعالة في الريف العربي هو الهجرة الى الريف مما يهدد الانتاج الزراعي وبالتالي الى احداث الفجوه الكبيرة في ظروف المعيشة بين سكان الريف وسكان الحضر وبضمنهم الشباب .

٣) المشاركة في قطاع الخدمات :

تمثل هذه المشاركة في انشاء الخدمات من كهرباء وماء ومرافق واندية اجتماعية وشبابية وغيرها وتصبح مشاركة الايدي العاملة الشبابية في هذه الاعمال بشكل ملحوظ وقد يعزي ذلك الى جملة اسباب منها اتساع نطاق الصناعة واستيعاب الايدي المعاملة الفنية والماهرة وغير الماهرة امتصاص اعداد كبيرة من المهاجرين من الريف للمدن في القطاع الصناعي . (١٨)

الفصل الرابع

دور الشباب في التنمية الاجتماعية

اولاً : عوامل النمو الأجتماعي للشباب العربي :

يتأثر الشاب في نموه الاجتماعي بعوامل عدة من اجل بنائه ومساهمته في عملية البناء واهم هذه العوامل المؤثرة في نموه هي مايلي :(١٩)

١) التعليم يؤثر التعليم عن طريق المؤسسة التربوية بصورة خاصة تأثيراً واضحاً في النمو الاجتماعي للشباب بما يلي :

- تزويد الشاب بالعلم والمعرفة منهجاً ومحتوي وفكراً وتطبيقاً واستخدامها في معالجة القضايا والمشكلات.
- تزويده بالخبرات والمهارات الخاصة بحاجات المجتمع ودعماً لاساليب الانتاج والخدمات الأجتماعية .
- تقدير العمل عنصراً اساسياً في نشاط الانسان الحضاري واعتماده ركناً اساسياً في التربية .
- نمية الاتجاهات السلبية والايجابية تجاه المجتمع والعمل على تطويره .
- تنمية روح المواطنه الصالحة وماتتضمنه من حب الوطن والولاء له والموازنه بين الحقوق والوجبات ورعاية المصلحة العامة في الاعمال وتنمية روح التعاون بين المواطنين .

وهكذا يتعلم الشاب منذ الطفولة في المدرسة كيف يتعاون ، وكيف يناقش غيره في حدود الاطار الاجتماعي القائم ، وكيف ياخذ ويعطي وكيف يخدم الجماعة ويغير منها وبذلك يكون الشاب مواطناً مستعداً للمساهمة في عملية التنمية من التحديات التي قد تجابه وهى مختلفة في الوطن . العربي والتي تتباين من قطر الى آخر من تحديات سياسية وثقافية ومستقبلية وامنية وغيرها .

٢) في مجال الصحة :

من عوامل النمو الاجتماعي للشباب الصحة ، فالشاب المريض او النحيف والذي تنتابه الامراض يكون الغالب بعيداً عن مشاركة الاخريين وغير قادر على الاسهام الفعال في بناء المجتمع وتقدمه وتكون العوامل الاجتماعية والنفسية مؤثرة في طبيعة الصحة الاجتماعية والنفسية للشباب بالرغم من خلوه من الامراض الجسمية او العقلية او البدنية ، ولهذا فالشخص السوى الخالي من الامرض الجسمية او الاجتماعية او النفسية يتصف على الغالب بالصفات التالية :

- القدره والسيطرة على العوامل التي تؤدي خللاً في الوظيفة الاجتماعية من اللامبلاة والتكامل .
- القابلية على الصمود والسيطرة على المواقف دون اللجوء الى حالة الضعف والتهاون

- القدرة على تفهم مشكلات الحياة اليومية والصمود امام التحديات او التباين في المواقف والاتجاهات .

وعلى هذا الاساس فالشاب الصحي او السوى تكون له القابلية على : –

- التوصل الى قرار في البت دون عناء كبير .
- حب العمل وعدم الشعور بالتعب والتكاسل .
- تطوير العمل الذي يزاوله ومحاولة الأرتقاء بمستوياته .
- الشعور بالراحة الاجتماعية والنفسية سواء داخل العائلة او في علاقاته الاجتماعية .
- المشاركة الوجدانية مع الغير ولتجاوب معهم .

وبهذا يكون مثل هذا الشاب متميزاً بالشخصية السويه المتماسكة ومستقبلاً لذاته وتقبل الآخريين له .

٣) الوعي الاجتماعي :

الوعي لغة هو الفهم وسلامة الادارك ، اما اصطلاحاً يعني ادراك الفرد لنفسه وللبيئة المحيطة بـه ، والوعي بهذا المعنى يتضمن ادراك الفرد لنفسه ولوظائفه العقلية والجسمية وادراكه لخصائص العالم الخارجي وادراكه لنفسه باعتباره عضواً في جماعة .(٢٠)

ان وسائل الوعي الاجتماعي لشباب تعتبر من عوامل النمو الاجتماعي والتثقيف الجماهيري اضافة لدور المدرسة والبيت .

يمكن ايجاز هذه الوسائل بمايلي :

أ) اجهزة الأرشاد العام للتوعية الجماهيرية :

تؤثر هذه الاجهزة تأثيراً في نمو الشباب وقد تتباين في درجة النمو تبعاً للبيئات الاجتماعية المكانية والزمانية في الوطن العربي ولكن نكاد ان نلمس اثار هذه الاجهزة واضحاً وهي تتمثل في (٢١) :

- التلفزيون : الذي يعتبر اكثر الاجهزة الأرشادية اتصالاً بحياة الشباب ولها دوراً في النمو الاجتماعي والثقافي ازاء احسن استعمالها .
- السينما : لها قوة تأثيرية في توعية وتثقيف الشباب وهي وسيلة للبناء الاخلاقي والترشيد الاجتماعي .
- الصحف المجلات : لها مركز مرموق في تكوين الرأي العام وتوعية وتوجيه الشباب وهم من اهم وسائل التثقيف والتربية القومية .

الاذاعة : تمثل في الاونه الاخيرة مركزالصدارة في اجهزة الارشاد والتوعية وهي اداة فعالة لخدمة الجماهير بصفة عامة والشباب بصفة خاصة وهي تهدف الى تكوين وتنمية المواطن الصالح وتفجير طاقاته لتحقيق اهداف المجتمع .

المسرح : له دور توجيهي وتثقيفي اضافة الى الجانب الترفيهي وهو بمثابة مدرسة الشعب التي تقدم حصيلة للتجارب الواقعية وتثبيت وتعميق القيم ونشر الاخلاقيات المهنيه وغيرها .

٢ ٩ المؤثرات الثقافية الاخرى :

تدخل هنا مؤثرات متعددة تسهم في نمو الوعي الاجتماعي للشباب قد يكون لها تأثيرات ايجابية او سلبية لكن دورها في الوعي الاجتماعي فعال ومؤثر في تعزيز دور المشاركة في عملية التنمية وتتمثل هذه المؤثرات فيما يلي : –

● الاصدقاء : يؤثر الاصدقاء تأثيراً في التكيف الاجتماعي لشباب واتساع علاقاته خاصة اذا كانت اهدافهم بناءه تسام في بناء المجتمع وتقدمه .

● الجيران : الجيران والزيارات المتبادلة بين عوائل الشباب تأثيراً في نمو ووعي الشباب وخاصة في مراحلة الاولى .

● جماعة اللعب : او اقران الشاب حيث مجالات اللعب والتي هي محك للتعرف عن ميول الشباب واتجاهاتهم ، اضافة الى دور هؤلاء الأصدقاء في الوعي الاجتماعي المشترك .

● العمل خارج المدرسة : قد يدخل الشاب مجبراً او لظروف الدخول الى العمل في بداية العمر مثل باعة متجولين واعمال اخرى وانذاك يدخلون مجتمع الكبار وهم غير مستعدين اجتماعياً مما يؤثر سلبياً على حياتهم ولكن دخولهم العمل في هذه المراحل سيساهم في تقديم النشاطات تنبية لحاجات المجتمع ومهما يكون فأن هذا التحدي سيكون له اثره في الوعي الاجتماعي والتحكم في وسائل الضغط الاجتماعي .

ثالثاً : تأهيل الشباب للاسهام في التنمية الاجتماعية :

١) في مجال للتعليم :

انطلاقاً من ان التعليم يمثل الركيزة الاساسية في تنمية الموارد البشرية وبالتالي حسن استخدامها ووضعها في خدمة التنمية الشاملة فان سياسة التعليم والتربية وتدريب الشباب في الوطن العربي ياخذ الأهمية البارزة في خطط التنمية بشكل يتلائم وحاجات المجتمع وتحقيق الاهداف العامة في توفير الايدي العاملة الشابة المدربة بمختلف المستويات والاختصاصات والمحصنة بنظام تعليمي وتدريبي متطور وحديث يتجانس مع التطورات التكنيكية الحديثة .

يمكن اجمال واقع التعليم في الوطن العربي من اجل تأهيل وتدريب الشباب في مجالات خطط التنمية في منظورين (٢٢) .

أ / التطور الكمي :

أن من اهم ملامح حركة التربية العربية منذ منتصف القرن العشرين وعلى درجات متفاوته في الوطن العربي هو تحقيق ديمقراطيه التعليم واتاحة الفرص للمستحقين من الشباب .

لقد ارتفع اجمالي عدد المدارس في جميع الاقطار العربية وعلى جميع مستويات التعليم الابتدائي والثانوي والمهني والتعليم العالي اضافة الى تصاعد العمل في جميع الاقطار العربية الى محو الامية وتعليم الكبار ومن هذه النماذج في العراق والجزائر واليمن الديمقراطية والصومال وغيرها . يتم تزويد الشباب في هذه المدارس على اختلاف مستوياتها بالمعرفة العلمية والعملية والمهارات والتدريبية وتأهيلهم للعمل والمساهمة في عملية التنمية والبناء للمجتمع .

ب / التطور النوعي :

اضافة الى تأهيل وتدريب الشباب عن طريق تعليم الشباب وحسب المراحل الدراسية المختلفة ، فأن التعليم يشهد في جميع الاقطار العربية جهودة مستمرة لتحسين نوعيته .

فقد شهد التعليم وبمستويات مختلفة في الأقطار العربية تطوراً نوعياً في المجالات الآتية : -

- تطور في اساليب المناهج والكتب .
- في الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية .
- اعتماد التلفزيون التربوي بشكل فاعل ومؤثر .
- توسيع المختبرات المدرسية وإكمال نواقصها والتاكيد على استعمالها
- تطور اساليب التقويم والامتحانات - للطلبة والمعلمين والمشرفين .
- تطوير الخدمات المدرسية المختلفة .
- التطور في مجالات تدريب المعلمين والمدرسين والمشرفين وصولاً الى تطور الامكانات البشرية .

٢) التاهيل في مجال الصحة :

تعتبر الصحة من الاركان الرئيسية في تنمية الموارد البشرية التي هي اداة التنمية ووسيلتها .

يشمل التأهيل الاهتمام بالنواحي العلاجية والوقائية في آن واحد وان الاهتمام بهذه النواحي له النتائج التالية : -

- اطالة العمر حيث يظل الشاب طالب علم .
- اطالة المدة التي يظل الانسان فيها قادراً على العمل .

المصادر التي تسهم في تاهيل الشباب صحياً هي مايلي :

المؤسسات الرسمية سواء التعليمية او الصحية - وذلك عن طريق عمل دورات تأهيلية فة الى مايؤخذ خلال المراحل التعليمية .

/ وسائل الاتصال الجمعي وخاصة الاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات الاخرى التي يمكن تأخذ دوراً في مجال تنمية الوعي الصحي والخبرة لدى الشباب .

/ المجالس الشعبيه التي تؤثر في مجال التعاون مع المؤسسات الصحية في توفير متطلبات مل الوقائي والعلاجي .

المنظمات والاتحادات التي يكون لها دوراً متميزاً في مجال التأهيل الصحي بما تعتمده من رات وانشطة عن طريق برامجها وخططها او مساهمتها الفعالة والجادة .

٣) تاهيل الشباب في مجال التثقيف الجماهيري :

تثقيف **الجماهير** نشاط تقوم به مؤسسات متخصصة تاخذ لها روافد متعدده من وسائل الاتصال الجماهيري او الجمعيات والمنظمات الجماهيرية بشكل عام .

والشباب شريحة اجتماعية واسعة يعتمد عليها في مسيرة المجتمع وان تأهيلهم في مجال تثقيف **الجماهير** يكون له الاهمية الخاصة في المشاركة الشعبية في عملية التنمية .

يمكن ان يساهم الشباب بعد تأهيلهم لتثقيف الجماهير من خلال وسائل متعددة لمخاطبة الجماهير وهي : -

آ / وسائل الاتصال الاعلامي .. من اذاعة وتلفزيون حيث يمكن لهؤلاء الشباب مخاطبة الجماهير من خلال برامج خاصة او ان يخصص زوايا خاصة من برامج الشباب لمخاطبة شرائح اجتماعية من الجماهير مثل الفلاحين او النساء .

ب / من خلال النصوص المسرحية . حيث يمكن للشباب عن طريق بعض المسرحيات المقدمة على الهواء او المنقولة في التلفزيون مخاطبة الجماهير وتوعيتهم في مجال مساهتهم في عملية البناء والتقدم .

جـ / التوجه الثقافي العام يمكن ان يسهم الشاب المؤهل في مجال التثقيف الجماهيري من اصدار كراريس صغيرة او الكتابة في الصحف والمجلات او الاصدارات التابعة للمنظمات الشعبية والمهنية باسلوب واضح سهل وجذاب من اجل الارتقاء الأجتماعي والثقافي في العالم للمجتمع .

د / المناسبات الوطنية : يساهم الشباب في مجال المناسبات الوطنية والاعياد والمناسبات الأخرى من مخاطبة الجماهير في اساليب التعبئة الجماهيرية التوعيه باهداف خطط التنمية او حملات محو اللامية او النوعية السياسية والصحة وغيرها .

ثالثاً : توزيع مهمات النمو الاجتماعي من قطاع الشباب :

ان توزيع القطاعات الشبابية حسب درجات النمو (التعليم الصحة الوعي الأجتماعي) .
لابد ان تحظى باهتمام متزايد في عملية التنمية ، ويمكن توزيع هذه القطاعات حسب المؤهلات العلمية والتأهيلية الى القطاعات التالية :-

١) قطاع الخريجين المثقفين (المؤهلين)

يتكون هذا القطاع من خريجي التعليم الجامعي او الدراسات العليا حيث ترفد الموسسات التعليمية حملة الشهادات الجامعية التي تتطلبها خطط التنمية .

ان توزيع قطاع خريجي الجامعات حسب تخصصهم العلمي في مجلات عدة وفي خدمة المجتمع ومتطلبات التنمية يعد مطلباً مهماً لتحقيق التقدم الاجتماعي لان هؤلاء مزودين بالمعرفة العلمية والميدانية وموهلة خلال دراستهم الجامعية او ان تعطي لهم دورات تأهيلية عند دخولهم للوظيفة اوعن طريق دورات خلال الخدمة من اجل الاستفادة التامة من امكانياتهم للمساهمة في متطلبات التنمية الأجتماعية والاقتصادية .

٢) قطاع الشباب ذوي الخبرات المتوسطة .

نقصد بالخبرات المتوسطة الافراد الذين يشغلون في الهيكل الوظيفي والمهني مكاناً يقع بين الاختصاصيين (خريجي الجامعات) وعمال غير ماهرين او من ذوي الانشطة دون تأهيل ثقافي .

وهم بذلك يكونون حلقة الوصل بين الاختصاصيين من ذوي المؤهلات العلمية والفنية العالمية وبين العمال غير الماهرين .

وقديحمل قسم من هؤلاء الشباب ذوي الخبرات المتوسطة شهادات جامعية او فنية (لكن الغالبية منهم تتصف بخبرة فنية نتيجة دراسة لمدة سنتين او ثلاث في احدى المعاهد الفنية بعد اكمال التعليم الثانوي .

ويشمل التعليم المهني من اصحاب ذوي الخبرات المتوسطة ، عدة مجاميع حسب انشطتهم وهي : التعليم الصناعي ، التعليم الزراعي ، التعليم التجاري .

وبالنظر لاعتماد تنفيذ خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية الى الملاكات خاصة الملاكات الوسطى ، نجد ان الاجهزة التخطيطية في الوطن العربي اخذت بالأكثار من المعاهد التي تخرج الملاكات الوسطى من الشباب بالعدد والنوعية اللازمة ولكن رغم هذا الاهتمام فلا زال النقص الشديد لهذه الأطر موجوداً مما حدى ببعض الأقطار العربية الى ان تضع بعض الحوافز للدخول الى هذه المعاهد او تعتمدمبدا انسابية التعليم بعد الدراسة المتوسطة لتشجع الطلبة للدخول الى اعداديات المهنية التجارية والصناعية .(٢٣)

٣) قطاع الشباب من ذوي الانشطة الاجتماعية بدون تأهيل ثقافي (عمال غير ماهوين)

وهؤلاء الذين لم تكن لديهم مؤهلات تعليمية وثقافيه للاستمرار في الحياة التعليمية يتخرطون انذاك الى الانشطة الاجتماعية المختلفة مثل البيع والشراء واعمال البناء والتشييد وغيرها .

يمثل هؤلاء عادة البطالة المقنعه وهي حالة شائعه في الدول الناميه وهناك عوامل متعدده تدخل دون

● ان طبيعة الهياكل التقليدية الاقتصادية والاجتماعية في دول العالم الثالث بصورة عامة لاتساعد على استمرار الشباب في التعليمهم لان الاسر الاقتصاديه لاتسمح باستخدام جميع العاملين .

● هناك رغبه لدى الشباب في دول العالم الثالث التي اغلب نشاطاتها زراعية في ان يتجه شبابها الى نشاطات اخرى بشكل مبكر لان طبيعة العمل في الاراضي الزراعية لاتحتاج الى تلك الايدي العاملة الكبيرة .

● لعوامل اجتماعية او ذاتية لدى الشباب تجبره انذاك الى العمل في احدى النشاطات دون تأهيل ثقافي .

لهذا لابد من القيام الدولة عن طريق مؤسساتها او الاتحادات والمنظمات الجماهيرية منها بعمل دورات تدريبية او تأهيلية لبعض العاملين من الشباب لبعض الحرف التي يقبل عليها الشباب لكي تكون مشاركتهم فعالة ومجدية في مشاريع التنمية . (٢٥)

لقد اكدت الأمم المتحدة على هذا التوجيه في ضرورة الاعداد الحرفي لهؤلاء الشباب عن طريق دورات واعطى دوراً للمنظمات والجمعيات لاعداد الشباب ورفع كفائتهم .

ثم لابد من تنمية الوعي المعرفي لديهم خاصة لأولئك الذين تركوا المدرسة مبكراً باعطائهم المعرفة خلال اوقات فراغهم وتطوير مواهبهم واعطائهم التربية العامة والثقافة اللازمة من اجل اعدادهم ومشاركتهم في حياة المجتمع .

وفي الوطن العربي خاصة في القطر العراقي هناك جهود بذلت من اجل اعداد الشباب وتربيتهم ، وبالنسبة الى الأميين منهم ، فهناك حملة واسعة ساهمت في القضاء على الامية بتجربة رائدة لمحو الامية الالزامي شملت العمال والفلاحين والكسبه نساء ورجالاً اضافة الى الزامية التعليم في المدارس الابتدائية وفتح مدارس اليافعين وغيرهم .

رابعاً : برامج التنمية الاجتماعية ودور الشباب في تنفيذها

لاشك ان الثروة الحقيقة والدافعة لاية امة هي شبابها ، وهنا ياتي دور الشباب في التنمية حيث لايمكن ان نتحدث عن تنمية تنهض مالم يكن للشباب دوراً فيها ولأجل الالمام بهذا الدور لابد ان تحدد المجالات والاساليب اولاً ثم الدور والتنفيذ ثانياً وعلى الشكل التالي : -

اولاً : - مجالات واساليب مساهمة الشباب في التنمية

ان برامج التنمية الاجتماعية تتوزع عادة على عدة خدمات وهي : -

- الخدمات التعليمية
١ الخدمات الصحية
- الخدمات السكنية

- الخدمات الاجتماعية
- الخدمات العامة
- الماء والكهرباء .

ويمكن انذاك تحديد مواقف الشباب من المساهمة في هذه الخدمات والعمل الجاد على حسن توجيهها بالأسلوب الذي يمكن الاستفادة منها بشكل يحقق الأهداف ، ولاريب ان مواقف الشباب . تتحد بدرجة الوعي الاحساس بالمسؤولية ومستوى الالتزام الثوري بطامح الشعب .

ذا عندمانتكلم عن مجالات برامج التنمية ومساهمة الشباب فيها بالنسبة للشباب العربي ان يقترن هذا الى انشباب المسلح بالمعرفة والمتشبع بالقيم الثورية الواعي لرسالته المرتبطة بمصير شعبة والمعتز بشخصية ، وقد لعبت المؤسسات التربوية والمنظمات الجماهيرية دوراً في تحديد هذه المواقف وترجمة هذه السياسة الى برامج عمل في اهداف المنظمات والاتحادات اضافة للمؤسسات الرسمية .

-وسائل المساهمة في تنفيذ البرامج

يمكن ان يساهم الشباب في تنفيذ برامج التنمية الاجتماعية عن طريق عدة وسائل وهي كالآتي :(٢٦)

أ / عن طريق العمل الرسمي ضمن نطاق مؤسساتهم التربوية فالشباب في المدارس يمكن ان يساهم في تنفيذ البرامج او الاستعداد لها عن طريق الدراسة النظرية او العملية خلال المراحل الدراسية .

ب / عن طريق العمل الطوعي او الخدمة العامة : العمل الطوعي او الخدمة هي جهود الشباب عن طريق التطوع في تقديم الخدمات للمجتمع .

ويقوم الشباب بهذه الجهود دون مقابل مادي ، فخوراً بان يخدم بلاده في سبيل تنمية المجتمع وارضاء ضميره نفسياً ومعنويا وللتربيه من قبل المؤسسات والمنظمات والاتحادات التركيزية في تحسين مجال الخدمة ومساهمة الشباب في مجالات التنمية الاجتماعيه .

يقع على الشباب في هذا المجال العمل على تجميل المدن ،المحافظة على نظافة الشوارع والحدائق ومنع اتلاف الاثاث والمستلزمات العامة وغيرها .

جـ / عن طريق العمل في الاجازات الصيفية :

يعمل الشباب خلال عطلهم الصيفية سواء ضمن مجالات المؤسسات الرسمية او المنظمات والاتحادات الشبابية والمهنية على القيام بتثقيف المواطنين في الريف والاحياء الشعبية في المدن ، وتوعيتهم والمشاركة في حياتهم وحل مشاكلهم في المجالات الاجتماعية والعلمية وغيرها .

ثانياً : دور الشباب في تنفيذ برامج التنمية والأجتماعية

يكون دور الشباب في مجالات الخدمة الاجتماعية متنوعة بتنوع المجالات وهي كالآتي :

١) في مجال التعليم :

يعتمد تقديم البلد على العلم والتعليم فهو الطريق الصحيح لحل كثير من مشكلات المجتمع وهو الوسيلة الناجحة لانارة دروب الحياة الانسانية وفتح المجال امامها للتقدم والازدهار وكلما زاد الناس علماً ومهارة كلما زادت كفايتهم لاستغلال الموارد المتحة ، ومن اجل هذا فسحت خطط التنمية مجالاً واسعاً وخصصت نصيب كبير من استثمارات الخدمات للتعليم .

ويساهم الشباب في مجال الخدمات التعليمية من جهتين :

الاول : عن طريق تعليمهم واعدادهم في المدارس التي تبدأ من الدراسة الابتدائية حتى المراحل الجامعية مروراً بمراحل اعداد الفنيين والاخصائيين والكوادر الوسطى اللازمة لعملية التنمية .

والثاني : عن طريق مساهمة الشباب المثقف في هذا المجال وخاصة في مجالات محو الامية .

٢) **في مجال الخدمات الصحية :**

تكفل التنمية الشاملة الرعاية الصحية في الجانب الوقائي والعلاجي لكل الموطنين . وتقوم اجهزة خاصة في مقدمتها وزارة الصحة او هيئات اخرى ومستشفيات ومؤسسات علاجيه اخرى ، واهم ما تستهدفة مشروعات خطة التنمية في هذا المجال ، وانشاء مستشفيات جديدة وتألف فرق للتطعيم ومراكز لرعاية الطفولة والامومة ومجموع صحية قرويه والقيام ببعض المشروعات الخاصة لمكافحة الامراض وتنظيم الاسرة وغيرها .

ان مساهمات الشباب في مجالات الخدمات الصحية يتخذ مجالات عدة اهمها :

- الانخراط في التمريض .
- القيام بمتطلبات التوعية الصحية داخل الاسرة والمجتمع .
- المساهمة في عمليات الدفاع المدني وتنفيذ تعليمات الدفاع المدني .
- مكافحة امراض المجتمع ونظافة المدينة والقرية ومكافحة الامراض والوقاية منها .
- تنظيم الاسرة وتوعيتها .

٣) في مجال خدمات الاسكان :

يتوزع دور الشباب في مجال تنفيذ خدمات الاسكان في عدة مجالات منها :

- المساهمة في توفير المسكن الملائم في المدن والريف وانشاء دور المؤسسات الحكومية والشعبية او تجميل المدينة وانشاء الحدائق كل ذلك يمكن ان يجري عن طريق العمل التطوعي او الشعبي للشباب وقد انجزت كثير من المساكن عن طريق عمل الشباب في الاقطار العربية سواء كان ذلك أيام العطل الصيفية او اثناء المعسكرات والمناسبات الاخرى .
- توعية المواطنين خاصة الريفيين منهم بالتمسك بالارض ودون الهجرة من الريف الى المدن ، وتوصيل الخدمات الممكنة لهم والمساهمة في انشاء المزيد من الاندية الريفية ، اضافة الى تشجيع الهجرة من الريف .
- توعية الجمهور بقواعد المرور ، حيث يشارك طلبة المدارس في الفرق المرورية ومساعدة وجال المرور داخل المدن ، اضافة لما تقوم به بعض المدارس من تدريس طلبتها بالتعاون مع الاجهزة المرورية حول حركة السير وسلامة المواطنين .

٤) في مجال الخدمت الاجتماعية في مجالات عدة منها :

تمثل مساهمات الشباب في مجال الخدمات الاجتماعية في مجالات عده

- خدمات تتعلق بالاسرة والطفولة .
- خدمات تتعلق برعاية المعوقين اجتماعياً وعقلياً وبدنياً
- خدمات تتعلق بالمجتمع ذاته والجماعات نفسها .
- خدمات تتعلق برفع المستوى الاقتصادي .
- خدمات تتعلق بالخدمة اللاجتماعية كالخدمة الاجتماعية المدرسية والطبية والصناعية والعمالية .

هذه الى خدمات عامة اخرى تتعلق بمساهمة الشباب في توفير الخدمات العامة الاخرى كالمساهمة في ايصال الماء ومشاريع الكهرباء ونشر التوعية اللازمة لاهمية هذه الخدمات العامة .

المقترحات

١) تشجيع الحكومات العربية على استعراض وتجديد قوانينها المتعلقة بالشباب بحيث تكون هذه القوانين متفقة والمعايير الدولية مع مراعاة الظروف الموضوعية للقطر .

٢)انشاء هيئات استشارية عليا تضم نشاطات الشباب على اختلاف انواعها من اجل مساهمتهم الجادة في التنمية ، كأن يكون مجلس اعلى للشباب يكون مسؤولاً عن رسم السياسة العامة وتوزيع تنفيذها على مؤسسات رسمية ومنظمات جماهيرية من اجل التنفيذ اللامركزي.

٣)تعزيز القدرة البحثية لحل مشاكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر على الشباب ووضع الحلول اللازمة لها .

٤) ينبغي الاعتراف بحق الشباب في التعليم والصحة والعمل كأساس لمشاركتهم الكاملة والفعالة في التنمية .

٦) ينبغي توعية الشباب بالاسهامات التي يمكن ان يقدموها للتنمية حسب المراحل الدراسية او العمرية ، وتشجيع البرامج التي يقدمها الشباب انفسهم .

٧) تشجيع الشباب على العمل والتدريب في مجالات الخدمة الصحية خاصة الاناث منهم .

٨) دعم المنظمات والاتحادات الشبابية لكي تساهم في تنظيم برامجها لتحقيق مساهمة الشباب في عملية التنمية .

٩) العناية بالقيادات الشبابية ودورها في المشروعات القائمة في المجتمع .

١٠) دعم وتنمية الروابط بين منظمات الشباب العربي على المستوى القومي والاقليمي والدولي من اجل تبادل الخبرات والمعلومات .

١١ ٩) الاعتماد المبرمج للدورات التدريبية في تأهيل وتدريب وتوعية الشباب باوضاعهم لكي يصبحوا مدركين للحقائق المحيطة بها وقادرين على المساهمة الجادة في تنفيذ خطط التنمية .

الهوامش

١ - الدكتور احمد الخشاب ، سكان المجتمع العربي دراسة تكاميليه مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٨ - ٩

٢ - مهرجان الشباب العربي الثالث الندوة الفكرية (الشباب والتكامل الاقتصادي العربي ، بحث مقدم من الوفد العراقي للمهرجان للمنعقد في ٢ - ٥ تموز / ٩٧٧ ص٣ .

٣ - الدكتور وديع شرايحة ، مفهوم التنمية الاقتصادية في الوطن العربي بحث مقدم للندوة تطبيق المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية ، على التخطيط للتنمية في الوطن العربي ، تونس ، حزيران ١٩٨٣ ص ٢١ - ٢٥ .

٤ - الدكتور وديع شرايحه ، المصدر السابق ص ٢٢

٥ - الدكتور باسل البستاني والاقتصاد العربي ، من مجلة الاقتصاد العربي لاتحاد الاقتصاديين العرب / بغداد / تشرين الثاني / ١٩٧٩ .

٦ - الدكتور مصطفى الخشاب ، دراسة المجتمع ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٦ - ٥٧

٧ - الدكتور الياس فرح ، الثقافة والشخصية العربية ، مجلة آفاق عربية السنة الثالثة العدد ١٢ آب ١٩٦٦ ص ٤ .

٨ - مهرجان الشباب العربي الثالث ، الندوة الفكرية ، المرجع السابق ص ٢

٩ - وزارة التخطيط / للجمهورية العراقية .

١٠ - الامم المتحدة / المجلس الاقتصادي والاجتماعي / اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا التقرير النهائي ، رومانيا حزيران ١٩٨٣ .

١١ - الامم المتحدة للجمعية العامة ، الدوره السابعة والثلاثون البند ٧٧ من جدول الاعمال (السنة الدولية للشباب / المشاركة والتنمية والسلام ص ١٨ .

١٢) الاجتماع الاقليمي التحضيري لدول غربي اسيا ، بغداد ١٩٨٣ الخاص بالنسبة الدولية للشباب ١٩٨٥ .

١٢) جمهورية مصر العربية ، المجلس الاعلى للشباب والرياضة / الاجتماع الاقيليمي العام الدولي للشباب ، ابعاد اساسية حول سياسة العمل مع الشباب المصري ، مقترحات للخطط تنفيذ به بمناسبة العام الدولي للشباب ص ١

١٤) مركز تنمية المجتمع العربي مع العالم العربي ، ابحاث في التدريب على تنمية المجتمع ، القاهرة ، ١٩٦٣ ص ٢٢ - ص ٢٦ .

١٥) مركز تنمية المجتمع العربي - ابحاث في التدريب على تنمية المجتمع ص ١٢٢ .

١٦) الدكتور عادل عبد الحسين شكاره ، الاتحاد العام لشباب العراق وتنشئة الشباب من منشورات الاتحاد العام لشباب العراق ، مطبعة الشباب ، ١٩٨٠ ص ٢٠ - ٢١ .
١٧) الدكتور عادل عبد الحسين شكارة / المشاركة الشعبية وضروراتها للتنمية بحث مقدم للندوة المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية على التخطيط للتنمية في الوطن العربي المنعقد في تونس عام ١٩٨٣ والمقامه من قبل معهد البحوث والدراسات العربية ص ١٩ - ٢٠
١٨) الدكتور باسل البستاني ، الاقتصاد العربي ، دراسة احصائية مقارنه مجلة الاقتصاد العربي التابعة لاتحاد الاقتصاديين العرب ، بغداد تشرين الثاني ١٩٧٩ ص ٩ - ١٠ .
١٩) وزارة التربية ، ندوة اهداف التربية العامة في القطر العراقي في ضوء معطيات قادسية صدام المجيدة في ١٩٨٣ ، التقرير النهائي والتوصيات ص ٣٤ - ٣٩٠
٢٠) معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئه المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٦٤٤ .
٢١) الدكتور احمد الخشاب ، الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي ، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧١ ص ٥٣٧ - ص ٥٩٣ .
٢٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، الفصل الرابع ، واقع التربية العربية وتجاهاتها ومشكلاتها ص ١٣٢ - ١٤٠
٢٣) ورقة عمل قطاع التربية والتعليم ٨٠ / ٨١ - ٨٤ - ١٩٨٥ ص ١٢٥ - ١٢٧
٢٤) وزارة الشباب ، الشباب في عالم متغير (اصل دراسة تحليل لمنهاج اليونسكو المتعلق بالشباب ٦٩ - ١٩٧٧) بغداد ١٩٨٠ ص ٨٥ - ص ٨٩
٢٥) وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي الهيئة العامة للتدريب والارشاد الزراعي ورقة عمل التدريب والارشاد الزراعي والاجراءات التنفيذية لتوصياتها ٨٣ - ٩٨٤ ص ٨٥
٢٦) علي حلمي ، دور الشباب في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، مكتبة الانجلوا مصرية ، القاهرة (بلا تاريخ ص ١٦٥ - ص ١٦٩
٢٧) د . عادل عبد الحسين شكاره ، المدارس الشعبية وابعادها ، مجلة دراسات الأجيال ، شباط ٩٨١ ص ٤٣
٢٨) محمد كامل البطريق ، منهاج خدمة المجتمع ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ ص ٢ .

- ١١ -

خطة مقترحة لدراسة المشكلات النفسيّة والأنحرافات السلوكيّة في الدول العربيّة الخليجيّة

د / خلف نصار الهيتي

كليّة الآداب / جامعة بغداد

بحث القي في ندوة الشباب والمشكلات المعاصرة في المجتمع العربي الخليجي المنعقد في بغداد ٢٣-٢٧ تشرين الثاني / ١٩٨٥

المحتويات


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است


ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

القسم الأول

المسوغات والمحاولات السابقة
اولاً : أهمية دراسة المشكلات النفسية والانحرافات السلوكية :

لقد حبا الله منطقة الخليج العربي بثروات مادية تشكل خزيناً هائلاً في الامكان استثماره لتنمية هذه المنطقة ، ليكون لها فعلاً مؤثراً في دفع عملية التطور للامة العربية ، ولتسهم في تخفيف ما تعانيه شعوب انسانية اخرى من قلة مواردها الاقتصادية .

ان مدى الاستفادة من الموارد المالية هذه يتوقف - الى حد كبير - على مدى صلاحية وفاعلية الكوادر البشرية من ابناء هذه المنطقة ، تلك الكوادر التي تعتبر الأداة الفاعلة لاستثمار الموارد المالية والانتفاع منها لتطوير الحياة بكافة مجالاتها ، وعلى نوعية القوى البشرية تلك يتوقف تقدم ورقي اقطار هذه المنطقة ، فمن خبرات الشعوب الاخرى يمكن ان نلمس وقوف دول في المقدمة من التقدم رغم فقرها في الموارد المالية - قياساً بمنطقة الخليج - وذلك بفضل اهتمامها بتطوير كادرها البشري واعداده اعداداً نفسياً وعلمياً وبالصورة التي يمكنه الاستفادة القصوى من موارده المتوفرة ، بما يحقق احداث التنمية لبلدانهم بكافة صورها .

ان الحديث عن اهمية الموارد البشرية لايعني التركيز على مرحلة عمرية معينة ، والتسليم بأهميتها مع اهمال المراحل الأخرى او التقليل من شانها ، فكل المراحل لها دورها في تنمية المجتمع ، حاضره ومستقبله ، واذا كنا نريد لمنطقتنا ، وامتنا العربية التقدم والازدهار ، ومن ثم الاسهام الفاعل في تقدم الانسانية ، علينا التوجه لتنمية جميع الموارد البشرية بكافة مراحلها (الشيباني ، ١٩٧٣ ، ص ٣٥) .

وعلى الرغم من الايمان بأهمية الكائن الانساني ايا كانت مرحلته ، فان لمرحلة الشباب اهمية خاصة - في منطقتنا على الاقل - لكونها مرحلة الاعداد والتوجه المتخصص والتهيؤ للعمل المنتج وممارسته في حالات كثيرة ، اضافة الى قدرة هؤلاء الشباب على تقبل التغير والاسهام في احداث التغييرات بمختلف جوانبها ، الاجتماعية والسياسية والاقصادية .

ومما يزيد من اهمية مرحلة الشباب في منطقتنا ، هو ثقلهم السكاني حيث انهم « بناء على المرحلة العمرية من ١٥ - ٢٥ ، يشكلون نسبة تصل الى ٢٠ ٪ تقريباً من مجموع السكان في الدول العربية الخليجية » (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٥٨) .

وعلى الرغم من توفر الكادر البشري لهذه المنطقة ، نجد العديد منها يستعين بايد اجنبية لاستثمار مواردها ، اما بسبب انخفاض كفاءة الايدي العاملة الخليجية وقلة خبرتها ، او ترفعها عن ممارسة العديد من الاعمال وقد كان هذا الاعتماد كبيراً في بعض الاقطار الخليجية ، حيث طغت الجنسيات الاخرى على المواطنين ، فوصلت « نسبة الشباب الذكور من غير الموطنين في فئة العمرية من ٢٠ - ٢٥ الى ٦٥ ٪ من المجموع الكلي للشباب في بعض الدول العربية الخليجية » (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٥٨) ، وكمثال للمقارنة بين نسبة الذين يعملون من سن الشباب ، نجد ان ٨ ر ٨٦ ٪ من غير المواطنين من الشباب مقابل ٤ ر ٧ ٪ من الموطنين من الشباب في دول الامارات العربية المتحدة ، اما في البحرين فان نسبة الشباب الذين يعملون من المواطنين هي ٦ ر ٣٦ ٪ مقابل ٧ ر ٢٤ ٪ من العاملين من الشباب غير الموطنين ، وفي الكويت بلغت نسبة الشباب الكويتي العامل ٩ ر ١٨ ٪ من الشباب العامل من غير المواطنين (اسماعيل ١٩٨٤ ، ص ٢٦) .

ان تعدد الثقافات التي يتفاعل معها الشاب في دول الخليج العربي - سواء كان بشكل مباشر من خلال وجود نسبه كبيرة من الشباب غير الموطنين التي تمارس نشاطها الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، او من خلال زيارة الشباب لبلاد المختلفة كنتيجة للامكانات المادية المتاحة للعديد منهم ، او بشكل غير مباشر من خلال وسائل الاتصال المتنوعة - تعرضه الى تنبيهات مختلفة احياناً ، ومتعارضة - في احيان اخرى - مع مايتلقاه من مواطنيه وافراد اسرته ، وعلى كراسي الدراسة ، ان تلقيه للتنبيهات هذه ، من مصادر متعددة وغريبة عليه ، قد يوقعه في الحيرة والتناقض والبلبلة الفكرية ويفقده القدرة على تحديد ذاته » ، (اسماعيل ١٩٨٤ ، ص ٦٣) ، هذا من جهة ومن جهه اخرى فان تعدد الجنسيات وبهذا الشكل البارز ، قد يكون له تأثير يهدد البنيه الاجتماعية والحضارية لهذه المنطقة وبشكل سلبي ، وخطر قد يهدد الاستقلال السياسي لهذه المنطقة ، ويسلبها حرية القرار ، ومرونة التصرف بواردها ، على الرغم من ايماننا ببعض الجوانب الايجابية لتعدد الثقافات ، اذا كانت عمليات التفاعل هذه متكافئة ومخططة .

ان الامكانات المادية المتاحة للشباب الخليجي بشكل عام ، واحتمالات تطوره غير التدريجي ، قد يزيد من احتمالات توظيف المال لخلق فرص كثيرة ومتنوعة لقضاء اوقات فراغ غير هادف ولا مبرمج ، قد تصرفه ، او قد تضعف الرغبه في السعي الى تطوير نفسه بما يضمن له بناء مستقبله المادي والاجتماعية ، ان الرخاء المادي هذا لمعظم العوائل ، مع احتمالات سوء استخدامه ، قد يؤدي ايضاً الى ضعف التفاعل بين افراد الاسرة ، اذ ان من مظاهر الرخاء هذا مثلاً ه التنقل بالسيارات بشكل فردي ، وتناول وجبات الطعام بشكل منفصل ، وتلك مصادر مهمه للضغوط (STRESS) Groen g Bastiaans, 1975, p 31 34 اذ ان مظاهراً كهذه تقلل من احتمالات اتصال الشاب بافراد اسرته ، فيضعف دورها في تقديم السند الانفعالي ، وعندها يصبح الاتصال ضمن العائلة والمدرسة ، وفي موقع العمل مسببا للضغوط .

ان وضعاً كهذا يزيد من احتمالات تعرض الشباب لضغوط خارجية تكون بمثابة اعباء مضافة تثقل كاهله ،

الى جانب مايعانيه الشباب في مرحلة المراهقة – على الاخص – من مشكلات ذات صلة بنموه الجسمي والاجتماعي والانفعالي ، وما تتطلبه هذه المشكلات من استجابات توائمية تتناسب والتغيير في تلك الجوانب ، كل ذلك وغيرها من الامور يزيد من احتمالات تعرض الشباب في هذه المنطقة لمشكلات يعاني منها طلبة المدارس الاعدادية (المتوسطة) والثانوية ، هي مشكلات نفسية انفعالية (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٦٠

ان ماسبق يشير الى ان التوجه الى الشباب باعتبارهم القوة الفاعلة في اي تنمية اقتصادية وسياسية واجتماعية تنشدها في المنطقة ، يعني التوجه الجاد الى هذا القطاع بالرعاية من مختلف الجوانب المختلفة ، علمية كانت او اجتماعية او سياسية او نفسية ، وصعوبة الفصل بينها ، فان الاهتمام بالجانب النفسي للشباب في منطقة الخليج العربي يعتبر محور اي توجه فاعل للتخطيط .

ان ادراك مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية لاهمية دراسة المشكلات النفسية للشباب في دول الخليج العربي ، يتضح من خلال اعتبار المكتب لهذا الموضوع محورا اساسياً من المحاور التي يطاحها في ورقة المعلومات لندوة الشباب والمشكلات المعاصرة في المجتمع العربي الخليجي (مكتب المتابعة ، ١٩٨٥ ، ص ٣) ، وما التكليف بهذه الورقة الامؤشراً اجزائياً لهذه الاهمية .

ان اهمية دراسة المشكلات النفسية للشباب الخليجي اصبح امراً مسلما به ، غير ان الاهم من ذلك هو كيفية الاستجابة لذلك .

ثانياً : اتجاهات تناول المشكلات النفسية وتلانحرافات السلوكلية :

هناك : على الاقل – ثلاث اتجاهات في الاستجابة لموضوع كهذا :

اولاً : اجراء بحث ميداني يشمل الدول العربية الخليجية السبع .

الثاني : مراجعة الدراسات السابقة في هذا المجال ومعالجتها احصائياً بهدف توحيدها ، والخروج بنتاج توليفية جديدة synthsisوذلك بالاستفادة من الاسلوب المعروف بـ Meta l Analysis(Glass and Others, 1981)

الثالث : القيام بدراسة مكتبية تعتمد على ماكتب عن الشباب بشكل نظري ، وعلى نتائج الدراسات السابقة .

ان الاتجاه الاول – في راينا – هو اتجاه المناسب والمنسجم مع طبيعة الندوة العلمية ، وهو الاستجابة الصادقة للتكليف ، غير ان مقدمة هذه الورقة ، ولمحدودية امكاناته ، ولقصر الوقت بين التكليف وتسليم البحث ، لم يكن بامكانه الاستجابة لهذا التكليف بهذه الاتجاه لاستحالة حصوله على عينات من الشباب من

الاقطار الخليجية ، كما انه لايؤمن بالتستر وراء حدود البحث - خاصة في بحوث ذات اهداف تطبيقية - كان يتم اختيار عينه من الشباب ، وممن يستطيع الباحث الوصول اليهم - طلبة عراقيين مثلاً - او تقديم بحوث اجريت لاغراض اخرى في الاساس ، وعند ذلك يكون الهدف هو الاستجابة فقط واشغال حيز في الندوة لاغير ، والى مثل هذه الصعوبات يشير اسماعيل عند دراسته لمشكلات الشباب الاجتماعية في الدولة العربية الخليجية والاوضاع المتغيرة (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٨ ، ٩ ، ٧٢) .

اما الاتجاه الثاني :

فلم يكن بالامكان السير فيه لعدم وجود بحوث في هذا المجال تشمل الدول العربية الخليجية ، ولان هذا الاسلوب يحتاج الى مستلزمات تفتقر اليها اغلب البحوث في وطننا العربي ، التي تغفل النظرة المستقبلية للاستفادة من بياناتها من اجل ان يكون هناك اتفاق بين الباحثين على الحد الادنى من مستلزمات التوثيق للبحوث العلمية .

اما الاتجاه الثالث :

فهو مالايعتقد مقدم هذه الورقة بجدواه - على الرغم من سهولة طرقة - سواء بالنسبة لهذه الندوة التي يشير هدفها الاول الى « الوقوف على اوضاع مشكلات الشباب العربي الخليجي من حيث النوع والانتشار » (مكتب المتابعة ، ١٩٨٥ ، ص ٢) . او لكون هذا الاسلوب - في الغالب - لايصل الى نتائج تشكل اضافات جديدة للظاهرة المدروسة . كما انه يفرض استنتاجات مشبعة بالذاتية ، ويغلب عليها طابع تكرار المعلومات في صياغات جديدة ، في عصر نشكو فيه من مشكلة التوثيق وغزارة المعلومات وان مقدم هذه الورقة من الذين لايشجعون هذا الاتجاه ، على الاخص في الملتقيات العلمية ، الا اذا استطاع مقدم « المقال » ان يخرج باستنتاجات جديدة يحكم الوصول اليها اسلوب التفكير العلمي ومنهجه والتاطير النظري الرصين ومن خلال تحليل قام به مقدم هذه الورقة (لم ينشر بعد) لعدد من « المقالات » ذات الطابع المكتبي ، لم يجد اي منها قد توصل الى مثل تلك النتائج بل ان معظمها تكرار وفائض كلام .

وازاء ذلك كله وامور اخرى سيرد ذكرها ، كان الاتجاه الوحيد امام مقدم هذه الورقة هو الخروج بدراسة مقترحة للمشكلة المطروحة يتبناها مكتب المتابعة ، بعد الاتفاق على المصطلحات ومنهجية البحث ، وبشكل يتناول المشكلة بجدية ، اذ كثيرا ماتبدل الجهود ، وتصرف المبالغ ، وتكون النتيجة هو التحفظ واعتبار الدراسة بداية لدراسة اعمق .. وهكذا ، والى مثل ذلك تشير احدى الدراسات المقدمة الى مكتب المتابعة - التي امتازت بالموضوعية والمنهجية الرصينة في تدوين النتائج .

« وانما يمكن القول بان الدراسة الحالية ماهي الا محاولة للاحاطه بالجوانب العامة للموضوع ممايمكن ان يشير الى دراسات وبحوث اخرى اكثر تعمقاً وتفصيلاً ، ويزيد من تأكيد هذا التحفظ عدة عوامل احاطت بهذه الدراسة ، ويزيد من تاكيد هذا التحفظ عدة عوامل احاطت بهذه الدراسة ، اولاً ان ردود الدول الاعضاء قد تأخر عن موعد وصوله بوقت كبير ، وفضلاً عن ذلك فان الكثير من الاستبيانات قد خلا من الاجابة على عدد من الاسئلة بحيث وصل العجز فيها في بعض الاحيان الى الثلاثة ارباع او اكثر من البيانات المطلوبة ، ومنها كذلك ان بعض الارقام والجداول كان يعوزها الدقة ، ان العديد من الدراسات ليس احسن حالاً مما ذكر لسبب وآخر وهذا من العيوب المنهجية الكبيرة في اغلب بحوثنا » (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٩) .

وعليه ، كما اسلفنا ، اتجهت هذه الورقة الى تقديم خطة مقترحة تمثل توجهاً لدراسة المشكلات النفسي والانحرافات السلوكية لشباب الدول العربية الخليجية بهدف الوصول الى نتائج ذات فوائد تطبيقية وليس مجرد تراكم معلومات نظرية تضيف عبئاً جديداً الى ارشيف المكتب .

ان وضع خطة مقترحة لدراسة المشكلات النفسية والانحرافات السلوكية لايعني البدء من فراغ ، بل ان الدراسات السابقة - رغم محدوديتها والتحفظات المنهجية على بعضها - ستكون هي الركيزة الاساسية لذلك ، وسوف نعمد الى مناقشة المشكلات التي ينبغي ان تحدد الدراسة المقترحة موقفها منها من خلال ماورد في تلك الدراسات السابقة ، وكما يلي :

١ - تحديد المطلحات :

ان الخاصية الاساسية لاي بحث علمي (وكما يشير [illegible] هو القدر على اعادته ، ومن اهم المستلزمات التي ينبغي توافرها في البحث العلمي ، لكي يكون بالامكان اعادته ، هو توافرها في البحث العلمي ، لكي يكون بالامكان اعادته ، هو القدرة على تعريف المفاهيم والمصطلحات الواردة في البحث وبشكل يكون بالامكان فهمها بنفس المستوى من الباحثين الآخرين الذين يعملون بشكل مستقل ([illegible] .

ومن المصطلحات ذات العلاقة ، والتي ينبغي البت في تحديدها هي :

أ - الشباب

ب - المشكلات

جـ الانحرافات السلوكية

أ - الشباب :

لقد ظهر من خلال الاطلاع على الدراسات في هذا المجال غياب اللغة المشتركة بين الباحثين للتفاهم بها فيا يتعلق بمفهوم او مصطلح الشباب ، ولعل خير مابعكس هذا الغموض ماطرحه ابو حطب (١٩٨١) في دراسة عن الشباب ، اد يذكر مايلي : « لعل مرحلة من مراحل عمر الانسان لم تتعرض لغموض المعنى وفوضى الالفاظ كا حدث لما يسمى مرحلة الشباب حتى وصل الامر الى حد ان كل مايقع بين الطفولة والشيخوخة يكاد يوصف بالشباب » (ص ١) ولشعور ابو حطب باهمية الوصول الى فهم واضح لمرحلة الشباب فانه تطرق الى آراء متعدد خلص في نهايتها الى ان مرحلة الشباب تبدا بسن ١٧ ، وبالذات السنة النهائية من التعليم الثانوي (حسب النظام المصري) ، واعتبر هذا التحديد لبداية الشباب ملائم لطبيعة مرحلة الشباب في مصر وخاصة الطلاب منهم ، وهو بذلك يقصر الشباب على الطلبة ويضع البداية ولكنه يهمل النهاية (ابو حطب ، ١٩٨١ ، ص ١ - ٥) ، بينما نجد عبود (١٩٨١) يستخدم مصطلح الشباب دون ان يحاول وضع وصف او تعريف وأضح لهذا المفهوم (ص ٢) ، اما قناوي (١٩٨١) فانه تعرض الى وجهة النظر النفسية للشباب ، فبعد ان عرض عدة آراء حول تحديد مرحلة الشباب واشار الى اختلاف الآراء حول تحديد بداية ونهاية هذه المرحلة تجاهل مسالة الخروج بتحديد لهذه المرحلة خاصة بدراسته (ص ٤ - ٦) ، اما حجازي (١٩٨٥) فقد حدد بداية مرحلة الشباب بالخامسة عشرة او قبلها بقليل ، اي بلوغ القدرة على التناسل وتيقظ الحاجة الجنسية - ويعين نهايتها بالخامسة والعشرين وما نحوها (ص ٣٣ ، ٣٦) ، فيا حدد اساعيل (١٩٨٤)مفهوم الشباب على وجه العموم بالمرحلة العمرية من حياة الانسان التي تقع مابين الخامسة عشر والرابعة والعشرون ، متمشياً مع ما اصطلح عليه على مستوى الدولي - كا يذكر - ومبرراً ذلك باعتبارات نفسية واجتاعية (ص ٢١) .

هناك تحديدات متنوعة وعديدة لهذا المفهوم ، فمنهم من يقصرها على طلبة مرحلة التعليم الثانوي (جلال وسلطان ، ١٩٦٦) ، وآخرون على طلبة الصفوف الثانية والثالثة والرابعة من طلبة الجامعة (الجسماني ومهدي ١٩٨٤) فيا حددت دراسة اخرى الشباب بالمرحلة الاعدادية والثانوية والجامعية (الشيباني ، ١٩٧٣) ، او على طلبة الجامعات فقط (نجاتي ، ١٩٦٢) .

ان لغة كهذه تمقد التفاهم دون ان تسهله ، كا انها تنبه الى ضرورة ان تكون اول مهمة تجابه الباحث في مجال الشباب هو تحديد مرحلة الشباب وتعريفها لتعتمده كل اقطار الخليج ،لكي يكون هناك فهم مشترك سواء كان على مستوى اجراء البحث (جمع البيانات ومعالجتها وعمل الاستنتاجات) او على مستوى تطبيق النتائج ، وفي هذا المجال لانجد مثل هذا الاتفاق بين دول الخليج ، اذ بينما نجد كل من دولة البحرين ودولة الكويت تحدد فترة الشباب بالفئة العمرية مابين ١٥ - ٢٤ سنة ، نجد ان دولة الامارات العربية المتحدة تحددها بالفئة العمرية مابين ١٥ - ٤٤ (ص ٢٢) ! (اساعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٢٢)

وزاء ذلك فان البحث المقترح يسلتزم تزويده بتحديد الفئه العمرية التي يمكن ان تلتزم بها كل الدول الخليجية لكي يكون بالامكان السير في البحث ، ويكون بالامكان الاستفادة من نتائجه على مستوى التطبيق .

هذا وتقدم هذه الورقة مقترحاً لتعريف مرحلة الشباب اعتماداً على وجهات نظر نفسية واجتماعية ـ فنقترح ان تكون بداية فترة المراهقة (ظهور دم الحيض عند الانثى والاحتلام عند الذكر) بداية لمرحلة الشباب ، وسيفترض بشكل مبدئي على ان سن الثالثة عشرة هي بداية لمرحلة المراهقة ، ويستبعد من لم يدخلها (بدلالة الحيض والاحتلام) وعلى الرغم من الصعوبات الاجرائية لهذه التحديد لكنه ذو دلالات في مجال البحوث ذات الطابع النفسي والاجتماعي .

ان اعتبار بداية فترة المراهقة هي بداية مرحلة الشباب له دلالته النفسية لانها العلاقة المميزة في مفارقة مرحلة الطفولة الى المرحلة الاخرى (المراهقة) التي تعتبر « ولادة نفسية جديدة » التي ترافقها مشكلات قدتنسحب آثارها الى سنوات مابعدالمراهقة وتختلط مع المشكلات الاخرى ، ولابد اذن من حصرها وتتبعها منذ البداية .

اما نهاية فترة الشباب فاننا نقترح الزواج ، باعتباره العلامة المميزة الاخرى – في منطقتنا على الاقل – التي تنقل الانسان من مرحلة المعاناة فيتصريفالجنس ، ومرحلة الاعتماد على الغير ،والكبت ومشكلة الانصياع للوالدين والمسؤولين عن اعالته ، والتفاعل مع مجموعات مرجعية تقترب منه في فصائلها الى مرحلة تختلف عن سابقتها بأغلب تفاصيلها ، وهذا ماجعل مشكلات ماقبل الزواج من نمط قد يختلف الى درجة كبيرة عن مشكلات مابعد الزواج ، كما ان الانحرافات السلوكية لما قبل الزواج اكثر احتمالاً في ان تكون ذات طابع يختلف من حيث النوع والتكرار عن الانحرافات السلوكية لما بعد الزواج ، وحين يفترق الزوجان لسبب او لآخر (طلاق ، انفصال ، وفاة) يصبح انساناً من صنف آخر بمشكلات وانحرافات سلوكية محتملة تختلف (في الغالب) عن نضيرة ممن لم يلزم نفسه بالزواج بعد ونظراً لاحتمال وجود اشخاص قد يمتد بهم الامر الى ان لايتزوجوا الافي عمر متقدم اوقد لايتزوجوا ، ولاننا لانريد ان نمد مرحلة الشباب كثيراً ولانرغب بتركها ، مفتوحة ، نقترح ان تكون نهايتها هي الزواج (بضمنها الانفصال لاي سبب كان) ، او ببلوغ الثلاثين عاماً لمن لم يتزوجوا باعتبارها سن يكون فيها قد انهى احتمالات سعيه للتحصيل (في الغالب) وتأكد من اتجاهات تحقيق طموحاته ، وبامكانه الزواج ، وعلى الرغم من ذلك فاننا نرى – كما يرى الآخرون ممن عرضنا افكارهم – بان مسالة تحديد البداية والنهاية لمرحلة الشباب هي مسالة اعتباطية ، ولكن ماهو مهم هنا ان يكون هناك اتفاق بين الدول العربية الخليجية على بداية المرحلة ونهايتها تلتزم بها كل تلك الدول .

ب - المشكلات :

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة وجد ان اغلبها لم يتصد لتعريف هذا المصطلح بشكل صريح ، غير ان الغالبية سلمت بتعاريف ضمنية من خلال اداة البحث المستخدمة لجمع المعلومات . ومن الملاحظ ان معظم تلك الدراسات قد اعتمدت على قوائم (موني MOONEY) للكشف عن المشكلات ، ،

وفي ذلك اشارة الى ان المشكلة هي استجابة لفظيه يعبر بها المستجيب عما يشعر به وقت الاستجابه من ضيق من ضيق او الم او ازعاج او اي صعوبة ذات علاقة مباشرة او غير مباشرة بالعمل المدرسي ، ولكي يتضح مالذي يعنيه مصطلح المشكلات نعرض فيا يلي بعض التعاريف المطروحة لمصطلح مشكلة والتي اوردها (الحرش ١٩٨٢) .

- عرفها وورن (WARREN) بانها صياغة موقف تكون فيه بعض العناصر او الظروف او العوامل المعنية معروفة او غير معروفة ، وتكون المعطيات آنذاك هي محاولة اكتشاف العناصر غير المعروفة او تلك الظروف المجهولة .

- ويعرف لالند (LALANDE) بانها مسالة مطروحة للحل بها صعوبة .

- ويعرفها كود (GOOO) بانها اي موقف مهم ومعقد وباعث على التحدي ، سواء اكان موقفاً طبيعياً ام مصطنعاً والذي يتطلب حله امعاناً في التفكير .

- ويعرفها بدوي بانها ظاهرة تتكون من عدة احداث او وقائع متشابكة وممتزجة بعضها بالبعض الاخر لفترة من الوقت ويكتنفها الغموض واللبس تواجه الفرد اوالجماعة ويصعب حلها قبل معرفة اسبابها والظروف المحيطة بها وتحليلها للوصول الى اتخاذ قرار بشانها .

- ويعرفها الراوي بانها حالة تحد تتطلب بحثاً ودراسة وصعوبة تحتاج الى حل .

- ويعرفها لاروس (LAROUSSE) بانها سؤال يجب حله بطرق علمية ، وهي كل ما هو صعب شرحه او حله يعتبر مشكل حقيقي .

- كل استجابة ايجابية لطلبة الصف الخامس العلمي في العراق ونظيره الصف الثاني الثانوي في الجزائر - بالتاشير على فقرات الاستبيان التي يشعر بانها تصف مشاعره من ضيق او الم او ازعاج او ارتباك او خوف (ص٣٢ ، ٣٣) .

من التعريفات اعلاه يتضح ان المشكلة لايشترط فيها ان تكون ذات دلالات سلبية ، بل قد تكون بداية لنمو جديد في مجال معين ، من خلال مجابهة المشكلة بالتحليل ومعرفة الاسباب ، ووضع البدائل لحلها ، واختيار المناسب من تلك البدائل ، وبالتالي اضافة خبرة جديدة .

ومن ذلك يتضح ان المشكلة في بحثنا المقترح ينبغي ان يكون لها تحديد وفهم ، يستند الى بعض العناصر التي ذكرت في تعريف المشكلة ، ويتناسب مع توجهات الدراسة الحالية ، ومن ذلك نرى ان تعريف

المشكلة النفسية الذي يتناسب والدراسة الحالية هو :
حالة داخلية او خارجية يبدي الشاب معاناته منها ، من خلال المبادرة بالتصريح بها لفظاً ، والاعراب عن احساسه معها بالضيق او الازعاج او الارتباك او الخوف ، ولديه رغبه في التخلص منها ، لكنه يجد صعوبة في ذلك ، اما لتعقد الحالة وغموضها ، وصعوبة اكتشاف عناصرها واسبابها (مثل اشعر بالقلق في كثير من الاحيان) ، او لوجود عوائق خارجيه مثل يشدد علي والدي في الخروج او ذاتيه مثل اجد

(كان اجد صعوبة في تركيز ذهني في الاستذكار) تحول دون السير في حلها والتحرر من معاناتها .
ففي مشكلة (كالشعور بالقلق في اكثر الاحيان) تكون في العادة حالة غير واضحة الابعاد ومعقدة النشوء ، ويصعب معها على الشاب السير في التحرر منها لانه لايستطيع الوقوف على الاسباب الحقيقة لتلك الحالة ، اما معاناه الشاب من ضغوط والديه عليه في عدم الخروج (كمشكلة يشدد علي والداي في الخروج) او تدخلهم في اموره الخاصة المتعلقة بالمظهر او عدم الموافقة على خياراته ، فان الشاب في هذه الحالة عارف بابعاد مشكلته قادراً على السير في حلها والتخلص مما تسببه له من ضيق وعدم ارتياح ، لكنه يخفق لوجود متغيرات خارجية هي سبب المشكلة من جهة والسبيل الى حلها من جهة اخرى ، ومما يعقد المشكلة في هذه الحالة هو [illegible] الاعاقة ([illegible]) في ذلك مايدعو الى مشكلة ، وفي بعض المشكلات يكون سبب المشكلة هي قدرات الفرد الذاتية (فمشكلة انني اجد صعوبة في تركيز ذهني في الاستذكار ، او يؤلمني الحصول على درجات منخفضة)
- على الرغم من تعقدها وعلاقتها بمتغيرات خارجية - فانه يمكن القول بان قدرات الفرد الذاتية هي السبب الواضح للشاب في عدم التمكن من التحر ر من هذه المعاناة .

جـ - الانحرافات السلوكية :

لم يطلع مقدم هذه الورقة على تعريف لمصطلح الانحرافات السلوكية لبحوث سابقة ، غير ان هناك بعض الدراسات التي اجريت على الطلبة درست بعض الظواهر السلبية (عزيز ، ١٩٨٤) ، والمشكلات السلوكية (خضير والقيسي ، ١٩٨٤) والتي اعتبرت انحرفات سلوكية من قبل ادارة الجامعة ، مثل الغش في الامتحان ، عدم المحافظة على ممتلكات الكلية ، الكذب على الاساتذة ، حيث عرفت الظواهر السلبية والمشكلات السلوكية بانها « اي تصرف خاطيٍ يصدر عن الطلبة ولاينسجم مع تقاليد وقيم المجتمع ويخالف القوانين والانظمه الجامعية » (خضير والقيسي ، ١٩٨٤ ، ص ٧) ، كما ان هناك دراسات اخرى تناولت جنوح الاحداث ونظرت الى الانحراف على انه « مظاهر السلوك غير المتوافق مع السلوك الاجتماعي السوي »

وغالباً ماتقتصر دراسات جنوح الاحداث على المظاهر السلوكية التي يحاسب عليها القانون ، كالسرقة ، والايذاء ، والاغتصاب ، او اي فعل اخر معاقب عليه لمساسه بسلامه المجتمع وأمنه وهما يعتبر انحرافا حاداً (ابراهيم ، ١٩٨١ ، ص ٤٠) .

فيما لم تتطرق هذه الدراسات الى النوع الآخر من الانحرافات التي لاتتضمن جريمة ، ولاتعتبر جنوحاً . وهو ~~الانحرافات~~ الذي ينطوي على مجرد مظهر من مظاهر السلوك السيء ، كعدم الطاعة ، او المروق من سلطة الوالدين ، او عتياد الهرب من البيت او المدرسة ، او مخالطة ذوي السيرة السيئه ، ومثل هذه الانحرافات اذا لم تعالج وتقوم قد تتطور الى انحرافات حادة ينطبق عليها وصف الجنوح (ابراهيم ، ١٩٨١ ، ص ٤٠) .

وهنا يبدو وبشكل واضح ان مايراه الآباء والقانون انحرافاً سلوكياً للشباب ، قدلايراه الشاب نفسه كذلك ، كما ان مايعتبر انحرافاً سلوكياً في عرف مجتمع ، قد لايكون كذلك في مجتمع آخر ، لذلك فاننا وان كنا نهدف الى دراسة الانحرافات السلوكية للشباب كما يراها المجتمع ، فانه من المفيد ان نعرف وجهة نظر الشاب فيما يراه المجتمع انحرافاً سلوكياً .

ومن ذلك نعرض التعرف التالي للانحرافات السلوكية للمناقشة : « اي مظهر سلوكي يبديه الشاب ، وينظر اليه المجتمع او القانون على انه سلوك خاطيء او شاذ او منحرف او غير مرغوب فيه » .

٢ - اداة البحث واساليب جمع البيانات :

أ المشكلات النفسية :

لقد تم الاطلاع على عدة دراسات اهتمت بمشكلات الشباب في بعض الدول العربية الخليجية ، فقد كان هدف احداها التعرف على مايواجه طلبة جامعة الرياض من مشكلات ، حيث قدمت لهم قائمة تضمنت مشكلات غطت جوانب متنوعة من الحياه الجامعية على غرار قائمة موني (البدري ، ١٩٧٢) ، فيما اعتمدت ثانية على استجابات بعض الدول الاعضاء في مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ... فقرة طلب فيها ذكر اهم خمس مشكلات يعاني منها الطلبة في المرحلة الثانونيه ، ولم يذكر الاسلوب الذي اتبعته تلك الدول في حصر تلك المشكلات (اسماعيل ، ١٩٨٤) . واستخدمت دراسة خليجية اخرى قائمة « موني » للمشكلات لغرض التعرف على مشكلات عينة من طلبة دولة الامارات العربية المتحدة (الجسماني والطحان ، ١٩٨١) ، اما (جابر وسلامة ، ١٩٨٢) فقد استخدما قائمة « موني » للمرحلة الاعدادية للتعرف على مشكلات طلبة المرحلة الاعدادية من القطريين وغير القطريين . ولغرض التعرف على المشكلات الرئيسية لطلبة مرحلة الدراسة المتوسطة في العراق استخدمت قائمة « موني » للمرحلة

المتوسطة (الالوسي وآخرون ، ١٩٧٨) كما استخدم الرحيم وآخرون (١٩٦٧) نفس القائمة لغرض التعرف على مشكلات المراهقين في مرحلة الدراسة المتوسطة في العراق ، وطور لحرش (١٩٨٢) ، الذي كان احد اهداف بحثه هو التعرف على المشكلات التي يعاني منها المراهقين في العراق ، قائمة على غرار قائمة « موني » .
من الدراسات الخليجية يتضح انها قد استخدمت قائمة «موني» او مايشابهها ، هذا وقد اشار (حجازي ، ١٩٨٥) الى قصور هذه الانواع من القوائم ، وابدى تحفظه عليها ، ونبه الى ضرورة استخدم اسلوب التعبير الحر للشباب ، والتقارير الشخصية ، وتواريخ الحياة وتحليلها باتباع اسلوب تحليل المحتوي Content Analyses ويصف المعلومات التي يمكن الوصول اليها بهذه الاساليب بانها ذات عمق وخيال (ص ٢٩) ، ونحن نرى اهمية تعدد الاساليب في هذا المجال .

ب - الانحرافات السلوكية :

هناك صنفان من الدراسات التي امكن الاستفادة منها في هذا المجال ، تناول الصنف الاول جنوح الاحداث ، فيما درس الصنف الثاني الظواهر السلوكية السلبية للطلبة ، وقد اعتمدت الدراسات من الصنف الاول في جمع بياناتها على سجلات الدوائر المسؤولة عن جنوح الاحداث وعلى تصنيفات الجنوح الخاصة بها ، وقد اتضح ان تلك التصنيفات المستخدمه في حصر وتكيم مظاهر الجنوح كانت غير متساوقة من دولة خليجية لأخرى (سرحان ، ١٩٨٤) (الدباغ ، ١٩٧٥) (اسماعيل ، ١٩٨٤) وحتى من مؤسسة لاخرى ضمن الدولة الواحدة (حسين ، ١٩٨٤) .
ومن ذلك يتضح ان ليس هناك تصنيفا موحدا يجمع اقطار الخليج العربي ، وفي ذلك اشارة الى ضرورة ان يصار الى تصنيف موحد لدول الخليج لكي يكون بالامكان تناول مشكلة الانحرافات السلوكية للشباب قس تلك الاقطار ، اذ ليس بالامكان قياس هذه الظاهرة وتكيمها بدون اداة موحدة ، ومسالة التصنيف في دراسة الانحرافات السلوكية مسالة مهمة جداً اذ « يمثل التصنيف العلمي للمودعين في مؤسسات الاحداث عملية هامة يجب اعتماده وتطبيقها في كل مؤسسة من هذه المؤسسات لارتباطها الوثيق وعلاقتها المتفاعلة مع برامج واساليب العمل واجبه التطبيق في المؤسسات (لان التصنيف يمثل منهجاً يوفق بواسطته بين التشخيص وتحديد برامج المعاملة (والتصنيف) ليس هو التشخيص والتدريب وبرامج المعاملة فحسب ، بل هو المنهج والاجراءات التي توجه هذه البرامج نحو معاملة الفرد ، اي انه يجمع بين التشخيص وبرامج المعاملة وبين طريقة التنفيذ لكل حالة » (الخيرو ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٣) .
وعليه فإن اولى مستلزمات دراسات الانحرافات السلوكية ان تحسم مسالة التصنيف لهذه الظاهرة من قبل اقطار الخليج العربي قبل ان يكون هناك توجه مشترك لهذه الظاهرة ، سواء كان في دراستها او في اعداد البرامج للتصدي لها .

وعلى الرغم من تعقد الاعتبارات في تصنيف الانحرافات السلوكية ، وتفاوت الطرق التي تُتبع في اجراء التصنيفات وتطويرها ، تبعاً لتفاوت ولقع واوضاع الاجهزة التي تتعامل مع الاحداث الجانحين (الخيرو ،١٩٨٤ ، ص ١٨٥) ، فاننا ولاغراض هذه الدراسة نقترح التصنيف التالي الذي اورده الدباغ (١٩٧٥) :

١ - جرائم السرقات بصورة عامة :

أ - السرقة حسب اماكن وقوعها (في المساكن او المحلات التجارية او السطو على المحلات الاخرى .. الخ) .

ب - السرقة حسب ظروفها (بالاكراه والعنف ، بالسلاح او بدونه .. الخ) .

جـ - الاختلاس (سرقة اموال بحيازتهم ، اي في دورهم او المحل الذي يعملون فيه) .

٢ - الجرائم المخلة بالاخلاق والآداب العامة :

أ - سوء السلوك

ب - افساد الاخلاق ، ممارسة القمار ، وخدمة من يقوم بذلك .

جـ - النصب والاحتيال والرشوه .

د - الهرب من المدرسة .

هـ - القذف والسب .

و - المروق (اي الهرب من سلطة الاب او الولي او الوصي او مخالطة المشردين) .

٣ - الجرائم الجنسية

أ - الاغتصاب (هتك العرض بالقوة واكراه) .

ب - هتك العرض لمسلوب الارادة .

جـ - المثلية الجنسية (اللواطة) .

د - الافتضاحية (كشف العورة امام الاخرين)

هـ - توزيع الصور والنشرات الجنسية المخلة بالآداب والحياء .

٤ - جرائم العنف والقتل :

أ - القتل العمد .

ب -القتل الخطأ .

جـ - الايذاء الجسمي (العراك)

د - حمل السلاح (دون ترخيص رسمي) .

هـ - التخريب والشغب

٥ - تعاطي المخدرات والاشتراك بتسويقها وبيعها .

٦ - الحريق العمد ، والغرق العمد .

٧ - التزوير وتقليد الاختام والمعلومات والطوابع وجوازات السفر .

٨ - التشرد (التسول في الطرق العامة) ، وتصنع الاصابة بالجروح او العاهات او استعمال وسائل الغش لكسب عطف الجمهور ، وكذلك ممارسة جمع الفضلات ومن لايكون له محل اقامة معين .

٩ - مخالفات المرور .

١٠ - الاخبار الكاذبة ، شهادة زور ، اليمين الكاذبة .

١١ - انتحال الوظائف والصفات والشخصيات .

١٢ - الهرب من المدرسة الاصلاحية او دار الملاحظة او دار رعاية الفتيان .

١٣ - المخالفات المتعلقة بالاضرار بالصحة العامة او الراحة العامة او قتل الحيوانات (ص ٢٩ - ٣٠)

اما النوع الثاني من الدراسات التي تناولت الظواهر السلوكية السلبية لدى طلبة الجامعات ، فقد اعتمدت في جمع البيانات على ادوات تم اعدادها من الباحثين انفسهم على شكل استبيان يتضمن فقرات تشير الى ظواهر سلوكية متنوعة مما يشيع في الاجواء الدراسية (عزيز وآخرون ، ١٩٨٤) (خضير والقيسي ، ١٩٨٤) .

وفي هذا المجال فاننا نقترح الى جانب التصنيف الذي ذكر سابقاً ، الاعتماد على الاستفتاء المفتوح والمقابلات الشخصية لغرض التعرف على مظاهر اخرى للسلوك المنحرف مما لم يرد في التصنيف السابق

٣ - العينة :

لقد كان هدف دراسة الجسماني والطحان (١٩٨١) هو التعرف على اهم المشكلات التي يعاني منها الشباب في دولة الامارات العربية المتحدة ولجمع البيانات ذات العلاقة بالهدف استخدمت عينه

تتكون من ٩٨ طالباً من طلاب المرحلة الثانونية الذين تروحات اعمارهم بين ١٥ - ٢٠ سنة ، حيث تم اختيار كافة طلاب الصفين الثاني والثالث الثانوي في مدينة العين ، اما دراسة البدري وآخرون (١٩٧٢) التي هدفت الى التعرف على اهم مايواجه طلبة جامعة الرياض من مشكلات ، فقد شملت ٧٠١ طالباً موزعين على الكليات جامعة الرياض ، اما الدراسة الخليجية الثالثة فقد اجراها جابر وسلامة (١٩٨١) على عينة من طلبة المرحلة الاعدادية في قطر تألفت من ٣٤٢ طالباً وطالبة كان متوسط اعمارهم ٤ر١٤ فيما كان متوسطة اعمار الطالبات ٣٢ر١٦ ، هذا وقد اجريت العديد من الدراسات في العراق اختير جميع افراد عيناتها من بين طلبة المدارس ، كمدراسة الالوسي وآخرين (١٩٧٨) التي شملت ٣٠٠ طالباً وطالبة من الدراسة المتوسطة ودراسة السواد (١٩٦٩) التي اجريت على عينه من ٥٣٦ طالباً من طلاب المدارس الاعداية في مدينة بغداد ، حيث تروحات اعمارهم بين ١٥ - ٢١ سنة ، ودراسة الرحيم وآخرين (١٩٦٧) حيث جمعت بياناتها من ٣٩٧ طالباً وطالبة من المدارس المتوسطة ، متوسط اعمارهم بين ١٥ر٨ - ٧ر١٦ سنة ودراسة لحرش (١٩٨٢) التي كان هدفها المقارنة بين مشكلات المراهقين في العراق والجزائر ، حيث اعتمد في جمع بياناته عن العراق على عينه بلغ عدد افرادها ٦٠٠ طالباً وطالبه من المدارس الاعدادية والثانوية لمدنة بغداد تروحات اعمارهم بين ١٥ - ٢٠ سنة .

من الملاحظ ان الدراسات كانت حصراً على الطلبة ، وعلى مرحلة المراهقة الذين تروحات اعمارهم بين ١٥ - ٢٠ سنة ، بينما هناك نسبة لاباس بها من الشباب ممن هم خارج المدارس ، فمثلاً هناك نسبة الشباب الامي في الامارات تبلغ ٢٢ر٦ ٪ وفي البحرين نسبة مقدارها ٩ ٪ وفي الكويت ٤ر٩٪ (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٨٠) .

لقد شملت تلك العينات اقطاراً خليجية قليلة ، وهي في دراستها للظاهرة اختارت عيناتها بالاسلوب المتوفر ، من حيث الحجم واسلوب الاختيار ، دون مراعاة تمثيلها للمجتمع المدروس اوصلتها باهداف البحث وتصميه ، اذ ان اغلب الباحثين اختاروا العينات التي هم على تماس مباشر بها (الطلبة) ولذلك ولذلك خطورته في طبيعة النتائج وتحليلها وفي التوصيات التطبيقية التي تبني على تلك النتائج .

٤ - اهداف الدراسات :

على الرغم من ان الدراسات التي تناولت مشكلات الشباب وانحرافاتهم السلوكية في اقطار

الخليج محدودة جداً ، واقتصرت على دراسة مشكلات الطلبة في بعض اقطار الخليج ، فان اهدافها كانت محدودة ايضاً تركزت على كشف المشكلات التي يعاني منها الشباب لتلك الدولة .

٥ - النتائج :

على الرغم من ان الدراسات الت☆ على الرغم مما يذكر من محددات للدراسات السابقة في هذا المجال فان ماتوصلت اليه من نتائج يمكن تلخيصها كما يلي :

أ - المشكلات النفسية:

لقد تناولت الدراسات التي احريت في بعض الدول الخليجية الكشف عن المشكلات بشكل عام ، وقد كانت المشكلات النفسية واحدة من المجالات التي تم حصرها ، وتعرض فيما يلي النتائج المتعلقة بالمشكلات النفسية :

- لقد ابرزت دراسة البدري (١٩٧٢) التي اجريت على طلبة جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية المشكلات التالية من ضمن المشكلات العشر الاول :

- عدم وجود مرشدين يوجهون الطلاب ويحلون مشاكلهم .
- تزايد الخنفسه .
- انتشار اللباس الغربي غير المحتشم .
- العلاقة بين الطلاب غير وطيدة .
- البعد عن الاهل لفترة طويلة .
- تنتابني وساوس كثيرة .
- يضايقني الاحساس بالقلق .
- اشعر انني مقصر تجاه عائلتي .

اما دراسة الجماني والطحان (١٩٨١) فقد اشارت الى ان المشكلات التي تشغل اهتمام الشباب في دولة الامارات العربية المتحدة (عينه من طلاب المرحلة الثانوية في مدارس مدينة العين) الى حد كبيرٌ هي مشكلات ذات علاقة بالاخلاق والدين والتكيف الانفعالي والمنهج والدراسة وقضاء اوقات الفراغ ، ومن امثلة مشكلات التكيف الانفعالي هي :

- اسرح في الخيال .
- اثور وافقد اعصابي بسرعة .
- اني قلق جداً .
- اني سريع النسيان .
- ماأسرع تساقط الدمع من عيني .
- اما في المجالات الاخرى فقد اوردت الدراسة العديد من المشكلات نذكر بعض ماورد منها :
- افكر كثيراً في الموضوعات الجنسية .
- لااستطيع ان اسال والدي عن المسائل الجنسية .
- اتساءل هل اجد الزوجه المناسبة .
- لااستطيع التحكم في دوافعي الجنسية .
- احس انه لايوجد من يفهمني .
- اجد من الصعب التحدث عن مشاكلي .
- لاتتاح لي فرصة كافية لمتابعة هواياتي .
- لااصارح والدي بكل شيء عني .
- كثيراً ما تتعارض آرائي وآراء والدي .

وفي الدراسة التي قام بها اسماعيل (١٩٨٤) ذكرت بعض الدول الخليجية بعض مشكلات الطلبة في المرحلة الاعدادية وكما يلي :

- في الامارات ، ذكرت مشكلات ذات علاقة بالعمل المدرسي كالغش والغياب والتسرب .
- وفي البحرين اشير الى ان هناك مشكلات اسرية ، ونفسية ، دون ذكر امثلة لمثل تلك المشكلات .
- اما في السعودية فقد شخصت المشكلات على انها مشكلات نفسية ومشكلات اوقات فراغ .
- اما العراق فقد كان الجواب بان هناك مشكلات نفسية واسرية وعاطفية وانفعالية ومدرسية .
- امـا قطر فهي كالـدول الخليجيـة السـابقـة لم تعـط امثلـة لتلـك المشكلات غير انهـا اجـابت بـأن هنـاك

مشكلات سلوكية وصحية ، اضافة الى المشكلات المدرسية .

هذا وقد اوردت الدراسة امثلة لمشكلات الشباب دون ان تنسبها لاي من الدول كما يلي :

- مشاكل بسبب انفصال الاب عن الام .
- مشاكل تتعلق بالقلق لكونهم في مرحلة المراهقة .

● مشاكل بسبب التربية التسلطية لبعض الآباء والامهات .

● مشاكل تتعلق بالتربية الجنسية والاختلاط بين الجنسين وضعف التوجيه الاسري في هذا الجانب واسلوب التعامل بين الجنسين ، (اسماعيل ، ١٩٨٤ ، ص ٩٦) .

ان النتائج التي اوردتها الدراسات تشير الى ان اغلب المشكلات التي يتم الوصول اليها هي مشكلات ذات علاقة بالعمل المدرسي ، وانها مشكلات تتعلق بخصائص مرحلة المراهقة ، فجلها من النوع الذي يفيد في التوجه الفردي نحو الافراد (في عمليات الارشاد النفسي مثلاً) هذا وان ظهور مشكلات كهذه تحكيها طبيعة الاداة المستخدمة ، اذ استخدمت معظم الدراسات ، كما اسلفنا، قائمة « موني » للمشكلات ، بينما يكون من الافضل (وكما نعتقد) في دراسة كالتي ينبغي ان تأخذ طابعاً خليجياً ان تتناول المشكلات العامة التي تفيد في التوجه العام نحو قطاع الشباب ، كالمشكلات ذات العلاقة باوقات الفراغ ، وعلاقة الشباب باسرته وبمجتمعه (وكالتي اوردتها دراسة اسماعيل واشير اليها اعلاه) ، الى جانب المشكلات ذات الطابع الفردي التي تفيد في اعطاء تصور عن التوجه نحو الشباب بالنسبة للمشكلات ذات الطابع الجمعي. والى مثل ذلك يذهب حجازي (١٩٨٥) الذي يخلص الى ضرورة الوصول الى مشكلات ذات ارتباط مباشر بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والحضاري والابتعاد جهد الامكان عن اسلوب القوائم ذات التوجه الفردي والتي تفيد في رسم الخطط للخدمات الفردية والمدرسية ، ويوصي بضرورة التركيز على التعبير الحر الذي يمكن ان يعطي صورة اكثر صدقاً لما يعانيه الشباب فعلاً (ص ٢٨ ، ٢٩) .

وعلى الرغم من استخدام تلك الدراسات (على قلتها) لادوات متشابهة تقريباً ، فان ماتضمنته من اهداف وماستخدمته من معالجات احصائية واساليب لتكميم النتائج وعرضها ، وما وضعته من محددات ، كان بشكل غير متساوق من دراسة لاخرى مايجعل من غير المفيد عمل استنتاجات موحدة من تلك الدراسات، ومع ذلك فانه من الممكن الاعتماد على ماتوصلت اليه تلك الدراسات من نتائج في بناء الادوات التي سيتم تطويرها في البحث المقترح .

ب - الانحرافات السلوكية :

لقد اشير فيما سبق ، ان هناك صنفين من الدراسات مما يمكن عرض نتائجها تحت الانحرافات السلوكية ، الاولى تتعلق نتائجها بجنوح الاحداث ، والنوع الثاني تناولت بعض الظواهر السلوكية السلبية للطلبة ، هذا وان من ابرز الانحرافات السلوكية التي قام بها الاحداث الجانحون هي :

- السرقة
- التخريب .
- الاعتداء على الغير ، والايذاء والعنف ، والاعتداء على الممتلكات .
- تعاطي الخمور والمخدرات .
- النصب والاحتيال .
- شرب السكاير .
- القتل العمد والخطأ .
- المخالفات المرورية وجرائم الاخلال بالأمن .
- جرائم الجنس ، والفعل الفاحش ، والدعارة ، والاغتصاب .
- التشرد ، والهروب من المدرسة والبيت .
- التسول (سرحان ، ١٩٨٤) ٨ الدباغ ، ١٩٧٥) .

اما ماتم حصره من ظواهر سلوكية سلبية ذات علاقة بالدراسة فهي :

- الغياب عن الدوام .
- مشاكسة بعض الطلبة للاستاذ داخل الصف .
- عدم التزام الطالب بلتعليمات الصادرة عن الكلية .
- الغش في الامتحان .
- رمي الفضلات داخل الكلية .
- الكتابه على الجدران والمرافق .
- عدم الحفاظ على الممتلكان العامة (عزيز وآخرون ، ١٩٨٤) (خضير والقيسني ، ١٩٨٤) .

علماً ان الظواهر اعلاه قد تم تشخيصها من وجهة نظر المسؤولين وليس من قبل الطلبة ، وعلى الرغم من انها قد تكون امثلة للانحرافات السلوكية التي يمكن الاستفادة منها في الدراسة المقترحة ، الا انه ينبغي الكشف عن انحرافات سلوكية في مجالات اخرى ، وان تعرف وجهات نظر الشباب في تلك الانحرافات السلوكية .

القسم الثاني

خطة مقترحة لدراسة

المشكلات النفسية والانحرافات السلوكية للشباب

في الدول العربية الخليجية

لقد ركز القسم الاول من هذه الورقة على ابرز المشكلات المنهجية ذات العلاقة بدراسة المشكلات النفسية والانحرافات السلوكية للشباب في الخليج العربي ، في ضوء ماتم الاطلاع عليه من دراسات في هذا المجال ، هذا وان ابرز ماتم التركيز عليه هو :

١ . اقتصار الدراسات التي تم انجازها ذي هذا المجال على عدد قليل من اقطار الخليج ، وعلى شريحة معينه من الشباب ، وهم الطلبة اضافة الى كونها لم تهتم بمسالة التمثيل للمجتمع المدروس . اذ تناولت بالدراسة العينات المتاحة والتي كان بامكان الباحث الوصول اليها ، دون مراعاة لتمثيل بعض المتغيرات ذات العلاقة كالريف والحضر ، والجنس (ذكور ، اناث) .

٢ . تناولت المشكلات التي تمثل ظواهر بسيطة غير ممثلة لجوانب الحياة المختلفة ، وضعيفة الصلة بالواقع الاجتماعي والاحضاري والاقتصادي . لذلك جاءت النتائج تمس سطح الظاهرة ولبعد واحد ، دون ان تقدم تحليلات ذات عمق متعدد الابعاد ، يتناسب وتعقد الظاهرة المدروسة .

٣ . هناك تباين واضح بين دول الخليج العربي فيما تعنية بالمفاهيم ذات العلاقة . اذ ليس هناك تحديداً موحداً لمرحلة الشباب ، وليس هناك اتفاقاً على ماتعنيه مصطلح المشكلات النفسية ، اضافة الى الاختلاف الواضح في تصنيف الانحرافات السلوكية وعدم وجود تعريف لكل صنف .

٤ . لقد اختصرت الدراسات السابقة على الاجابة على اسئلة سطحية ، وتركت اسئلة مهمة لم يجب عليها .

٥ . وفي ضوء ذلك فان الدراسة المقترحة تعرض النقاط التالية للمناقشة ، لتكون بمثابة الاساس للقيام بدارسة ذات ابعاد تطبيقية تتناسب وطبيعة اهداف مكتب المتابعة وتوجهاته .

عنوان الدراسة

المشكلات النفسية والانحرفات السلوكية للشباب في الدول العربية الخليجية .

اهداف الدراسة

تهدف الدراسة المقترحة الى :

١ . التعرف على المشكلات التي يعاني منها الشباب في الدول العربية الخليجية .

٢ . التعرف على الانحرافات السلوكية السائدة للشباب في الدول العربية الخليجية من و-

أ . الكبار (الآباء او من هم في مرحلة مابعد الشباب) .
ب . الشباب .
جـ . المختصون والمؤسسات ذات العلاقة .

ولغرض الحصول على معلومات اضافية ذات فائدة في اعطاء الموضوع ابعادا اضافية في التحليل والتفسير وصياغة المقترحات اضيفت الاهداف التالية :

٣ . ماهي الاسباب وراء بروز بعض المشكلات والانحرافات السلوكية ؟ وماهي الاجراءات التي يمكن اتباعها للحد منها من وجهة نظر :

أ - الشباب .
ب - الكبار .

٤ . ماهي وجهات نظر الشباب بما يعتبره الكبار والمختصون انحرافات سلوكية لهم ؟

٥ . ماالذي يعمله الشباب ازاء مشكلاتهم التي يعانون منها ؟

٦ . ماهي طبيعة العلاقة التي تربط الشباب بآبائهم من وجهة نظر الآباء والشباب ؟

٧ . هل يرى الشباب ان المجتمع الذي يعيشون فيه يشكل دعماً اجتماعياً ونفسياً لهم ، وما علاقة ذلك فيا يظهره الشاب من مشكلات ، ومايصدر عنه من انحرافات سلوكية ؟

٨ . مامدى تعرض الشاب الخليجي للثقافات الاجنبية ؟

٩ . مامدى تعرض الشاب الخليجي للتفاعل الاسري ، وعلاقة ذلك بما يعانيه من مشكلات . ومايصدر عنه من انحرافات سلوكية ؟

١٠ . هل هناك فروق ذات دلالة احصائية في المتغيرات اعلاه وفقاً للمتغيرات التالية :

أ . الدولة العربية الخليجية
ب . جس الشاب (ذكر ، انثى)
جـ . الريف والمدينة .
د . المستويات التعليميه
هـ . التعرض للثقافات الاجنبية
و . التفاعل الاسري

- تحديد المصطلحات

ان يعار الى اتفاق مشترك لما يعني بمصطلح الشباب ، وقد يكون ماتم عرضه في القسم الاول من هذه الورقة محوراً للمناقشه حول بداية ونهاية مرحلة الشباب . كما ينبغي ان تحسم مسالة

تصنيف الانحرافات السلوكية ، والتعريفات الوصفية الخاصة بكل صنف ، ثم ينبغي الاتفاق على معنى الانحرافات السلوكية ، والمعيار الذي يحكم (يقيم) بموجبه على سلوك ما على انه منحرف ومثل ذلك بالنسبة لمصطلح المشكلات النفسة وفى الجزء الاول من هذه الورقة مفتاحاً للنقاش في هذا المجال .

- ادوات الدراسة ، ومصادر البيانات

لتحقيق اهداف هذه الدراسة نقترح الادوات التالية :

أ . استفتاء مغلق CIOSE . ENDED ، يتم بناؤه بالاعتماد على الدراسات السابقة ، وعلى مقابلات ومناقشات لعينات من الشباب في دول الخليج ، والاستئناس بآراء الخبراء وذلك لكونه يضمن جميع بيانات من اكبر عدد ممكن من الشباب .

ب . المقابلة لغرض الحصول على استجابات تلقائية يعبر خلالها الشباب عن المشكلات التي يعاني منها ، يريد الافصاح عنها بالفعل . ويحقق اسلوب المقابلة والحالة هذه جمع معلومات يمكن الاستفادة منها في تفسير استجابات الشباب على الاستفتاء المغلق . كما يمكن الاعتماد عليها في جمع البيانات عن الشباب الاميين او الذين لايجيدون القراءة والكتابة ، او ممن لايجدون الرغبه في الاستجابه على الاسئلة المكتوبة . ويقترح الاستفادة من تحليل المحتوى CONTENT ANAIYSiS في تحليل الاستجابات لغرض التعرف على الانحرافات السلوكية السائدة للشباب ، والمشكلات التي يعانون منها .

جـ . الرجوع الى المؤسسات ذات العلاقة بتوثيق الانحرافات السلوكية لغرض الحصول على المعلومات ذات العلاقة وحسب التصنيف المطروح في هذه الورقة ، او حسب مايتم اقراره لتكميم الظاهرة ، ثم تعرض القائمة على الكبار والشباب والمختصين ليبدو آراءهم فيما اذا كانوا يرون ان ذلك يعتبر انحرافاً سلوكياً من وجهة نظرهم او يرون اضافة ممارسات سلوكية اخرى تعتبر - من وجهة نظرهم - انحرافات سلوكية .

د . اسئلة ملحقة بالاستفتاءات المغلقة من النوع المفتوح OPEN. ENDED لغرض الحصول على استجابات حرة للشباب (الذين يجيدون القراءة والكتابة) لتعطي معلومات اضافية عن المشكلات ويقترح الاستفادة من اسلوب تحليل المحتوى ايضاً لتحلبل الاستجابات الحرة .

العينات :

سيتم اختيار نسبة معينة من كل دولة من الدول العربية الخليجية السبع ، وبشكل يراعي فيه تمثيل بعض المتغيرات ذات العلاقة كلجنس والمستويات التعليمية (عدد السنوات الذي قضاها في الدراسة) ، ومنطقة السكن (ريف ، مدينة)**وفقاً لما يوضحه الجدول التالي :**



الدولة	البحرين				السعودية				العراق				عمان				قطر				الكويت				الامارات العربية			
المنطقة	ريف		مدينة		ريف		مدينة		ريف		مدينة		ريف		مدينة		ريف		مدينة		ريف		مدينة		ريف		مدينة	
الجنس	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث
المستوى التعليمي																												
جامعة فما فوق																												
متوسط وثانوي																												
ابتدائي																												
يقرأ ويكتب																												
امي																												
المجموع																												

انجاز البحث

يمكن ان يتم انجاز البحث باحد الاجراءات التالية :

١ . تكليف مراكز بحوث او باحثين مستقلين في الدوّل العربية الخليجية للقيام بدراسة مستقله في كل دولة خليجية ، وبعد انجاز هذه الدراسات يتم طرحها بشكل موحد ، وضمن دراسة واحدة ، وذلك بالاستفادة من الاسلوب المعروف بـ Meta, AnaIysis او مايسمى احياناً بالتحليل الثانوي Class & ot ners 1981 secondaxx AnaIxsis كا كان ذلك ممكنا

ولتلافي عيوب هذا الاسلوب يفضل ان يلتزم الباحثون في كل قطر في دراستهم للمشكلة بخطة موحدة فس البحث ، من حيث الاهداف ، وتحديد المصطلحات ، وادوات البحث ، وقياس المتغيرات ، ةاختيار العينات ، والمعالجات الاحصائية ، مع الابقاء على البيانات الخام Raw Data ملحقة بالبحث ثم تأتي الخطوة الثانية لتوحيد هذه الدراسات في دراسة واحدة ، يجاب من خلالها على الاسئلة المطلوبة ، واسئلة اخرى اضافية ، من خلال استخدام الاسلوب المناسب في اعادة بناء الدراسة Synthsis . وعلى الرغم من ان ،هذا الاجراء يوزع العمل م ويختصر الجهد والنفقات ، فان عيبه الاساسي هو التركيز على التكيم الاحصائي ، الذي قد تفقد النتائج بوجبه العمق في التحليل والاستنتاج . كا انه قد لايصلح لجميع تساؤلات البحث .

٢ . تكليف باحث او عدة باحثين . بانجاز الدراسة ، مع تحديد مراكز او اشخاص في كل دولة خليجية يتولون مساعدة الباحثين في تجميع البيانات المطلوبة فقط وحسب توجيهات الباحث او الباحثين المكلفين في البحث . وعيوب هذا الاسلوب هو ابتعاد الباحث او الباحثين عن الظاهرة المدروسة ، عدم وجود الصلة والتماس المباشر بها . ولذلك سلبياته على اسلوب مناقشة النتائج وعمل الاستنتاجات المطلوبة .

٣ . تفرغ باحث او عدة باحثين لاجراء الدراسة ، يتولون انجاز باكلها ، بما ذلك جمع البيانات ، وتحليلها ، وعمل الاستنتاجات المطلوبة ويعتبر هذا الاسلوب هو الاسلوب الامثل اذ يكون الباحث او الباحثون على صلة مباشرة بالظاهرة المدروسة ، ويستطيعون الاطلاع على معلومات غنية تنعكس في مناقشة النتائج وتحليلها . كا يكون هناك نوع من الاتساق في كل خطرات البحث واجراءاته ، وتتاح الفرصة لتلاقي بعض المشكلات التي تعترض سير العمل بنوع من الاتساق ايضاً . فيا قد يتم تلافيها باساليب متباينه اذا تم اتباع احد الاسلوبين السابقين .

المصــــادر

١ . ابراهيم اكرم نشأت (١٩٨٠ / ١٩٨١) . جنوح الاحداث – مجلة البحوث الاجتماعية والجنائية . العدد الاول . الجمهورية العراقية .

٢ . ابو حطب ، فؤاد (١٩٨١) . الشباب : ازمة التكيف والاغتراب .مؤتمر تربية الشباب ، كلية التربية ، جامعة عين شمس . جمهورية مصر العربية .

٣ . اسماعيل ، محمد عماد الدين (١٩٨٤) . مشكلات الشباب الاجتماعية في الدول العربية الخليجية والاوضاع المتغيرة وثائق جدول اعمال الدورة السادسة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية . بغداد .

٤ . الالوسي ، جمال حسين ، وسليم الخميس ، وعبد الوهاب العيسي ، (١٩٧٨) . التغير في مشكلات المراهقين خل السنوات العشر الاخيرة . مركز البحوث التربوية والنفسية ، بغداد

٥ . البدري ، مالك ، ويوسف القاضي ، وصلاح حوطر ، وعبد العلي الجسماني (١٩٧٢) . استطلاع .موجه لطلاب جامعة الرياض عن اهم المشكلات التي يواجهونها خلال التحاقهم بالجامعة ، جامعة الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٦ . جابر ، جابر عبد الحميد ، ومحمد احمد سلامة (١٩٨١). دراسة استطلاعية مقارنه لمشكلات طلاب وطالبات المرحلة الاعدادية من القطريين وغير القطريين . مركز البحوث التربوية . قطر

٧ . الجسماني ، عبد العلي ، وخالد الطحان (١٩٨١) – دراسة ميدانية لمشكلات الطالب المراهق في دولة الامارات العربية المتحدة . جامعة الامارات العربية المتحدة .

٨ . الجسماني ، عبد علي ، وجميل مهدي محمد (١٩٨٤) . الشباب والتكيف النفسي والاجتماعي . قسم علم النفس / كلية الآداب جامعة بغداد .

٩ . جلال ، سعد ، وعماد الدين سلطان (١٩٦٦) ، بحث مشكلات طلبة مرحلة التعليم الثانوي ، المجلة الاجتماعية القومية . العدد الاول . جمهورية مصر العربية .

١٠ . حجازي ، عزت (١٩٨٥) . الشباب العربي ومشكلاته . عالم المعرفة الكويت .

١١ . حسين ، عبد الله غلوم (١٩٨٤) دراسة استطلاعية لظاهرة جنوح الاحداث في الدولة العربية الخليجية . عبد الله غلوم حسين وخلف احمد خلف ، وعواطف الجشي ، ومصباح محمد الخيرو . رعاية الاحداث الجانحين بالدولة العربية الخليجية . سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية (٣) . مكتب المتابعة .

١٢ . خضير ، بهاء الدين عبد الله ، وخولة عبد الوهاب القيسي (١٩٨٤) . المشكلات السلوكية لدى بعض طلبة جامعة بغداد . مركز البحوث التربوية والنفسية . جامعة بغداد . بغداد .

١٣ . الدباغ ، فخري (١٩٧٥) . جنوح الاحداث . جامعة الموصل . الجمهورية العراقية .

١٤ . الرحيم ، احمد حسن ، وآخرون (١٩٦٧) . مشاكل المراهقة في المرحلة المتوسطة . مركز البحوث التربوية والنفسية . بغداد .

١٥ . سرحان ، عائدة علون (١٩٨٤) . اسباب جنوح الاحداث المودعين في مدرسة تأهيل الصبيان . وزارة العمل والشؤون الاجتماعية . بغداد .

١٦ . السواد ، عبد الخضير ناصر (١٩٦٩) . دراسة مقارنة لمشكلات طلاب المدارس الاعدادية في مدينة بغداد وبعض المناطق الريفية في العراق . كلية التربية ، جامعة بغداد ، بغداد (رسالة ماجستير).

١٧ . الشيباني ، عمر التومي (١٩٧٣) . الاسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب ، دار الثقافة . بيروت .

١٨ . عبود ، عبد الغني (١٩٨١) . تربية الشباب في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة . مؤتمر تربية الشباب . كلية التربية جامعة عين شمس . جمهورية مصر العربية .

١٩ . عزيز ، صبحي خليل ، وآخرون (١٩٨٤) . بعض الظواهر السلبية والايجابية السائدة بين اوساط طلبة الجامعة التكنولوجية قسم المدرسين الصناعيين . الجامعة التكنولوجية . بغداد .

٢٠ . قناوي . هدى محمد (١٩٨١) . الشباب وبناء المستقبل من خلال اختياره لمهنته . مؤتمر تربية الشباب ، كلية التربية جامعة عين شمس . جمهورية مصر العربية .

٢١ . لحرش ، محمد محمد (١٩٨٢) . دراسة مقارنه لمشكلات المراهقين في الجزائر والعراق . كلية التربية . جامعة بغداد (رسالة ماجستير) .

٢٢ . نجاتي ، محمد عثمان (١٩٦٢) . اتجاهات الشباب ومشكلاتهم دار النهضه العربية . القاهرة .

٢٣ . مكتب المتابعة ، مجلس الوزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية . (١٩٨٥) ورقة معلومات اساسية بشان ندوة الشباب والمشكلات المعاصرة في المجتمع العربي الخليجي .

25 Glass. G.U. McGraw. B. and Smith. M.L (1981) Msta Analysis in Social Research. Saqe . London.

26 Groen. J.J. and J. Bostiaan S. 1975§ Psycholoqical Strees. Interhuman Communication. and psychosmatic Disease. In spielberqer. C.D. (eds) . Stress and Anxiety. Vol. I. Gohn Wiley & Sons. New york.

27 Simon. J.L. (1978) . Basic Research Methods in Social Science. 2nd . , Rendom House. New York.




ین صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

- ١٢ -

النوعيّة المروريّة للمواطنين

د/ سنان سعيد
كلية الآداب/ جامعة بغداد


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

اولا : حوادث المرور .. مشكلة عالمية وظاهرة من ظواهر العصر

ان حوادث المرور ، وما يسفر عنها وتسببه من خسائر بشرية ومادية مشكلة عالمية كبيرة رافقت عصر البناء والتصنيع والتنمية وتطور وتعقد عمليات النقل والاتصالات داخل المدينة الواحدة وبين المدن والبلدان من جهة والزيادة السكانية وتغير التوزيع السكاني على نحو سريع وغير طبيعي في الكثير من بلدان العالم من جهة أخرى وهي ظاهرة تبرز بشكل ملموس وحاد في البلدان الصناعية الغنية المتقدمة وفي البلدان النامية السائرة على طريق التحولات العصرية والتنمية ، والساعية لازالة تخلفها الذي توارثته ، واختصار الوقت والمسافة ، وتخطي الفجوة التي خلقتها القرون بينها وبين البلدان الصناعية المتقدمة ، وفي عقود من السنين ـ كما يقول علماء الاتصال ـ وبينها الاقطار العربية .. أيضا .

وتبرز حوادث المرور في ظروف التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي ترافق التنمية والتي تطرأ على واقع المجتمعات وحياة افرادها ، وتطور مستوى معيشتهم وتغير نمط حياتهم ، وتسارع وتائر التنمية والنمو الاقتصادي والتوسع العمراني وازدياد الحاجة الى وسائط النقل وارتفاع اعدادها وتوسع استخدامها في التنقل والتسويق والترويح عن النفس والسفر والسياحة ، الى جانب استخدامها المكثف في اغراض الخدمات والمشاريع والنشاط الاداري ـ الحكومي الرسمي .

ان حوادث المرور بمثابة مشكلة قومية او وطنية ، الى جانب مردودها الاقتصادي والاضرار الناجمة عنها والتي تمس الممتلكات العامة والخاصة ، والمرافق والطرق والجسور والمركبات والتعطيل الذي تسببه بشكل غير مباشر على العمل والانتاج ، والهدر في الاموال التي تصرف على اعمال التصليح او تدفع للتأمين والتعويضات ، فضلا عن الاجراءات القانونية التي تترتب عليها وتستنفذ الكثير من الجهد والوقت . فالخسارة الكبيرة في حوادث المرور هي خسارة بشرية . ومعظم ضحايا حوادث المرور هم من فئات صغار السن والشباب والمنتجين النشطين الذين لاتتجاوز أعمارهم الثلاثين كما تدل على ذلك ارقام الاحصائيات وتشير اليه تحليلاتها . ووفاة هؤلاء ليست خسارة لأسرهم وما يترتب على ذلك من نتائج نفسية واقتصادية واجتماعية تمس الاسر في صميم حياتها ومستقبلها ، بل هي خسارة اجتماعية ووطنية معا . فهؤلاء الضحايا ـ والذين يصابون في حوادث المرور باصابات تؤدي الى عوارض صحية وعاهات وحالات تعطل عن العمل ـ يمثلون طاقات في مرحلة الذروة من المقدرة على العطاء والانتاج والابداع وخدمة المجتمع والبلاد ، او يمثلون احتياطي المجتمع للغد في حالات البناء والتنمية والتقدم . وخسارته . خسارة تلحق بالتنمية القومية التي تعتمد في المقام الاول على تنمية الموراد البشرية كما يقول شرام (1) .

ان مؤشرات الاحصائيات عن حوادث المرور ونتائجها والارقام المستقاة منها تبرز حقيقة هذه المشكلة - الظاهرة وفداحة الخسائر الناجمة عنها ، وتدعو الى مزيد من الحرص والاهتمام الجاد والعملي والدائب بمعالجتها او التخفيف من مضاعفاتها والحد من تعاظمها وتصاعد وتائرها . ومما ينبه الى ضرورة بذل قصارى الجهود في هذا الصدد ، وبمختلف الصيغ والاشكال ، على الصعيد العالمي وفي نطاق البلد الواحد او مجموعة بلدان ، هو الارتفاع المطرد في ارقام الحوادث والخسائر الناجمة عنها ، في العموم ، مع استمرار التغير في نشاط الانسان ، وظروف، واوضاع المجتمعات باتجاه التطور والتعقيد في آن ، والزيادة السكانية بنسب غير طبيعية والتي تمثل ظاهرة عالمية ، وتتجلى على نحو ملموس وغير متوازن في الكثير من البلدان النامية ، ومن بينها الهند وجمهورية مصر العربية ، على سبيل المثال .

تشير دراسة لمنظمة الصحة العالمية (W.H.O) (W.

الى مقتل انسان في كل 2ر5 دقيقة في كل مكان ما من العالم نتيجة حوادث المرور ، اضافة الى ما تسببه هذه الحوادث من عاهات بشرية مستديمة او تشوهات لدى عدة ملايين من الاشخاص ممن يصابون بجراح عند وقوع الحوادث . ولعل جسامة الضحايا والخسائر في الارواح والممتلكات تعادل في بعض الحالات والبلدان ضحايا الاوبئة والحروب (2) ، وتشير احصائيات حوادث المرور لعام 1965 الى وقوع 461ر1 مليون حادثة اسفرت عن مصرع 73700 شخص في اوروبا ، و 190ر1 مليون حادثة أسفرت عن مصرع 163ر49 شخصا في الولايات المتحدة الامريكية ، وفي عام 1970 بلغت ارقام **الحوادث في اوروبا 404ر606ر1 حادثة ومصرع 200ر91 شخص ، وكانت في الولايات المتحدة الامريكية 000ر350ر1 حادثة أدت الى مصرع 800ر56 شخص ، وبلغت في اوروبا عام 1975 (540ر1) مليون حادثة مع مصرع 300ر88 شخص ، وفي الولايات المتحدة الامريكية 900ر239ر1 حادثة مع مصرع 550ر46 شخصا ، وكانت الارقام مماثله في عام 1978 مع انخفاض طفيف جدا في عدد الضحايا في الولايات المتحدة (222ر45 شخصا) ، وارتفاع في عدد الحوادث في اوروبا (000ر610ر1 حادثة) وفي عدد الضحايا (000ر89 شخص) (3) .**

وفي الاحصائيات الخاصة بالبلدان النامية والاقطار العربية ارقام ومؤشرات لحوادث المرور وضحاياها وخسائرها كبيرة هي الاخرى آخذة بالازدياد في العموم بنسب عالية .

ففي الهند ، مثلا ، لقي 1294 شخصا حتفهم في حوادث المرور في مدينة نيودلهي وحدها خلال عام 1984 . وجاء في تقرير نشر في العاصمة الهندية مؤخرا ((ان ذلك يعني ان عدد الذين يموتون خلال عام واحد من جراء حوادث المرور يفوق بكثير عدد الذين يقتلون خلال فترة اربع سنوات)) . ووصف التقرير الذي أصدرته ادارة مدينة نيودلهي التي يبلغ تعداد سكانها 8 ملايين نسمة العاصمة الهندية بانها اشبه ما تكون بـ ((غابة ادغال مرورية)) حيث يبلغ عدد السيارات العاملة في شوارع المدينة مليون **سيارة مضافاً اليها** (000ر80) سيارة تسجل فيها كل عام ، مع دخول (000ر70) سيارة العاصمة كل يوم قادمة من المناطق المجاورة لها (4) .

وبلغ عدد حوادث المرور في العراق 2612 حادثة أسفرت عن مصرع 1079 شخصا في عام 1970 ، وكانت الارقام 7173 ، حادثة ومصرع 1041 شخصا عام 1975 ، وارتفعت الى 22,000 حادثة ومصرع 1483 شخصا في عام 1979 (5) . ومن مؤشرات هذه الارقام زيادة مئوية في الحوادث بنسبة 208 ٪ واكثر من 50 ٪ في عدد الضحايا (حالات الوفاة) قياسا الى عام 1975 .

ومع ان مجموع السكان في العراق ارتفع في الفترة من 1970 الى 1979 بنسبة 41 ٪ ورافق ذلك ارتفاع في عدد وسائط النقل بنسبة 179 ٪ فان زيادة حوادث المرور كانت بنسبة اعلى بكثير من هاتين النسبتين . ولعل من اسباب ذلك ارتفاع الكثافة المرورية ، نذكر ان حركة المرور على جسور بغداد ، وكانت عشرة في عام 1982 سجلت 378 الف واسطة نقل في اليوم الواحد ، وكانت 161 الف واسطة نقل قبل عشر سنوات ، أي في عام 1972 . ونسبة الزيادة السنوية في الحركة المرورية على الجسور هي 8 ٪ (6) . ومما يزيد وقائع الحوادث المرورية ، مع هذه الكثافة ان حركة المرور تجري على سطح ا رض ولاتوجد في المدينة ، بعد ، شبكة انفاق النقل بالقطارات (المترو) تحت الارض ، شأنها شأن جميع عواصم الاقطار العربية ، وستظل مشاريع (المترو) هي العلاج الاكبر والاكثر فاعلية لمشكلة حوادث المرور ، والحد الجدي لها وتجنب مضاعفاتها ، وبخاصة في حواضر الاقطار ذات الكثافة السكانية العالية . وفي الاقطار العربية ، لاسيا تلك التي تمر بمرحلة تنمية وانتعاش اقتصادي نطالع صورة مماثلة . ففي قطر بلغ عدد حوادث المرور 4918 وضحاياها 143شخصا عام 1978 ، بزيادة في عدد الحوادث بنسبة 254 ٪ بالمقارنة مع عام 1972 .

وفي تونس كشفت احصائية عن مقتل الف مواطن تونسي وجرح 9,582 مواطنا بسبب حوادث المرور التي بلغ عددها 7,780 حادثة في عام 1984 . وذكرت احدى الصحف التونسية ،، ان هذه الارقام مذهلة ،، قياسا الى تعداد السكان في تونس والذي لايتجاوز السبعة ملايين . وأشارت الى ان اسباب الحوادث كانت حالات السكر والجهل بالسياقة (سياقة بدون اجازة) وعدم مراعاة التعليمات والارشادات المرورية (8) .

وفي الكويت يقع ما معدله 40 حادثة مرورية خلال 24 ساعة ،اى ما يزيد عن 14,500 حادثة مرورية في العام (19) . وجاء في احصائية لادارة التخطيط للمرور في الكويت ان عدد الحوادث المرورية في الكويت خلال السنة الماضية بلغ 22,693 حادثة مرورية توفي بسببها 396 شخصا واصيب 2114 آخرين بجراح اصابات 710 منهم كانت بليغة . واوصحت الاحصائية ان حوادث عام 1984 انخفضت عن حوادث عام 1983 الذي كانت الوفيات فيه بسبب الحوادث المرورية 397 والاصابات 2499 بينها 864 اصابة بليغة وجاء في الاحصائية ان اسباب هذه الحوادث انحصرت في السرعة فوق المعدل (10) .

واذا أخذنا بنظر الاعتبار قلة عدد السكان في الكويت فان هذه الارقام تمثل حالة خطرة ، قد ترجع اسبابها الرئيسة الى كثرة عدد وسائط النقل الخاصة والاعتماد عليها في التنقل ، من جهة ، والسرعة في القيادة ، من جهة اخرى . ومثل هذه الظاهرة بارزة ، بشكل او بآخر ، في اقطار الخليج العربي الأخرى ، والمملكة العربية السعودية التي تأتي في طليعة بلدان العالم من حيث نسبة عدد وسائط النقل (السيارات الخاصة) الى عدد السكان .

ان اكبر الاقطار العربية التي تعاني من مشكلة وحوادث المرور . واكثرها تضررا بها فهي جمهورية مصر العربية . وترجع اسباب ذلك ، بالدرجة الرئيسة ، الى الكثافة السكانية ، وازدياد السكان بنسبة غير عادية ، لاتستوعبها اوضاع مصر ولا تتحملها طاقاتها ، وبخاصة في القاهرة وحواضر المحافظات الرئيسة ، ترافق ذلك الهجرة من الارياف اليها ، فضلا عن كثرة عدد المركبات من جهة وعدم كفاية وسائط النقل العامة او عدم كفاءتها وسلامتها وصيانتها وعدم التزام السابلة بقواعد المرور ، وسوء احوال الطرق ، من جهة اخرى . ويقول البروفسور فرانسوا فيجير خبير تخطيط المدن في جامعة هارفرد :

،، ان تحرك المرور في القاهرة معجزة في حد ذاته ، حيث تجوب حوالي نصف مليون سيارة شوارع القاهرة يوميا ،، . ويقول ديفيد كوك اخصائي المرور في البنك الدولي :

،، ان المدينة غير مجهزة لاستقبال هذا العدد من السيارات بسبب عدم توافر الطرق الفرعية الملائمة ووجود الحفر وسوء القيادة ،، ويشير الى ان معدل الحوادث المرورية في القاهرة هو اعلى معدل في العالم ، ويبلغ 80 قتيلا و 600 جريح لكل 10,000 سيارة وهو يزيد عن معدل الحوادث في انكلترة او الولايات المتحدة بمقدار 20 مثلا . ويضيف ان هيئة النقل العام في القاهرة تنقل حوالي 3,5 مليون راكب يوميا . ولكن لديها 2,300 حافلة فقط يكون 33 ٪ منها يوميا غير مستعد للعمل بسبب سوء الاستعمال والاكتظاظ بالركاب ، وعدم صيانتها صيانة ملائمة والافتقار الى قطع الغيار (11) .

ان البلدان النامية ، وبينها الاقطار العربية ، لم تمتلك بعد ، وسائط وشبكات النقل تحت الارض (المترو) او ،، قطارات الانفاق ،، فحركة المرور تجرى فيها على سطح الارض بالكامل (12) مع كثافة عالية في السكان وازدياد في عدد وسائط النقل (المركبات) . ولذلك فان حوادث المرور في مدن البعض منها اكثر بكثير من الحوادث في مدن بلدان اخرى اكثر كثافة في السكان . فحوادث المرور ، في القاهرة ، على سبيل المثال ، اكثر بكثير من حوادث المرور في موسكو الاكثر سكانا منها ، حيث يستخدم نحو 5 ملايين شخص قطارات المترو تحت الارض في تنقلاتهم . وقد نلاحظ الصورة ذاتها في باريس .

وليس من شك في ان المعالجة تتكامل ، ايضا ، مع تنظيم تطور المدينة . ولايجانب الصواب من يذهب من المتخصصين الى القول بأن لا جدوى في ،، توسع الشوارع وانشاء الطرق السريعة او عمل الانفاق الارضية او تسيير المواصلات السريعة تحت الارض او غير ذلك من الوسائل المكلفة مالم يتم تنظيم تطور المدينة ،، (13) .

ثانيا : أسباب الحوادث المرورية ودور العنصر البشري فيها .

ان ارتفاع نسب وارقام الحوادث المرورية وضخامتها وفداحة الخسائر البشرية والمادية ـ الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عنها ، واستمرارها كمشكلة خطيرة متعاظمة دفع الى الاهتمام بها ودراستها وتشخيص مسبباتها والمضي في اتخاذ الاجراءات لمعالجتها والتقليل او الحد من تطورها والتخفيف من اضرارها واخطارها ، بشكل او بأخر .

ولم يقتصر هذا الاهتمام على عمل ونشاط واجراءات الجهات او الدوائر المعنية ، وفي المقدمة منها الاجهزة المرورية ، المسؤولة عن تنظيم حركة المرور وتأمين السلامة المرورية ، بل تجاوزها الى مختلف الاصعدة العلمية منها وغير العلمية والاقليمية والدولية أيضا .

لقد عقدت اجتماعات وندوات ومؤتمرات دولية واقليمية كرست لمشاكل المرور او عرض فيها لجانب من جوانبها ، في العقود الاخيرة نذكر منها مؤتمرات ستوكهولم (1950) وتورينتو (1953) ولندن (1962) والمؤتمر الذي عقد في جامعة انديانا بالولايات المتحدة الامريكية (1965) والمؤتمر الدولي للاطباء الذي عقد في باريس (1972) ومؤتمر تورينتو الدولي الرابع الذي بحث مشاكل المرور (1972) ، وقد عني في هذه المؤتمرات بدور العنصر البشري ، في المشكلة ، بصورة خاصة .

وتجلى الاهتمام بمشكلة المرور وتأمين السلامة المرورية ، في تطوير الاجراءات الفنية الهندسية المرتبطة بالطرق وتنظيم الحركة والسير عليها ، والارتفاع بفاعلية الجهود التي تبذلها الاجهزة المرورية ومستوى كفاءتها ، وتجلى أيضا في العناية بالتوعية المرورية من خلال برامج التعليم ، وانشاء المعاهد ومراكز التدريب والتأهيل المتخصصة ، ووضع الدراسات والبحوث ، وعلى صعيد النشر والاعلام . وبرز الاهتمام بالمشكلة ، بالتوعية المرورية في الوطن العربي ، في الفترة الاخيرة بصورة خاصة ، من خلال مانشر في بعض الاصدارات المتخصصة او غير المتخصصة من المقالات والدراسات (14) وما صدر من كراسات ، وقدم من برامج اذاعية . كما تجلى الاهتمام في معاهد المرور التي انشئت في الوطن العربي ، والمعاهد العالية لضباط قوى الامن الداخلي ، ومراكز البحوث والدراسات التابعة لها ، وفي نشاط مديريات او اقسام العلاقات العامة

والاعلام التي استحدثت فيها ، وفي انشطة متنوعة قامت بها وبرامج عمل اضطلعت بها ، على انفراد ، او بالتعاون مع الجهات الاخرى وبينها دوائر التربية ومراكز التعليم في اطار التوعية المرورية والاعلام المروري .

وتجدر الاشارة في هذا الصدد ، ايضا ، الى الجهود المبذولة والاجراءات المتخذة من قبل الجهات الاخرى ، ومنها الدراسات الميدانية والاحصاءات الرسمية المعدة من قبل الاجهزة والدوائر المعنية في الاقطار العربية حول حوادث المرور ، والمخالفات وسواها ، والبحوث الدراسية والعلمية الجامعية المقدمة في المعاهد والجامعات (15) .

وكرست لمسائل المرور ومشاكلها ملتقيات قطرية وقومية ومنها المؤتمر العربي الاول للمرور (20 ـ 25 أيار 1972) الذي انعقد في القاهرة ، والمؤتمر الاول لحوادث الاثار الاقتصادية لحوادث الطرق في العراق ونتائجها السلبية على الاقتصاد الوطني ، والمؤتمر الوطني الخامس للنقابة العامة لعمال النقل بالسيارات الذي عقد في بغداد (16) والندوة العلمية العربية للمرور التي انعقدت في مدينة الرباط (3 ـ1981/6/5) والتي بحثت فيها دراسات ووثائق حول مشاكل المرور وتأثير نتائجها على الاقتصاد الوطني وخطط التنمية والسبل المقترحة لمعالجتها والتعاون العربي في هذا المجال . وقد رأت الندوة ان من بين الاساليب الفعالة لمعالجة مشاكل المرور ونتائجها اتخاذ جملة من الاجراءات ، والقيام ببعض الانشطة في اطار التوعية المرورية واستخدام الاعلام المروري لهذا الغرض ، وكذلك الندوة العلمية العربية الثانية للمرور التي انعقدت في مدينة طنجة (20 ـ 1983/4/22) الى جانب ندوات اقليمية - قومية اخرى نخص بالذكر منها ندوة حوادث المرور في الدول العربية الخليجية التي نظمتها في الكويت (23 ـ 26/ مارس / آذار 1981) الامانة العامة الصحية للدول العربية في الخليج ، وكان من توصياتها زيادة التنسيق العربي الخليجي في مجال المرر عملا بتوصيات المؤتمر العربي الاول للمرور ، والمؤتمر العاشر للجنة الدائمة للمواصلات المنبثقة من جامعة الدول العربية ، واستمرار الامانة العامة الصحية للدول العربية الخليجية في الاهتمام بمشكلة حوادث المرور والاصابات الناجمة عنها في المنطقة وتخويل اللجنة الفنية لحوادث السيارات لدى الامانة بعض المهام والمبادرة الى عقد سلسلة من الندوات باسم ندوة حوادث المرور ، كما اتخذت سلسلة من التوصيات المتصلة بالسائقين والمركبات والطرق والتوزيع السكاني ورجال المرور ، والتشريعات والاسعاف والانقاذ (17) . كما نذكر ، في هذا الباب ، ندوات عرضت بين مابحث بها ، للتوعية المرورية ، ومنها الندوة التي متها دار ثقافة الطفل في بغداد (15 ـ 16 آب 1983) والتي عنيت في بعض قراراتها وتوصياتها بالتوعية المرورية ، وتجدر الاشارة ايضا الى المواد الصحفية التي تنشر بين وقت وآخر ، عن المرور ، وتعليماتها ومشاكلها بهدف التوعية المرورية ، بصيغة اخبار وتقارير ومقابلات وتحقيقات (18) ، والى برامج اذاعية ـ تلفزيونية نخص بالذكر منها برنامج ،، طريق السلامة ،، الذي يقدم من اذاعة بغداد ، وبرنامج ،، السلامة العامة ،، (19) المقدم من تلفزيون الجمهورية العراقية ، وبرنامج ((قف)) المروري من انتاج مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي (20) .

ان لمشكلة المرور، كحادثة ثلاثة عناصر تشترك في وقوعها، على انفراد، او مجتمعة، وقد تمنع وقوعها ايضا .. وهي :
1 ـ الانسان، السائق لواسطة النقل والمستخدم للطريق .
2 ـ الطريق والبيئة .
3 ـ المركبة ـ واسطة النقل .

يمكن ان يضاف اليها عنصر آخر، قد يكون طارئا احيانا، وهو المناخ والظروف الطبيعية .

وقد يكون سبب الحادث المروري عنصر او عنصران من هذه العناصر وقد تشترك كلها كسبب للحادث كما ذكرنا . ويتقدم العنصر البشري ـ الانسان السائق والانسان سالك الطريق . على العنصرين الآخرين او العناصر الاخرى . وتتفق جميع الدراسات والاحصائيات وتحليلات مضامينها وارقامها، مع الوقائع، على ان العنصر البشري ـ الانسان ـ له الدور الرئيس في المشكلة، والصلة المباشرة بها، والدور الاول في وقوع الحادث او عدم وقوعه . فالعنصر البشري هو الذي يستخدم واسطة النقل، ويتصرف بها بشكل او آخر، بوعي او بدون وعي، بمهارة او عن جهل، ويستفيد من الطريق على نحو ايجابي او سلبي ويراعي انظمة وقواعد المروروإشاراتتنظيم الحركة المرورية، وقد يجهلها او يتجاهلها، ويؤثر ويتأثر بالآخرين وبالبيئة، وهو بالتالي السبب الرئيس لأغلب الحوادث . وتشير احدى الدراسات عن حوادث المرور الى ان العنصر البشري يسبب 85 ٪ من مجموع الحوادث، والعنصر الثاني - الطريق ـ البيئة 10 ٪ والثالث ـ واسطة النقل 5 ٪ (21) وفي احصائية عن اسباب حوادث المرور في العراق عام 1979 كانت النسب كالآتي :

السائق 82 ٪ والمشاة 3 ٪ والطريق 3 ٪ والسيارة 10 ٪ والحيوان 1 ٪، واسباب أخرى 1 ٪ (22) .

واسباب حوادث المرور المرتبطة بالطريق والمركبات وتنظيم المرور يمكن ان تعالج باجراءات هندسية، فنية تتطلب التخطيط والمال والجهد الفني وبعض الوقت . على انها تظل معالجة غير متكاملة او مضمونة النتائج بنسب عالية مالم تتكامل باعداد الانسان د الانسان، المواطن لممارسة «سلوك مروري» بالمستوى المطلوب والضروري من الفهم والوعي والالتزام . فلا جدوى في اشارات المرور اذا تجاهلها السائق وعابر الطريق او لم يفهمها، ولانفع في الاضوية المرورية اذا لم يلتفت اليها ولم يسترشد بها الاول والثاني، وقد تكون الشوارع العريضة وطرق السير السريع الضخمة سببا لازدياد حوادث المرور، باتاحتها لمزيد من السرعة في حركة وسائط النقل، مع توفر وبقاء مسببات الحوادث في تصرف الانسان ـ السائق والسائر .

كل هذا يؤكد على اهمية تحقق التكامل في المعالجات، مع الاستمرار في توجيه اهتمام خاص للعنصر البشري الذي يتحمل مسؤولية الحادث المروري، وفي مقدوره ايضا، ان يتجنبه او يمنع وقوعه او يقلل منه ومن اخطاره واضراره، في الاقل . وهذا يعني مضاعفة الاهتمام بخلق وتعميق الوعي المروري . بشتى السبل والاشكال والقنوات، ومنها الاعلام المروري . ومما تجدر الاشارة ان نسبة عدد ضحايا الحوادث من

القتلى الى مجموع الحوادث قد انخفضت في العراق من 41 ٪ في عام 1970 الى 15 ٪ و 9 ٪ في عامي 1975 و 1979 ، الامر الذي يمثل مؤشرا للتأثير الايجابي لتطوير وتحسين شبكة الطرق ونظم ادارة المرور ، والتنفيذ الجاد لقوانين المرور والسيطرة على تدفق المرور واتخاذ الاجراءات الفنية ـ الهندسية من قبل الجهات المرورية المسؤولة وليس من شك في ان هذا التناقص يرتبط ، من جانب آخر ، بارتفاع مستوى الوعي ودور التوعية المرورية في القطر ، وبخاصة في السنوات الاخيرة (23) .

ومن أسباب حوادث المرور التي ترتبط بالعنصر البشري :

- استخدام المركبة دون تأهيل او اجازة سوق .
- قيادة المركبة او المشي في الشارع تحت تأثير المسكرات (24) .
- تجاوز السرعة الطبيعية في السياقة .
- عدم احترام قواعد وآداب المرور .
- التصرف بطيش والاستخفاف بارواح المشاة .
- الاصابة بمرض ما يقلل من الكفاءة في السياقة .
- استعمال المصابيح المبهرة على نحو سيء .
- استخدام المركبة عند التعب الشديد والحالة النفسية السيئة .
- الجهل بانظمة وقواعد المرور ، وعدم فهم اشاراتها او عدم مراعاتها .
- غياب او ضعف الوعي المروري ..... الخ .

وهكذا يتحمل الانسان القسط الاكبر من مسؤولية الحوادث المرورية ، على الرغم من توفر واسطة النقل (السيارة) الصالحة والامنية والطريق السوي المستكمل لشروط السير المنظم والامين .

وللانسان ، فضلا عن ذلك ، مسؤولية الابقاء على الحالة الطبيعية السليمة للمركبة التي يستعملها ، وصيانتها ومعالجة اسباب العطلات فيها ، بصورة منتظمة ، الامر الذي يقلل من الاسباب الفنية للحوادث التي ترجع لوضع المركبة ، وهذا يعني ان للعنصر البشري صلة وثيقة وتأثيرا مباشرا على العنصر الثاني وهو المركبة .

ولقد اكد المشاركون في ندوة حوادث المرور في الكويت (1981) على ان الانسان هو المسؤول الاول عن المشكلة ، فهو مخترع السيارة وهو منشيء الطريق وهو سيد الموقف بالنسبة لكل منها . فهو الذي يقود السيارة ويصونها ، وهو الذي يخطط للمرور على الطريق ، ويجب عليه صيانته واصلاحه . وهو الذي يسن القوانين والتشريعات ويقوم بالتنفيذ والمراقبة ، وان احترامه لقواعد المرور والتزامه بالتعليمات ومراعاته الله في نفسه وفي الآخرين سيساعد بلا شك على حل هذه المشكلة (25) .

وهنا .. تكمن اهمية الوعي المروري ، والتوعية المرورية .

ثالثا : التوعية المرورية ودور الاعلام في نشر وتطوير الوعي المروري

خصت الدراسات والمؤتمرات والندوات المكرسة لمشاكل وحوادث المرور التوعية المرورية بالاهتمام في ما عرضت له وناقشته واصدرته من توصيات وقرارات .

فالمؤتمر العربي الأول للمرور المنعقد في القاهرة (1972) كرس للتوعية المرورية قراراته (15 الى 23) وأكد فيها على :

- حملات نشر الوعي المروري وفق خطة مدروسة على مدار السنة ، مع مراعاة ايصال ارشادات الوعي المروري الى المواطنين لابصيغة التهديد بالعقوبة او التخويف او الارهاب ، بل بطريقة النصيحة والاقناع .
- ادخال مادة المرور في مناهج التعليم .
- تدريب طلاب المدارس والجامعات على تنظيم حركة المرور .
- نشر الوعي المروري بين سكان القرى .
- اقامة اسبوع المرور العربي .
- التوسع في انشاء مدارس تعليم سياقة السيارات .
- تشجيع انشاء جمعيات
- اشعار الجمهور بفداحة نتائج حوادث المرور .
- توثيق العلاقة بين الجمهور وشرطة المرور (26)

وفي توصيات ندوة حوادث المرور (الكويت 1981) تأكيد على ،، ضرورة الاهتمام بالتوعية المرورية للجمهور ، واحاطه الرأي العام بأسباب حوادث المرور ونتائجها وارشادهم الى القواعد الصحيحة والأسس السليمة للمرور لكافة وسائل الاعلام ، وان تدخل هذه التوعية ضمن برنامج الانتاج البراجمي المشترك لدول الخليج العربي بالتعاون مع الامانة العامة الصحية للدول العربية بالخليج ،، (27) .

ان المواطنين في البلدان النامية بخاصة مطالبون بالمساهمة في عملية التنمية ، وحقيقة الأمر - كما يقول شرام - انهم ،، مطالبون باقرار التحول العصري ، وبالتالي ، تغيير أساليب معيشتهم ومعتقداتهم . مطالبون بقبول اهداف جديدة ، ومواقف جديدة وعادات جديدة ومسؤوليات جديدة . وسيقتضي ذلك الاعلام والاقناع كليهما (28) . واذا كانت التنمية لاتعني تنمية الموارد الاقتصادية وحدها ، بل تربط بينها والتنمية الاجتماعية . البشرية ، فانها كي تحقق ذلك وتضمنه ، تستهدف ،، التغيير التدريجي في سلوك الفرد والجماعة ، بحيث يستفيد الجميع من عملية التنمية ويتقبلونها . وهذا يتطلب تنمية الموارد البشرية ، الى جانب تدفق مستمر في المعلومات والوقائع ، واساليب السلوك والمعرفة والآراء ، وكذلك انتشار الوعي بالاهداف الوطنية وما تبذله الحكومة من الوان النشاط ، (29) ولذلك فان تدفق المعلومات ومحو الامية والتأهيل والتدريب المهني ،

ومزاياه من جهة ، ومدى التعرض الواسع له ، وبخاصة في ظروف الاقطار العربية ، ومن الضروري « التعرف على الهدف » (٣٣) ذلك انه يجب أن يكون الجمهور مع وسطه معروفا كيا يتحقق ،، ارضاء وسائل الاعلام له ،، وتأثيرها عليه وعلى وسطه وبيئته (وسط الاميين ، ووسط المتعلمين ، المدينة والريف .. الخ (34) .

ويكتسب الاعلام المروري اهمية خاصة في ظروف البلدان النامية وبينها العراق وسائر الاقطار العربية . وذلك لاسباب وظروف خاصة منها :

1 ـ ان هذه البلدان تدخل مرحلة تنمية ترافقها تحولات اقتصادية واجتماعية وسكانية يتصل بعضها بالبعض الآخر ، ومنها تطورات في المواصلات والتحرك السكاني مع انشاء شبكة من طرق المواصلات والجسور ، لم يسبق لها مثيل ، او توسع ما هو موجود منها .

2 ـ التوسع العمراني ونمو المدن وازدياد الكثافة السكانية فيها ، مع الزحف السكاني او الهجرة من الريف الى المدينة .

3 ـ ازدياد الحاجة الى استيراد وامتلاك واستخدام وسائط النقل الشخصية والعامة (الحافلات) الى جانب استخدام المركبات والاليات لاغراض الخدمات والمشاريع وسواها .

4 ـ استخدام اشارات وادلة واضواء تنظيم المرور في المدن والطرق الخارجية مع حداثة عهد الكثير من هذه البلدان بها او استخدامها على نطاق محدود لها او بشكل بسيط في بعض الاحوال .

5 ـ غياب المعرفة بقواعد وضوابط تنظيم السير والحركة في اطار المستوى التعليمي والثقافي والاجتماعي السائد عموما .

6 ـ العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الخاصة والمؤثرة .

ان للاقطار العربية ، في الواقع ، برامج عمل للتوعية المرورية ، وانشطة في مجالات الاعلام المروري تجسد الاهتمام المتزايد بها ، وهي جديرة بالدراسة والتقييم والتطوير . والتجربة العراقية في ميدان التوعية المرورية : في اطار التعليم والتدريب (تدريب رجال المرور ، وتدريب الجمهور ، والاطفال ومعلمي المدارس) والتعليم في مراحل الدراسة المختلفة والمؤسسات التعليمية المرورية المتخصصة ، والتدريب الجماهيري ومن خلال فرق السلامة المدرسية ومنظمات الفتوة والطلائع وانشطة دوائر العلاقات العامة ، ومن خلال الصحافة والراديو والتلفزيون .. والاتصالات المباشرة والندوات وغيرها ، تستحق الدراسة بعناية ، مع تشخيص وتحليل معطياتها ومعالجة ماخذها واغنائها . ومن المفيد والضروري كثيرا ، متابعة ودراسة تجارب البلدان الاخرى وبخاصة المتطورة في مجال التوعية المرورية والاعلام المروري .

والتوعية الاجتماعية والسياسية وسواها السبيل الذي يؤدي بنا الى النهوض بمستوى العنصر البشري كما يجاري تحولات العصرفي مجتمعه وحياته ، ويساهم في تحقيقها ، ويضطلع الاعلام ، في هذا الصدد ، بدور له شأنه بالاستخدام لامثل لوسائل الاتصال الى جانب تحقيق الاجراءات ذات الصلة ،تنفيذ الخطط الموضوعية لكل هذه الاغراض ، وفق السياسات المرسومة (30) .

ان ماوردناه ينطبق على التوعية المرورية ، كوسيلة ناجحة في معالجة مشكلة المرور والحد من حوادث الطرق ، باستخدام المخطط له والمبرمج والمتكامل للاعلام بمختلف صيغه وقنواته .

فاذا كان الوعي المروري يعني ،، تبسيط المفاهيم الاخلاقية والنظم والتعليمات ذات العلاقة بكيفية استخدام المركبة والطريق ووضع المنبهات الضرورية والاساليب التي تجعل الالتزام بها بصورة ذاتية مسألة مسلما بها ، نظرا لتعلقها بحياة وسلامة افراد المجتمع وامنه واستقراره ،، واذا كان المطلوب هو تغيير المواقف والسلوك والمفاهيم التي اعتاد عليها الافراد في مجتمعنا ازاء كثير من الامور ومنها انظمة وقواعد وآداب المرور ،، ليس أساس الخوف من العقاب القانوني ،، وانما بالادراك لها وتفهمها والانصياع الذاتي لها واحترامها الالتزام بها . ولايكفي لتنظيم المرور ، والحد من حوادث الطرق والتقليل من اضرارها واخطارها ، وتحديد وتثبيت العلامات والاشارات ، وممارسة الاجراءات الزجرية والجزائية القانونية . بل ثمة امرا آخر ، مرادفا لذلك ، ومهما ، وهو الاستعانة بوسيلة ،، تبصير الجمهور بقواعد المرور وآداب الطريق ، والتنبيه الى اخطار الطريق ،، (31) ، وخلق الوعي المروري ... وحالة المعرفة وانموذج الانسان الواعي والملتزم .. بالاعلام والاقناع .. قبل أي شيء آخر .

وعندما يتحقق الاقتناع بفضل الاعلام المناسب والناجح ، يسهل تقبل الرأي ، وتبني الموقف الجديد واتباع السلوك المطلوب . ان عملية التأثير من خلال وسائل الاتصال لاحداث التغيير وقبول الجديد تتم بمراحل يصنفها علماء الاتصال كالآتي :

الادراك ـ الاهتمام ـ التقييم ـ التبني .

ويتجلى ،، رد الفعل ،، لمضمون الرسالة الاعلامية وتأثيرها على التفكير والسلوك والمواقف في :

- الدعيم او التنشيط .
- التغيير او التحويل
- التحريك .

ويرتبط المدى الزمني لتحقيق هذه العملية ونجاحها بظروف المرحلة في كل بلد ، وبالعوامل الاجتماعية والخصائص الفردية (32) وليس من شك في ان فاعلية وسائل الاتصال في التأثير على جمهور معين للقبول بموقف جديد وتبني آراء جديدة يقوى تبعا لتصوراته السابقة ، ولطبيعة التعرض لوسائل الاتصال وانتشارها وشعبيتها ، وينفرد التلفزيون ، هنا ، بخصوصية في التأثير بفضل انتشاره السهل والسريع ،

نشر اخبار وقائع الحوادث المرورية ، وعرض مشاهد لها ضمن برامج الاخبار ليس بهدف الاثارة كما يفعل الاعلام في الكثير من الدول الرأسمالية الغربية ، بل بهدف التوعية والردع . والاعلام بوقائع السلوك الانحرافي والجرائم المرورية والكشف عنها ، ونشر الاحكام الجزائية الصادره بشأن قضايا المرور وغيرها ، في اطار التوعية (35) .

- توضيح القرارات والتعليمات والقوانين والضوابط المروريه من خلال الصحافة والاذاعة ، بمختلف الصيغ والاشكال بهدف تعميم المعرفة القانونية بمسائل المرور .
- تطوير التوعية المرورية بالاتصال المباشر .
- العناية بالثقافة المرورية في اركان الخدمات في الصحف .
- نشر ارقام السيارات المخالفة او صورها .
- اصدار الكراسات والكتب التوضيحية لانظمة وقواعد المرور ، واشارات وعلامات تنظيم المرور .
- تطوير الاصدارات الدورية (المجلات) المرورية والعمل على انتشارها وتنظيم توزيعها الجماهيري .
- اجراء التقييم بين وقت واخر ، لبرامج وحملات التوعية المرورية ، ودراسة معطياتها .
- اجراء الاستبيانات بين مختلف فئات الجمهور لمعرفة مدى فاعلية وتأثير الاجراءات المرورية والانشطة الاعلامية .

رابعا : ملاحظات وتوصيـــات

ان الاعلام المروري ، بهدف خلق وعي مروري وتعميقه ، ليس موجها الى فئة معينة من افراد المجتمع ، بل يستهدف الفئات ذات الاوضاع والمستويات والظروف المتنوعة المتباينة . وهذا الواقع الذي يفرض نفسه ، يتطلب استخدام الاعلام بكافة الصيغ والاشكال والقنوات التي تمكن من وصول ، رسائله ،، الى كل الناس ، مع حسن الاختيار والتوقيت والتوجيه .

تطوير التعاون بين الاقطار العربية في مجال الاعلام المروري ، ودراسة التجارب القطرية وتبادل الخبرات من قبل المختصين والمعنيين في هذا المجال . والعناية ببرنامج ،، قف ! ،، وتعميمه وانتاج وتقديم ما يماثله .

المساهمة من خلال وسائل الاتصال ، وبخاصة الراديو والتلفزيون . في تنظيم المرور ، وتخفيف الاختناقات ، وبالتالي تجنب الحوادث ، وتوفير الوقت ، باعلام الجمهور وعلى الفور ، بما قد يحصل من انقطاعات وحوادث واعمال تصليح ، في الطرق والجسور ، وبحالة الطرق الخارجية السريعة ، وبظروف الطقس .. وغير ذلك . (كما تفعل اذاعات كثير من البلدان ، وبعض الاذاعات العربية بين وقت وآخر) .

الاهتمام بدور رجل المرور كممارس للعلاقات العامة مع الجمهور . وخلق ثقة المواطن فيه ، وفي اجهزة المرور ، وترسيخ روح التعامل الحسن الودي والعلاقات الانسانية بينهما .

ينبغي ان يكون هناك تنسيق وتوافق وتكامل بين توجهات الاجهزة الاعلامية ، وما تستهدفه البرامج الاعلامية المرورية . فليس من المقبول مثلا ، ان يكون هناك تناقض بين ما تدعو اليه هذه البرامج ، وما تبثه الاجهزة الاعلامية ، بهذا الشكل او ذلك . مثلا ، ان تعرض في التلفزيون افلام تحفل بمشاهد الرعونة والطيش في استعمال المركبات ، في الوقت الذي يحث فيه البرنامج التلفزيوني المروري على الالتزام بضوابط السلامة والآداب المرورية في السياقة .

- الاستمرار في التوعية المرورية وتكثيفها ، وعدم اقتصارها على حملة محددة الآمد فطالما ان مشكلة المرور ستظل قائمة ، بل تزداد تعقيدا ، فان التوعية المرورية ينبغي ان تبقى مهمة كبيرة تتواصل ولا تعرف الانقطاع .

العناية بالموضوع المتنوع والمهم ، والعرض الحي الشيق للبرامج الاذاعية والتلفزيونية .

المراجع والهوامش

1) ـ ويلبورشرام ، اجهزة الاعلام والتنمية الوطنية . دور الاعلام في البلدان النامية . ترجمة محمد فتحي . القاهرة 1970 ، ص 125 .

2) ـ عادل عبد الكريم حارس . الوعي المروري ودور وسائل الاعلام في تكوينه . مديرية معهد المرور . مديرية المرور العامة . بغداد 1982 ، ص 16 .

3) ـ انظر : شاكر محمود أمين . دور المؤسسات التعليمية في منح الحوادث المرورية سلسلة بحوث قوى الامن الداخلي . بغداد 1982 ، ص 10 ـ 12 . والجداول الاحصائية المرفقة .

4) ـ صحيفة (الجمهورية) 6 /1985/4 .

5) ـ انظر : الجداول الاحصائية / المصدر نفسه . ص 34 .

6) ـ المهندس فرنفل غزول . (ريادة حركة المرور والنقل في محافظة بغداد ، مجلة (نداء السلامة) 1983 ، العدد 3 .

7) ـ شاكر محمود أمين . المصدر نفسه . ص 10 ـ 12 والجداول الاحصائية المرفقة .

8) ـ صحيفة : (الصباح) التونسية . 1985/4/23 .

9) ـ صحيفة (الوطن) الكويتية 19 ديسمبر 1984 .

10) ـ صحيفة (الجمهورية) العراقية ـ نيسان 1985 .

11) ـ صحيفة (الوطن) العدد نفسه .

12) ـ يخطط الانشاء شبكات للنقل تحت الارض (المترو) في بغداد والجزائر والقاهرة . وقد شرع مؤخرا بتنفيذ خط المترو الانفاق في القاهرة . واعدت الدراسات والمسوحات لمترو بغداد . وربما كان المشروع الجزائري قد وصل مرحلة الشروع بالتنفيذ .

13) ـ انظر : د. حيدر عبد الرزاق كمونه . (تخطيط المدينة ومشكلة النقل والمرور) .
مجلة (قوى الامن الداخلي) . بغداد العدد 52 لسنة 1984 .

14) ـ وبينها مجلات متخصصة مثل مجلة (قوى الامن الداخلي) التي تصدرها مديرية الشرطة العامة : العلاقات العامة في الجمهورية العراقية ، ومجلة (نداء السلامة) التي تصدرها الجمعية العراقية للسيارات والسياحة والوقاية من حوادث الطرق ومن الجدير بالذكر هنا ان العدة تعد ، في مديرية الشرطة العامة العراقية لاصدار مجلة مرورية متخصصة قريبا .

15) ـ منها رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بغداد عام 1984 في موضوع (حوادث المرو ، اسبابها الاجتماعية والنفسية) للسيد عبد الله مرقص راجي طالب الدراسات العليا في قسم الاجتماع بكلية الآداب) .

16) - انظر : المهندس قرنفل غزول . الكلفة التقديرية لحوادث الطرق في العراق .
حوادث الطرق واثرها على الاقتصاد الوطني ./ من بحوث المؤتمر المذكور /.

17) - انظر : توصيات ندوة حوادث المرور في الدول العربية الخليجية .

18) - نذكر منها ، على سبيل المثال ، سلسلة التحقيقات التي نشرتها صحيفة (الثورة) العراقية عام 1985 بعنوان (حوار مفتوح حول مشاكل المرور) الخدمات والارشادات المرورية التي تنشر فيهما وفي صحيفة (الجمهورية) هي الاخرى .

19) - شرع بتقديمه في عام 1958 وبعد انشاء التلفزيون العراقي بنحو عامين .

20) - قدمت حلقات لبرنامج (قف) في العديد من التلفزيونات العربية ، وقد تميز البرنامج بحسن اعداده وقصر وقته وحيوية اخراجه . وتعد العدة في الوقت الحاضر لانتاج حلقات القسم الثاني منه في مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك ، ويعكف ممثلون عن العراق والكويت والسعودية وقطر والامارات والبحرين اضافة الى مدير عام مشروع البرنامج على تقييم الحلقات المتبقية منه . (الثورة) ، (الجمهورية) 1985/3/28 .

21) - انظر : عادل عبد الكريم حارس . الوعي المروري . نقلا عن : العقيد احمد ضياء الدين . بحث عن الوجه الاقتصادي لمشكلة المرور . معهد القادة لضباط الشرطة . القاهرة . ص 20

22) - انظر / جدول الاحصائية ، الوعي المروري . ص 36 .

23) - المصدر السابق . ص 13 .

24) - يعتبر السكر سببا رئيسا في الكثير من حوادث الطرق . وتشير الاحصائيات الى ان تناول الكحول قبيل واثناء قيادة المركبات يمكن وراء معظم الحوادث المرورية انظر : (د. محمد معروف عبد الله) . (جريمة السكر اثناء قيادة المركبة) مجلة (قوى الامن الداخلي) . بغداد ، العدد 52 لسنة 1984 .

25) - ويلبور شرام ، المصدر نفسه .

26) - توصيات ندوة الكويت . الفقرة : تاسعا .

27) - انظر قرارات المؤتمر . الوعي المروري . ص 43 ، 44 .

28) - استخدام الفضاء للتربية والتنمية في الدول العربية . تقرير لليونسكو باريس (مايو/ايار 1971) القاهرة 1973 . ص 22

29) - شاكر محمد امين . دور المؤسسات التعليمية في منع الحوادث المرورية . سلسلة بحوث قوى الامن الداخلي . بغداد 1982 . ص 36 .

30) - د. سنان سعيد . خطط وبرامج التنمية في الاذاعة والتلفزيون . مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد . العدد 23 آب 1978 . ص 112 .

31) ـ الوعي المروري . ص 11 ،21 ، 19 .

32) ـ د. سنان سعيد . دور الاعلام في الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاجتماعي / بحث مقدم الى المؤتمر الثاني عشر للمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي . الرباط 1982 / منشور في : (الدورية المغربية لبحوث الاتصال) المعهد العالي للصحافة في الرباط .

العدد الاول . اكتوبر 1983 ، ص 91 .

33) ـ د. جيهان رشتى . الاسس العلمية لنظريات الاعلام . القاهرة 1975 . ص 466 ـ 504 .

34) ـ خطط وبرامج التنمية . 114 .

35) ـ دور الاعلام في الوقاية الناجمة عن الجرائم الاقتصادية . ص 100 .



فهرست الموضوعات للعدد الرابع والثلاثون




طبع بمطبعة جامعة بغداد
منشورات دار الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع
کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران

BULLETIN

OF

THE COLLEGE OF ARTS



Issued By

The College of Arts - University of Baghdad

